

لأكون مع الصادقين

سلسلة الرحلة إلى الثقلين

(١٩)

لأكون مع الصادقين

تأليف

الدكتور محمد التيجاني السماوي

تحقيق وتعليق

مركز الأبحاث العقائدية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

دليل الكتاب

١٠	مقدمة المركز.....
١٦	مقدمة المؤلف للطبعة المحقّقة.....
٢١	[لماذا .. ثم اهديت]
٢٧	المقدمة
٣١	القرآن الكريم عند أهل السنة والجماعة وعند الشيعة الإمامية الاثني عشرية
٣٨	السنة النبوية الشريفة عند أهل السنة والجماعة وعند الشيعة الإمامية.....
٦١	العقائد عند الشيعة وعند أهل السنة والجماعة.....
٦٣	العقيدة بالله تعالى عند الطرفين.....
٧٣	العقيدة في النبوة عند الطرفين
٨٧	العقيدة في الإمامة عند الطرفين
٨٨	أين الحقيقة؟.....
٨٨	الإمامة في القرآن الكريم.....
٩١	الإمامة في السنة النبوية

٩٦	رأي أهل السنّة والجماعة في الخلافة ومناقشته
١٠٠	ولاية علي في القرآن الكريم
١٠٤	آية البلاغ تتعلّق أيضاً بولاية علي
١٢٧	آية إكمال الدين تتعلّق أيضاً بالخلافة
١٣٥	مناقشة القول بأنّ الآية نزلت يوم عرفة
١٥٩	العنصر المهم في البحث
١٨٧	حسرة وأسى
١٩٧	شواهد أخرى على ولّعليّ
٢٠٣	تعليق على الشورى
٢٠٩	الاختلاف في الثقلين
٢٢٠	[الاختلاف في السنّة النبوية]
٢٢١	الخلافا بين الصحابة في صحّة الحديث أو كذبه
٢٢٦	اختلاف المذاهب في السنّة النبوية
٢٤٠	القضاء والقدر عند أهل السنّة والشيعه
٢٤٠	القضاء والقدر عند أهل السنّة
٢٥٦	عقيدة الشيعة في القضاء والقدر
٢٦٢	تعليقة على الخلافة ضمن القضاء والقدر

٢٦٥	الخمس
٢٧٣	التقليد
٢٨١	العقائد التي تُشنعُ بها أهل السنَّة على الشيعة
٢٨٩	العصمة
٢٩٩	عدد الأئمة الاثني عشر
٣٠١	علم الأئمة
٣٠٧	البداء
٣١٧	التقية
٣٥٣	المتعة أو الزواج المؤقت
٣٦٧	القول بتحريف القرآن
٣٨٣	الجمع بين الصلاتين
٣٩٥	السجود على التربة
٤٠٣	الرجعة (العودة إلى الحياة)
٤٠٩	الغلوّ فيجبّ الأئمة
٤١٧	المهدي المنتظر
٤٣٧	مصادر الكتاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المركز

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين ، حبيب قلوبنا ،
أبي القاسم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين ، واللعنة
الدائمة الموبدة على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين.
نحمدك اللهم ونشكرك أن جعلتنا من أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام ،
والسائرين على نهجهم القويم والمتبرئين من أعدائهم والناصبين لهم البغض والعداء.
لم يكن من ضمن برنامجنا العلمي في « مركز الأبحاث العقائدية » إعادة طبع الكتب
التي تم طبعها ونشرها لعدة مرات ، خصوصاً كتب الدكتور التيجاني التي تتنافس في طبعها
ونشرها مراكز علمية كثيرة ومؤسسات ثقافية عديدة ، إذ طبعت طبعات متعددة وترجمت إلى
عدة لغات عالمية .

والذي جعلنا نُقدم على إعادة طباعتها ، وتصحيح الأخطاء المطبعية التي وجدت في الطبعات السابقة منها بل إصلاح بعض الهفوات العلمية التي وقع فيها المؤلف ، واستخراج كافة الأقوال الفقهية وغيرها والأحاديث الشريفة وبيان صفاها التوثيقية . وإن كان هذا العمل بحد ذاته يستحق التقدير . هو الإجابة على الشبهات والردود التي أثارها بعض علماء السنة حول كتب الدكتور التيجاني الذي وصفوه بشخصية خيالية اختلقها بعض علماء الشيعة للتشنيع على المذهب السني ، فقد جمعنا كتبهم فكانت خمسة كتب هي :

(١) «كشف الجاني محمد د التيجاني لثمان بن محمد د الخميس والظاهر أنه أوّل من تصدّى للردّ على الدكتور التيجاني ، إذ أنّ الطبعة الثانية لهذا الكتاب صدرت عن مؤسسة الفجر في لندن سنة ١٤١١ هـ ، والطبعة الثالثة صدرت عن دار الأمل في القاهرة وكتب عليها «طبعة مزيدة منقّحة» .

وبما أنّ الطبعتين الأولى والثانية كانت عبارة عن كتيب صغير لذلك اضطرّ الخميس في طبعته الثالثة أن ينقل من كتاب « الانتصار » . الذي يأتي الحديث عنه برقم ٢ . ثلاث وأربعين صفحة ، وذلك من أجل زيادة صفحات كتابه علماً بأنّه في كتابه هذا الذي يقع في مائتين صفحة تقريباً يحاول الردّ على كتب الدكتور التيجاني الأربعة وهي : « ثم اهتديت « و « فاسألوا أهل الذكر » و « لأكون مع

الصادقين « و « الشيعة هم أهل السنة ».

(٢) الانتصار للصحب والآل من افتراءات السماوي الضالّ « للدكتور إبراهيم بن عامر الرحيلي ، صدرت طبعته الأولى سنة ١٤١٨ هـ عن مكتبة الغرباء الأثرية في المدينة المنورة وكان المؤلف ينوي الردّ على كتب الدكتور التيجاني الأربعة التي ذكرناها سابقاً ، إلاّ أنّ الذي صدر هو القسم الأوّل منه فقط وهو ردّ على كتاب « ثم اهتديت ».

(٣) « منهج أهل البيت في مفهوم المذاهب الإسلامية ، مع دراسة لبعض الكتب المذهبية وسبل التقريب » لأبي الحسن محيي الدين الحسيني انتهى من تأليفه في الأوّل من رجب سنة ١٤١٧ هـ ، صدر عن مطبعة المدينة في بغداد وهو ردّ على كتاب الدكتور التيجاني « لأكون مع الصادقين » فقط.

(٤) « النشاط الشيعي الإمامي أو الاستنساخ العقدي ، التيجاني السماوي نموذجاً » ، للزبير دحان . صدرت سنة ١٤٢٣ هـ ضمن سلسلة نقد المعتقد برقم ١ ، وهو ردّ على كتاب « المراجعات » للسيد عبد الحسين شرف الدين ، وكتب الدكتور التيجاني.

(٥) « بل ضللت » لخالد العسقلاني ، صدرت سنة ١٤٢٤ هـ عن دار المحدثين للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية وهو ردّ على كتاب الدكتور التيجاني « ثم اهتديت ».

عملنا في هذا الكتاب

- (١) إلقاء نصّ الكتاب بشكل دقيق ثمّ تقطيع عباراته إلى عدّة فقرات متناسقة ، واستعمال علامات التقييم حسبما تقتضيه الطرق الفنيّة لتحقيق الكتب .
- (٢) استخراج كلّ ما يحتاج إلى استخراج من آيات قرآنيّة كريمة وأقوال فقهية وكلامية وتاريخية وغيرها ، وأحاديث شريفة ، وأشعار وغيرها، كلّ ذلك من مصادرها الرئيسيّة .
- (٣) بيان صفات الأحاديث الشريفة التي استدلّ بها المؤلّف ، وتمييز الصحيح عن غيره ، استناداً إلى آراء كبار علماء المسلمين من الفريقين ليوقف القارئ على صحّة كلام المؤلّف وزيف ادّعاء المخالف له .
- (٤) إبقاء تعليقات المؤلّف التي كانت في الطبعة السابقة كما كانت ، وتمييزها عن عملنا بإضافة كلمة « المؤلّف » في آخرها .
- (٥) إذا ذكر المؤلّف مصدراً أو مصدرين لكلامه أو للقول أو الحديث الذي يستدلّ به فإنّه ما نضيف لها مصادر أخرى معتبرة عند عامّة المسلمين ، ليوقف القارئ على حقيقة الأمر .
- (٦) قمنا بردّ الشبهات التي أثارها عثمان الخميس في كتابه

«كشف الجاني محمد د التيجاني» على هذا الكتاب الذي بين أيدينا زيف ادعاء الحميس وقلّة اطلاعه على التاريخ كحقيقة محاولة لإضلال الرأي العام بإدعاءات واهية لا أساس لها ، بل محاولته بتر حديث الدكتور التيجاني ، وهذه مغالطات يلجأ إليها الضعفاء . كذلك قمنا بردّ الإشكالات التي وجهها أبو الحسن محيي الدين الحسيني في كتابه « منهج أهل البيت في مفهوم المذاهب الإسلامية » على خصوص هذا الكتاب ، وهي في الواقع إشكالات واهية تنمّ عن تعصب عميق عن روح النقاش والتفاهم الحرّ الذي يسعى صاحبه للوصول إلى الحقيقة .

وأشرنا أيضاً إلى المناظرة العقائدية التي جرت سنة ١٤٢٣ هـ في قناة « المستقلة » بين بعض الوهابية وبعض أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام ، والذي كان للدكتور التيجاني دور مهم فيها .

شكر وتقدير

ختاماً فإننا نتقدّم بجزيل الشكر والتقدير لكافة الإخوة الأعزاء في « مركز الأبحاث العقائدية » الذين ساهموا في إحياء هذا الأثر وإخراجه بهذه الحلة القشبية ، وأخص بالذكر السيد هاشم الميلاني الذي ساهم في استخراج بعض المصادر ، والشيخ لؤي المنصوري

الذي أخذ أعلى عاتقه عملية الاستخراج كاملةً وردَّ الشبهات والإشكالات التي وجَّهت لهذا الكتاب فجزاهم الله جميعاً خير الجزاء ، وجعله في ميزان أعمالهم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

د الحسّون
مركز الأبحاث العقائدية

مقدمة المؤلف للطبعة المحققة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا ومولانا محمد وآله الطيبين الطاهرين المعصومين على أصحابه المنتجبين الذين ثبتوا من بعده ولم يغيروا ولم يبدلوا وكانوا لله من الشاكرين والسلام على أنبياء الله أجمعين.

أمّا بعدُ وخلال السنوات المنصرمة تلقيت العديد من الرسائل من عدّة مناطق في العالم بخصوص كتابي الثاني « لأكون مع الصادقين المهدي تناولت في أوّل له تحليلاً للأحداث التي وقعت إبان وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكذلك تحليلاً عقلائياً لعقائد الشيعة الإمامية التي كانت تبدو غريبة على أهل السنة والجماعة بالخصوص منهم المعاصرين الذين دأبوا على انتقاد الشيعة في كلّ معتقداتهم وإذا بهم يفاجأون بأنّ كلّ ما يعتقدّه الشيعة الإمامية إنّما هو حقيقة ثابتة في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، والأغرب من ذلك أنّ كلّ ما يقول به الشيعة له

وجودٌ ثابتٌ في صحاح أهل السنّة والجماعة لو أنّ أحد أئمة المذاهب الأربعة السنيّة قد قاله أو عمل به.

وقد لفت نظري بعضهم مشكورين إلى بعض الأخطاء المطبعيّة التي وردت في الكتاب ، كما أشار البعض الآخر إلى عدم توافقه المصادر المذكورة في صفحاته قد تكون تغييرات في الكتب التي طبعت حديثاً . ورغم أنّ الكتاب المذكور طبع عدّة مرّات وترجم هو الآخر بعدد اللغات ، أذني طلبتُ من مركز الأبحاث العقائدية في مدينة قم المقدّسة بإشراف وإدارة السيد الجليل جواد الشهرستاني والتّخيم الفاضل فارس الحسّون (*) أن يولي عنيته، كما أولاها لكتاب «ثمّ اهتديت» ، ويخرج كتاب «مع الصادقين» في حلّة جديدة منقّحة ومصحّحة بالتوثيق الذي يليق به لتلبية اقتراح القرّاء الكرام.

فلبّوا طلبي هذا مشكورين وكان من إنتاجهم هذا العمل الكبير الذي يعجزُ عنه عكس كاتب ومؤلف فجزاهم الله عن الإسلام

* كتبتُ هذه المخطوطة كان الشيخ فارس الحسّون حينئذٍ ، إلّا أنه انتقل إلى رحمة الله تعالى قبل إكمال هذا العمل فأخذ أخوه الشيخ محمد الحسّون على عاتقه إدارة المركز وإكمال أعماله ، فقام بمراجعة هذا الكتاب مراجعة علميّة وتهيئته للطبع ، فله من الله الأجر والثواب ومنيّ جزيل الشكر والتقدير «المؤلف» .

والمسلمين خير الجزاء وحشرهم في زمرة محمد ﷺ وآله الطاهرين صلوات الله ﷻ وسلامه عليهم
أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ﷻ رب العالمين.

الفقيه ائمة ربّه ﷻ مُجَدِّ التيجاني السماوي

بتاريخ ١ ادى الأول ١٤٢٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (

(التوبة : ١١٩)

[لماذا .. ثم اهتديت]

الحمد لله رب العالمين ، المتفضل علينا بالهداية والعناية والتمكين ، والمنعم على عباده بكل خير وسعادة ليكونوا صلحاء ، توكل عليه كفاه وحفظه من كيد الشياطين ، ومن تنكب عن صراطه فهو من المخدولين .

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، ناصر المستضعفين والمظلومين ، وحبیب المساكين الذين نواهم بالله رغبة فيما أعدّه سبحانه لعباده الصادقين ..
وعلى آله الطيبين الطاهرين المزين أعلا الله مقامهم على سائر المخلوقين ، ليكونوا قدوة العارفين ، ومنار الهدى ، وسفينة النجاة التي من تخلف عنها كان من الهالكين ..
ثم الرضى والرضوان على أصحابه الميامين الذين بايعوه وناصروه ولم يكونوا من الناكثين ، وثبتوا بعده على العهد وما بدّوا وما انقلبوا وكانوا من الشاكرين ..
وعلى من تبعهم بإحسان وسار على هديهم ، من الأولين والآخرين إلى قيام يوم الدين .

رَبِّ اشْرَحْ لِي وَصِيْلَهُ رَجِيْرٌ لِي اَمْ وَرِيْحٌ مُّثْلِلَةٌ هُنَّ لِسِيَابِقِهِمْ * وَاقْوَلِي (١)

ربّ وافتح بصيرة كلّ من يقرأ كتابي على الحقيقة التي تهدي بها عبادك المخلصين.
أما بعد؛ فقد لقي كتابي « ثم اهتديتولاً » حسناً لدى القرّاء الأعزّاء الذين أبدوا
بعض الملاحظات الهامّة حول موضوعات متفرّقة في الكتاب المذكور ، وطلبوا المزيد من
التوضيح في المسائل التي اختلف في فهمها كثير من المسلمين سنّةً وشيعّةً.

ومن أجل رفع اللبس والغموض عن ذلك لمن أراد التحقيق والوقوف على جملية الأمر
فقد ألّفتُ هذا الكتاب بنفس الأسلوب الذي اتبعته هناك ، ليسهل على الباحث المنصف
الوصول إلى الحقيقة من أقرب سبلها، كما وصلتُ إليها من خلال البحث والمقارنة ، وقد
أسميته . على بركة الله . « مع الصادقين » ، اقتباساً من قولها تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا
اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصّٰدِقِيْنَ) (٢).

ومن منّا من المسلمين يرفض أو يزهد في أن يكون مع أولئك الصادقين؟!
هذا ما اقتنعتُ به شخصياً وما أحاول توضيحه لغيري ما استطعتُ

١ . طه : ٢٥ - ٢٨ .

٢ . التوبة : ١١٩ .

إلى ذلك سبيلاً ، دون فرض لرأيي ، بل ومع احترامي لرأي غيري فالله وحده الهادي وهو الذي يتولى الصالحين.

وقد اعترض البعض على عنوان الكتاب السابق «ثمّ اهتديت»؛ لانطوائه على غموض قد يبعث على التأمل والتساؤل حول ما إذا كان الآخرون على ضلالة؟ وما مدلول تلك الضلالة إن قصد هذا المعنى؟

وعلى هذا الاعتراض أجيب موضحاً :

أولاً : جاء في القرآن الكريم لفظ الضلالة بمعنى النسيان ، قال تعالى **إِن (عَلِمَهُ هُمَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى) (١) وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: (إِذْ دَاهَمَهُمَا آفَةٌ مُّذَكَّرَ إِذْ دَاهَمَهُمَا الْآخِرَى) (٢).**

كما ورد في القرآن الكريم لفظ الضلالة تعبيراً عن حالة التحقيق والبحث والتفتيش ، قال تعالى مخاطباً رسولاً **الْكَرِيمِ نَذَكَ ضَالًّا فَهَدَى (٣)** ، أي وجدك تبحث عن الحقيقة فهداك إليها.

والمعروف من سيرته صلى الله عليه وآله وسلم أنه قبل نزول الوحي عليه كان يهجر قومه في مكة ليختلي في غار حراء الليالي العديدة باحثاً عن الحقيقة.

١ . طه : ٥٢ .

٢ . البقرة : ٢٨٢ .

٣ . الضحى : ٧ .

ومن هذا المعنى . أيضاً . قوله صلى الله عليه وآله وسلم : «الحكمة ضالة المؤمن ، أين ما وجدها أخذها» (١) .

فعنوان كتابي الأوّل يتضمّن هذا المعنى .

ثانياً : وعلى فرض أن لعنوان يتضمّن معنى الضلالة التي تقابل الهداية فيما نقصده على المستوى الفكري من إصابة المنهج الإسلامي الصحيح الذي يضعنا على الصراط المستقيهما عقّب بعض القرّاء بذلك ؛ فليكن كذلك وهو الواقع الذي يتهيمّ ب مواجهته البعض بروح رياضية بنوّاءتفّس موضوعيًّا خلّاق .. ينسجم في الفهم مع قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم :

«تركّت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً» (٢) .

١ . ورد الحديث بألفاظ مختلفة : ففي سنن ابن ماجة ٢ : ١٣٩٥ ح ٤١٦٩ ، وكذلك سنن الترمذي ٤ : ١٥٥ ح ٢٨٢٨ بلفظ : «الكلمة الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها فهو أحقّ بها» .

وفي المصنّف لابن أبي شيبة ٨ : ٣١٧ ح ١٦٠ عن سعيد بن أبي بردة قال : « كان يقال : الحكمة ضالة المؤمن يأخذها إذا وجدها » .

وعن عليّ عليه السلام في نهج البلاغة : « الحكمة ضالة المؤمن ، فخذ الحكمة ولو من أهل النفاق » .

وورد بألفاظ أخر أيضاً .

٢ حديث الثقلين . بألفاظه المختلفة . حديث صحيح متواتر ، صحّحه

فالحديث واضح وصريح في الإشارة إلى ضلال من لم يتمسك بهما معاً (الكتاب والعترة).

وعلى كل حال ، فأنا مقتنع بأذني اهتديت ففضل الله سبحانه وتعالى إلى التمسك بكتاب الله وعترة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق.

فكتابي الأوّل والثاني يميلان عناوين من القرآن الكريم ، وهو أصدق الكلام وأحسنه وكل ما جمعه في الكتابين إن لم يكن الحق فهو أقرب ما يكون إليه لأنه مما اتفق عليه المسلمون سنةً وشيعةً ، وما ثبت عند الفريقين أنه صحيح ، فكانت النتيجة ولادة هذين الكتابين بحمد الله : « اهتديت » و « لأكون مع الصادقين » .

الألبي في عدّة أماكن منها سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤ : ٣٥٥ ح ١٧٦١ ، واعترض على من ضعّفه ممن هو حديث عهد بهذه الصناعة ، وسبب القول بضعفه ناشئ من ناحيتين . كما قال الألباني :

١ . الإقتصار على بعض المصادر ، ممّا سبب فوات الكثير من الطرق والأسانيد التي هي بذاتها الصحيحة

أو حسنة فضلاً عن الشواهد والمتابعات .

٢ . عدم الالتفات إلى أقوال المصحّحين للحديث من العلماء .

والحاكم بضلالة من لم يتمسك بالكتاب والعترة هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لا

غيره .

وقد أورد هذا الاعتراض . أيضاً . في المناظرة التي جرت بين الشيعة والوهابية في قناة المستقلّة سنة ١٤٢٣

هـ ، المناظرة العاشرة .

والله أسأل أن يهدي أمّة محمد صلى الله عليه وآله وسلم أجمعهم حتى يكونوا خير
أمّة ، ويقودوا العالم بأسره إلى النور والهداية تحت لواء الإمام المهدي المنتظر ، الذي وعدنا به
جدّه صلى الله عليه وآله وسلّمهما الأَرْضَ عدلاً وقسطاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً ، وليتم
نور الله ولو كره الكافرون.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا ومولانا محمد
وعلى آله الطيبين الطاهرين.

أما بعد ، فإن الدين يعتمد بنحو أساسي على العقائد التي تكون منه مجموعة
الأصول والمرتكزات التي يؤمن بها معتنقو هذا الدين أو ذلك والتي لا بد أن يقوم إيمانهم بها
على الدليل القاطع والبرهان الجلي الذي ينطلق من المسلّمات العقلية التي يؤمن بها جميع
الناس ليتسنى له إقناعهم بما يدعوهم إليه. ورغم ذلك فإنه ثمة أفكار يصعب على العالم
تفسيرها ، مثلما يصعب على العقل التصديق بها عند الوهلة الأولى ، من ذلك مثلاً أن
تكون النار «برداً وسلاماً» في حين أن العلم والعقل يتفقان على أنها حرارة مهلكة! أو
أن تقطع الطير إلى أجزاء متناثرة فوق الجبال ، ثم تدعى فتأتي تسعى ، في حين أن العلم
والعقل يستبعدان ذلك ، أن يُشفى الأعمى والأبرص والأكمه بمجرد مسح عيسى
عليه السلام ، بل وإحياء الموتى ، في حين أن

العلم والعقل لا يجدان تفسيراً لهذا ..

وهي أمور تندرج في باب المعجزات التي أجراها الله ﷻ تعالى على أيدي أنبيائه عليهم السلام ، وهي موجودة لدى المسلمين واليهود والنصارى ..

ولمَّا أجرى الله ﷻ سبحانه وتعالى تلك المعجزات والخوارق على أيدي أنبيائه ورسله عليهم أفضل الصلاة وأزكى السلاطيم، فهم العباد بأنَّ عُقوبهم قاصرة عن الإدراك والإحاطة بكلِّ شيء؛ لأنه سبحانه لمؤتاهم من العلم إلاَّ قليلاً ولمعلِّم في ذلك صلاحهم وكما لهم النسبي فقد كفر الكثير بنعمة الله ﷻ ، وأنكر الكثير وجوده سبحانه واغترَّ الكثير منهم بالعلم والعقل حتى عبدهما من دون الله ﷻ ، هذا مع قلَّة العلم وقصور العقل ، فكيف لو أعطاهم علم كلِّ شيء؟!!

ونظراً لأهمية العقيدة ومركزيتها في إيمان المسلم ، فإنَّ كتابي هذا قد تناول جملة من العقائد الإسلامية التي وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، والتي كانت مسرحاً لاختلاف فرق المذاهب الإسلامية فتمتدُّ فصلاً خاصاً بمعتقدات أهل السنة والشيعة في القرآن الكريم والسنة النبوية ، تطرقت بعد ذلك لسائر المسائل التي اختلفوا فيها وشنَّع بعضهم على البعض الآخر بدون مبررٍ هادفٍ من ذلك بيان ما رأته الحق ، راجباً في مساعدة من يريد البحث عنه ،

آملأ أن يساهم ذلك في قيام الوحدة الإسلامية على أساس فكريّ متين واملله أسأل أن
يوفقنا جميعاً لما يجب ويرضى ، ويجمع كلمة المسلمين على الصواب ، إزّه عزيز قدير.

القرآن الكريم عند أهل السنة والجماعة

وعند الشيعة الإمامية الاثني عشرية

هو كلام الله المنزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهو المرجع الأعلى للمسلمين في أحكامهم وعباداتهم وعقائدهم من شك فيه أو أهانه فقد برئ من ذمة الإسلام ، فهم المسلمون كافة . متفقون على تقديسه واحترامه والتعبد بما ورد فيه ، ولكنهم اختلفوا في تفسيره وتأويله .

ومرجع الشيعة في التفسير والتأويل يعود إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وشروحات الأئمة من أهل البيت عليهم السلام ، ومرجع أهل السنة والجماعة يعود إلى أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً ، ولكنهم يعتمدون على الصحابة . دون تمييز . أو أحد الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المعروفة في نقل الأحاديث وشرحها وتفسيرها . وبطبيعة الحال نشأ من ذلك اختلاف في العديد من المسائل الإسلامية وخصوصاً الفقهية منها .

وإذا كان الاختلاف بين المذاهب الأربعة من مدرسة أهل السنة

والجماعة ظاهراً ، فلا غرابة في أن يكون بينهم وبين مدرسة أهل البيت عليهم السلام أظهر .
وكما ذكرت في مستهل الكتاب فإنني سوف لن أتطرق إلا إلى بعض الأمثلة بغية
الاختصار ، وعلى من يريد البحث والاستزادة أن يغوص في أعماق البحر لاستخراج ما
يمكنه من الحقائق الكامنة والجواهر المخفية .

يتفق أهل السنة مع الشيعة في القول^١ رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم
للمسلمين كل أحكام القرآن وفسر كل آياته ، ولكنهم اختلفوا في من ينبغي الرجوع إليه بعد
وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك البيان والتفسير : فذهب أهل
السنة إلى الاعتماد على الصحابة . دون تمييز . ومن بعدهم الأئمة الأربعة وعلماء الأمة
الإسلامية .

أما الشيعة فقالوا : إن الأئمة من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم هم
المؤهلون لذلك وصفوة من الصحابة المنتجبين ؛ فأهل البيت عليهم السلام هم أهل الذكر
الذين أمرنا الله تعالى بالرجوع إليهم في قولهم **لَا تَعْلَمُونَهُ** (١) وهم الذين اصطفاهم الله تعالى

١ . النحل : ٤٣ وقد ذكرت مصادر التفسير عند أهل السنة عدّة أقوال في تفسير هذه الآية ، منها : أنه لا تعني
أهل البيت عليهم السلام ، راجع : جامع البيان للطبري ١٤ : ١٤٥ و ١٧ : ٨ ، تفسير القرطبي ١١ : ٢٧٢ ،
تفسير ابن كثير ٢ : ٥٩١ ، وزعم باطلا أن قول الإمام الباقر عليه السلام : « نحن أهل الذكر » الوارد في
تفسير الآية بمعنى الأمة لا أهل البيت عليهم السلام .

وأورثهم علمهم الكتاب في قول الكزّيّ وجبل: (الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا) (١)
ولكلّ ذلك جعلهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسطيّ لقرآن ، والثقل الثاني الذي
أمر المسلمين بالتمسك به فقال صلى الله عليه وآله وسلم : «تركتُ فيكم الثقلين : كتاب
الله وعترتي أهل بيتي ، ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً» (٢).
وفي لفظ مسلم : «كتاب الله ، أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي» ، قالها
ثلاث مرّات (٣).

ومن المعلوم أنّ أهل البيت عليهم السلام كانوا أعلم الناس وأورعهم وأتقاهم
وأفضلهم ، وقد قال فيهم الفرزدق :
بلغتُ التُّقى كَأنزوا أئمةً تُهمُّمُ أهلُ الأرضِ قِيلَ هُمُ
وأسوق هنا مثلاً واحداً للتذكير بطبيعة الرابطة بين أهل

١. فاطر : ٣٢ .

٢. ورد بالفاظ وأسانيد مختلفة ، راجع : الطبقات لابن سعد ٢ : ١٩٤ ، مسند ابن الجعد : ٣٩٧ ، مسند أحمد
٣ : ١٤ وفي غير موضع منه ، المستدرک للحاکم ٣ : ١٠٩ و صححه ، كتاب السنّة لابن أبي عاصم : ٦٣٩ ح
١٥٥٣ . ١٥٥٥ ، السنن الكبرى للنسائي ٥ : ٤٥ ح ٨١٤٨ ، سير أعلام النبلاء ٩ : ٣٦٥ ، مجمع الزوائد
للهيثمى ٩ : ١٦٣ ، كتاب السنّة لابن أبي عاصم : ٦٣٠ .
٣. صحيح مسلم ٧ : ١٢٣ ، (كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب علي بن أبي طالب) .

البيت عليهم السلام والقرآن الكريم ، فقد **لَا أَقْتَعَالِمُ** : (**بِمَوْاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمُهُ** * **لَقُرْ أَنْ كَفِيَّيْمٌ كَاتِبٌ مَكْنُونٌ سُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ**) (١) .

فهذه الآيات تشير بدون لبس إلى أن أهل البيت عليهم السلام وعلى رأسهم رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم هم الذين يدركون معاني القرآن الغامضة لأننا لو أمعنا النظر في القَسَمِ الذي أقسم به ربّ العزّة والجلالة لوجدنا ما يلي :

إذا كان الله ﷻ تعالى يُقسم بالعصر وبالقلم وبالتين وبالزيتون فعظمة القَسَمِ بمواقع النجوم بيّنة ، لما تنطوي عليه من أسرار وتأثير على الكون بأمره سبحانه ، ونلاحظ تعزيز القسم في صيغة النفي والإثبات ، فبعد القَسَمِ يؤكد سبحانه : **لَقُرْ أَنْ كَرِيْبِي * كَاتِبٌ مَكْنُونٌ** (**مَكْنُونٌ**) والمكنون ما كان باطناً ومستتر ثم يقول عزّ وجل **لَا يَمُرُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ**) ، و (لا) هنا للنفي وهمسّ ه تعني يدركه ويفهمه ، وليس المقصود بها لمس اليد (٢) ، فهناك فرقٌ بين اللّمس

١ . الواقعة : ٧٥ . ٧٩ .

٢ . ذكر القرطبي في تفسيره عند ذكره عدّة تفاسير لها ، منها : ما نقله عن الحسين بن الفضل حيث قال : « لا يعرف تفسيره وتأويله إلا من طهره الله ﷻ من الشرك والنفاق » .
وقال الألوسي أيضاً في تفسيره روح المعاني في ذيل الآية . بعد ما ذكر أن

والمسَّ ، قَلْبِي تَعْلِيْقًا لِنَفْسِي (لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ) طَلَقًا دَرَفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكُّرٌ وَافِيَاذَاهُمْ
مُبْصِرُونَ (وَقَالَ أَيْضًا عَزَّ مِنْ قَائِلِ الْبَلْبَلِينَ

المطهَّرين هم الملائكة . : «نفي مسَّه كناية عن لازمه وهو نفي الاطلاع عليه وعلى ما فيه» .
وكذلك الفخر الرازي في تفسيره رجَّح كون (لايعلى النفي لا النهي وأتمَّ إخبار عن عدم مسَّ غير
المطهَّرين له ، ثم قال : إلاَّ المطهَّرَ رَوَاهُمْ الملائكة طهرهم اللهَّ في أوَّل أمرهم وأبقاهم .. ولو كان المراد نفي
الحدث لقلَّ يمسُّه إلاَّ المطهَّرون أو المطهَّرَ رَوْن بتشديد الطاء والهاء ، والقراءة المشهورة الصحيحة (المطهَّرون)
من التطهير لا من الاطهار ، وعلى هذا يتأيد ما ذكرناه من وجه آخر من حيث إنَّ بعضهم كان يقول : هو من
السماء ، ينزل به الجن ويلقيه عليه .. فقال له يَلْجَنَّ وَإِذَا يَمْسُّهُ المطهَّرَ رَوْن الذي طهَّرَ رَوَا عن الخبيث « التفسير
الكبير ٣٠ : ٤٣١ - ٤٣٣ .

وقد خلط صاحب كتاب « منهج أهل البيت في مفهوم المذاهب الإسلامية » : ٥٥ بردَّه على المؤلِّف
بين استعمال المسَّ في اللمس وبين مساواة المسَّ للمس في المعنى ، فالمسَّ يستخدم بمعنى اللمس الحسي ، وبمعنى
المسَّ المعنوي كمسَّ العقل ونحوه ، ولهذا تقولها ممسوس ، بمعنى فيه جنون ، وإن شيئاً مسَّ عقله فجنه .
ويستخلص المعنى اللمس أيضاً ، ولكن هذا لا يعني أنَّ المسَّ عين اللمس ونفس معناه كما توهمه
صاحب كتاب « منهج أهل البيت لهفسَّ ر الآية المباركة باللمس المادي الذي يعني حمل الكلام على النهي ،
وقد لاحظت كلمات بعض المفسرين في إبطال كون النفي بمعنى النهي ، وإتمَّ هو إخبار عن عدم مسَّ القرآن لغير
المطهَّر من الخبائث والآثام .
١ . الأعراف : ٢٠١ .

يَا كُفُلُونَ الرَّبَّ بَايَهُ لَهْوًا لَكِنَّهُ لَمَّا يَتَّخِذُ يَدَهُ الشَّيْطَانُ مِمَّنْ يَلْمَسُ (١).

فلمس هنا يتعلّق بالعقل والإدراك لا بلمس اليد.

وكيف يُقسم الله سبحانه وتعالى بأن لا يلمس القرآن باليد إلاّ من تطهّر ، والتاريخ يجدّ ثنا بأنّ بعض الجبّارين قد عبثوا به ومزّ قوه ، وقد شاهدنا الاسرائيليين يدوسونه بأقدامهم . نستجير بالله . ويحرقونه عندما احتلّوا بيروت في اجتياحهم السيئ الصيت ، وقد نقلت أجهزة التلفزة عن ذلك صوراً بشعة ومذهلة!؟

فالدلول لقوله تعالى هو أنّه لا يدرك معاني القرآن المكنون إلاّ نخبة من عباده الذين اصطفاهم وطهّرهم تطهيراً .

والمطهّرون في هذه الآية اسم مفعول ، أيوقع تطهيرهم ، وقد قال عزّ وجلّ :

لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً (٢).

فقوله تعالى : (لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) ، معناه : لا يدرك حقيقة القرآن إلاّ الرسول

صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام ولذلك قال فيهم رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم : « النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق ، وأهل بيتي أمان

١ . البقرة : ٢٧٥ .

٢ . الأحزاب : ٣٣ .

لأمتي من الاختلاف ، فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس »^(١) .
وما يذهب إليه الشيعة في ذلك يستند إلى القرآن الكريم وأحاديث الرسول
صلى الله عليه وآله وسلم^ﷺ حتى في صحاح أهل السنة كما وجدنا .

١ . المستدرك للحاكم ٣ : ١٤٩ وقال : « حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه » ، ورواه السيوطي في الجامع
الصغير ٢ : ٦٨٠ ح ٩٣١٣ مختصراً بلفظ : « النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأمتي » ، وقال
المنائي في فيض القدير شرح الجامع الصغير ٦ : ٣٨٦ : « شبه بهم بنجوم السماء وهي التي يقع بها الاهتداء ،
وهي الطوالع والغوارب والسيارات والنابتات ، فكذلك بهم الاقتداء وبهم الأمان من الهلاك ، ثم ذكر أن تعدد
طرقه ربما يصير ه حسناً . ورواه أحمد في الفضائل ٢ : ٦٧١ ، وأورده القندوزي الحنفي في ينابيع المودة ١ : ٧٢ ،
وابن حجر الهيتمي في الصواعق ٢ : ٤٤٥ .

السنة النبوية الشريفة

عند أهل السنة والجماعة وعند الشيعة الإمامية

هيكال: ما قاله رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم فعله أو أقره ، وهي المرجع الثاني عندهم بعد القرآن الكريم في أحكامهم وعباداتهم وعقائدهم.

يضيف أهل السنة والجماعة إلى السنة النبوية سنة الخلفاء الراشدين الأربعة : أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وذلك لحديث يروونه : «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، عرضوا عليها بالنواجذ»^(١).

وليس أدل على ذلك من اتباعهم سنة عمر بن الخطاب في صلاة التراويح التي نهى عنها رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم^(٢).

١ . ورد في كثير من مصادر أهل السنة ، انظر على سبيل المثال : سنن ابن ماجة ١ : ١٥ ح ٤٢ ، سنن الترمذي ٤ : ١٤٩ ح ٢٨١٦ ، المستدرک للحاكم ١ : ٩٥ ، كتاب السنة لابن أبي عاصم : ١٥٠ ، مؤخر محقق الكتاب محمد ناصر الدين الألباني بصحته.

٢ . صحيح البخاري ٧ : ٩٩ ، (كتاب الأدب ، باب هـ لا يجوز من الغضب والشدة لأمر الله) ، ولفظه : «احتجر رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم حجيرة مخصفة أو

والبعض منهم يضيفون إلى سنة الرسول سنة الصحابة بأجمعهم . أي صحابي كان .
وذلك لحديث يروونه : « أصحابي كالنجوم؛ بهم اقتديتم اهتديتم »^(١) ، وحديث : «
أصحابي أمانة لأمتي »^(٢) .

أمّا حديث « أصحابي كالنجوم » ، فهو لا ينسجم مع العقل والمنطق والحقيقة
العلمية ، إذ إنّ العرب لم يكونوا ليهتدوا في مسيرهم

حصيراً ، فخرج رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم صليّ فيها ، فتبع إليه رجال و جاؤوا يصلّون بصلاته ، ثمّ
جاؤوا ليلة فحضروا وأبطأ رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم عنهم فلم يخرج إليهم فرفعوا أصواتهم وحبسوا الباب
، فخرج إليهم مغضباً ، فقال لهم رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم : مازال بكم صنيعكم حتى ظننت أنّ
سيكتب عليكم ، فعليكم بالصلاة في بيوتكم ، فإن خير صلاة المرء في بيته إلا الصلاة المكتوبة .
وهذا النصّ صريح في أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يفرضها ، بل نهاهم عن أدائها كذلك
ورغّبهم في الصلاة في بيوتهم .

وهذا النهي استمر في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وزمن أبي بكر إلى أن جاء عمر بن
الخطاب فابتدع فيهم القيام جماعة في شهر رمضان ، كما ذكر ذلك الحافظ ابن حجر العسقلاني في الإصابة ٢ :
٥١٠ ترجمة ٢٩٣٤ حيث قال : « قلت : ذكر أبو عمر في التمهيد أنّ أوّل ما جمع عمر الناس على إمام في
رمضان كان سنة أربع عشرة » .

وقال السيوطي في تاريخ الخلفاء ١٣١ : « وفي سنة أربع عشرة جمع عمر الناس على صلاة التراويح » .

١ . الشفا للقاضي عياض ٢ : ٥٣ .

٢ . المصنّف لابن أبي شيبة ٧ : ٥٤٨ ح ٣ ، صحيح مسلم ٧ : ١٨٣ ، (كتاب فضائل الصحابة ، باب ٥١
) ، ومسنّد أحمد بن حنبل ٤ : ٣٩٩ .

الصحراوي لجرّد اقتدائهم بأيّ نجم من النجوم ، وإنّما كانوا يهتدون باتباع نجوم معينة محدّدة معروفة لها أسماءؤها.

كما أنّ هذا الحديث لا تؤيده الأحداث اللاحقة والممارسات التي بدت من بعض الصحابة بعد وفاة رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم فإنّ منهم من ارتدّ^(١)، كما أنّهم اختلفوا في كثير من الأمور التي سببت الطعن . بعضهم في بعض .^(٢)، ولعن بعضهم بعضاً^(٣)، وقتل بعضهم بعضاً^(٤)، وأقيم الحدّ على بعض الصحابة لشرب الخمر والزنا والسرقة وغير ذلك ، فكيف يقبل عاقلٌ بهذا الحديث الذي يأمر بالافتداء بمثل هؤلاء؟! وكيف يكون من يقتدي بمعاوية الخارج على إمام زمانه أمير المؤمنين في حربه للإمام علي عليه السلام مهتدياً وهو يعلم أنّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ما ه إمام الفئة الباغية؟! وكيف يكون من المهتدين من يقتدي بعمر بن العاص والمغيرة بن شعبة ويسر بن أرطاة وقد قتلوا الأبرياء لتدعيم ملك الأمويين!؟

وأنت أيها القارئ اللبيب إذا قرأت حديث « أصحابي كالنجوم متبين لك أنّه موضوع لأنه موجّه إلى الصحابة ، فكيف يقول

١. كالذين حاربهم أبو بكر وسمّوا بأهل الردّة (المؤلف).

٢. كما طعن أكثر الصحابة في عثمان حتى قتلوه (المؤلف).

٣. كما فعل ذلك معاوية الذي كان يأمر بلعن علي (المؤلف).

٤. كحروب الجمل وصفين والنهروان وغيرها (المؤلف).

٥. حديث «يح عمّار تقتله الفئة الباغية» (المؤلف).

الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يا أصحابي اقتدوا بأصحابي؟!
 أمّا حديث « يا أصحابي عليكم بالأئمة من أهل بيتي فهم يهدونكم من بعدي »
 فهو أقرب إلى الحقّ لئلاّ نزه له شواهد عديدة تؤيده في السنّة النبوية.
 والشيعية الإمامية يقولون بأنّ المقصود بحديث : «هليكم بسنّتي و سنّة الخلفاء
 الراشدين المهديين من بعدي » هم الأئمة الاث عشر من أئمة أهل البيت سلام الله عليهم ،
 وهم الذين أوجب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمّته أن تتمسك بهم وتتبعهم ،
 كما تتمسكك وتتبع كتاب الله^(١) .
 ولمّا آليتُ على نفسي فينيّ لا أستدلُّ إلاّ بما يحتجّ به الشيعة من صحاح أهل السنّة
 والجماعة إذ يفغّ قد اقتصر على ذلك ، وإلاّ فإن في كتب الشيعة أضعاف ذلك وبعبارات
 أكثر صراحة ووضوحاً^(٢) .
 على أنّ الشيعة لا يقولون بأنّ أئمة أهل البيت سلام الله عليهم لهم حقّ التشريع ،
 بمعنى أن سنّتهم هي اجتهادٌ منهم ، بل يقولون بأنّ كلّ أحكامهم هي من كتاب الله و سنّة
 رسوله التي علّمها رسول الله عليه وآله وسلم ، وعلمها عليّ أولاده ، فهو علمٌ يتوارثونه ، ولهم في ذلك
 أدلّة كثيرة

١ . وذلك لحديث الثقلين الثابت المتواتر .

٢ . أضرب لذلك مثلاً واحداً : أخرج الصدوق في الإكمال بسنده إلى الإمام الصادق عن أبيه عن جده قال : «
 قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : الأئمة من بعدي اثنا عشر ، أولهم علي وآخراهم القائم ، هم خلفائي
 وأوصيائي » (المؤلّف) .

نقلها علماء أهل السنة والجماعة في صحاحهم ومسانيدهم وتواريخهم.
ويبقى السؤال دائماً يعود بإلحاح : لماذا لم يعمل أهل السنة والجماعة بمضمون هذه الأحاديث الصحيحة عندهم؟
ثمّ بعكذٍ ليجتلفُ الشيعة والسنة في تفسير الأحاديث الثابتة عن رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم ، كما سبق لنا توضيحه في فقرة اختلافهم في تفسير القرآن بالنسبة لمعنى الخلفاء الراشدين الذي ورد في حديثه صلى الله عليه وآله وسلم حجه كل من الفريقين ، ولكن يفسدُ به السنة على أنهم الخلفاء الأربعة الذين اعتلوا منصب الخلافة بعد رسول الله ﷺ ، ويفسدُ به الشيعة على أنهم الخلفاء الاثنا عشر ، وهم أئمة أهل البيت سلام الله عليهم.

ذلك إنّنا نرى هذا الاختلاف شائعاً في كل ما يتعلق بالأشخاص الذين زكاهم القرآن والرسول أو أمر باتّباعهم ، مثال ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم : «علماء أمّتي أفضل من أنبياء بني إسرائيل»^(١) ، أو : «العلماء ورثة الأنبياء»^(٢).

١ . عوالي اللئالي ٤ : ٧٧ ح ٦٧ ، تاريخ ابن خلدون ١ : ٣٢٥ ، وفي كليهما بلفظ : « علماء أمّتي كأنبياء بني إسرائيل ».

٢ . التاريخ الكبير للبخاري ٨ : ٣٣٧ ح ٣٢٢٩ ، وأورده في صحيحه (كتاب العلم باب ١١ من دون أن يسنده) ، سنن ابن ماجه ١ : ٨١ ، الكافي ١ : ٣٢ .

فأهل السنّة والجماعة يعمّدون هذا الحديث على كلّ علماء الأمة ..
بينما يخصّصه الشيعة بالأئمة الاثني عشر ، ومن أجل ذلك يفضّلونهم على الأنبياء
ماعدًا أولي العزم من الرسل.

والحقيقة إنّ العقل يميل لهذا التخصيص :

أولاً : لأنّ القرآن أوثق علم الكتاب للذين اصطفى من عباده ، وهو تخصيص ، كما
أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أهل بيته بأمر لم يشركهم فيها بأحد ، حتى
سمّاهم سفينة النجاة ، وسمّاهم أئمة الهدى ، ومصاييح الدجى ، والثقل الثاني الذي يعصم
من الضلالة.

فظهر من هذا أنّ قول أهل السنّة والجماعة يعارض هذا التخصيص الذي أثبتته القرآن
والسنّة النبوية ، وأنّ العقل لا يرتاح إليه ، لما فيه من الغموض ، وعدم المعرفة بالعلماء
الحقيقيّين الذين أذهب الله عنهم الرّجس وطهّرهم ، وعدم تمييزهم عن العلماء الذين فرضهم
على الأئمّة الحكّام الأمويّون والعبّاسيّون.

وما أبعد الفرق بين أولئك العلماء ، وبين الأئمة من أهل البيت الذين لا يذكر
التاريخ لهم أستاذاً تتلمذوا على يديه سوى أن يتلقّى

ح ٢ ، وقال المناوي في فيض القدير ٤ : ٥٠٤ : « قال في الكشاف ما سمّاهم ورثة الأنبياء إلاّ لمداناتهم لهم في
الشرف والمنزلة ، لأنهم القوام بما بعثوا من أجله ».

الابن عن أبيه ، ومع ذلك فقد روى علماء أهل السنة في علومهم روايات عجيبة ،
وخصوصاً الإمام الباقر والإمام الصادق والإمام الجواد الذي أفحم بعلمه أربعين قاضياً
جمعهم إليه المأمون وهو لا يزال صبياً .

ومما يؤكد تميز أهل البيت عن غيرهم ما يظهر لنا من اختلاف أصحاب المذاهب
الأربعة عند أهل السنة والجماعة في كثير من المسائل الفقهية ، بينما لا يختلف الأئمة الاثنا
عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام في مسألة واحدة^(١).

١ . كيف يختلفون وقد جعلهم النبي صلى الله عليه وآله أحد الثقلين وعدل القرآن ، وأوصى بالتمسك بهم ،
وأتمهم هم العاصم من الضلال؟! فكما لا اختلاف ولا تناقض في القرآن ، كذلك لا اختلاف ولا تناقض في أقوال
العترة عليهم السلام، وهذا ما يدل عليه حديث الثقلين الثابت الصحيح عند الفريقين.
قد اعترض صاحب كشف الجاني : ٤٤٤ بأن روايات الشيعة مختلفة فيما بينها ويوجد فيها التعارض والتضارب ،
وأخذ بنقل بعض كلمات العلماء في ذلك.

وهذا الاعتراض لا يرد على الشيعة ، وهو وارد على أئمة السنة كما ذكر المؤلف؛ لأن المؤلف يتكلم عن
أئمة أهل البيت عليهم السلام لا يختلفون فيما بينهم ، ولا يطعن بعضهم البعض ولا يكفر أو يرد عليه
، فلم ينقل أن الإمام الصادق عليه السلام أو خطأ أبيه الإمام الباقر أو جدّه علي بن أبي طالب ، وهكذا
بقية الأئمة عليهم السلام ، بل كانوا سلسلة ذهبية يكمل بعضها البعض .
وهذا بخلاف أئمة المذاهب الأربعة ، فإننا نجدهم أنفسهم يختلفون فيما بينهم

فضلاً عن اتباعهم ، يُجد أن أحدهم يتكلّم على الآخر ويطعن فيه ، فهذا مالك بن أنس يطعن في أبي حنيفة النعمان ، قال الوليد بن مسلم : « قال لي مالك بن أنس : أذكر أبو حنيفة ببلدكم؟ قلت : نعم ، قال : ما ينبغي لبلدكم أن يسكن » ، العلل ومعرفة الرجال لأحمد بن حنبل ٢ : ٥٤٧ .
ونقل البخاري عن سفيان بن عيينة عندما جاءه نعي أبي حنيفة قال : « ما ولد في الإسلام مولود شرٌّ منه » ، الانتقاء : ١٥٠ .

وقال ابن عبد البرّ : « وقد تكلم ابن أبي ذئب في مالك بن أنس بكلام فيه جفاء وخشونة كرهت ذكره ، وهو مشهور عنه .. وتحامل عليه [أي على مالك] الشافعي وبعض أصحاب أبي حنيفة في شيء من رأيه حسداً لموضع إمامته ، وعابه قوم في إنكاره المسح على الخفين في الحضر والسفر ، وفي كلامه في علي وعثمان ، وفي فتياه بإتيان النساء في الأعجاز » ، جامع بيان العلم وفضله ٢ : ١١٥ .
أمّا الشافعي فقد تكلم فيه يحيى بن معين إمام الجرح والتعديل فقال عنه : « ليس بثقة » المصدر السابق .
وقال ابن عبد البرّ : « وقد صحّ عن ابن معين من طرق أنّه كان يتكلّم في الشافعي » المصدر السابق ٢ : ٣٩٤ .

فكلام المؤلف عن أئمة أهل البيت **عليهم السلام** أنّهم لا خلاف بينهم ، بخلاف أئمة مذاهب السنة . هذا أولاً .

وثانياً : يوجد بعض الاختلافات في الروايات المنقولة عن أئمة أهل البيت **عليهم السلام** ، وهذا لا يعني أنّ الأئمة اختلفوا فيما بينهم أو أنّ ذلك عيب

ثانياً لو أخذنا بقول أهل السنة والجماعة في تعميم هذه الآيات والأحاديث على كل علماء، لوجب أن تتعدد الآراء والمذاهب على مرّ الأجيال، ولأصبح هناك آلاف المذاهب، ولعلّ علماء أهل السنة والجماعة تفتنوا لما لهذا الرأي من سخافة وتفريق لوحدة العقيدة، فأسرعوا إلى غلق باب الاجتهاد منذ زمن بعيد.

أمّا قول الشيعة فهو يدعو للإلحاد والالتفاف حول أئمة معروفين، خصّهم الله تعالى والرسول بكلّ المعارف التي يحتاجها المسلمون في كلّ العصور، فلا يمكن لأيّ مدّع بعد ذلك أن يتقول

في مذهبيهم؛ وذلك لأنّ الاختلاف ناشئ من عوامل أخرى كالكذب عليهم كما كُذِبَ على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكالسدس والوضع، واختلاف الحكم باختلاف زمانه ومكانه، وكاستخدام التقية في بعض الأحيان لدفع جور السلطان، وغير ذلك من الأسباب الكثيرة.

مضافاً إلى أنّ هذا غير مقصور على الشيعة وحدهم، فأهل السنة الخلاف بينهم شاسع والهوية بينهم كبيرة جداً، يمكن بأدنى إطلاع ملاحظتها.

ومن هذا يتضح أنّ صاحب كتاب كشف الجاني يخلط في كلامه في الاختلاف بين الأئمة أنفسهم، ووجود بعض الاختلاف بين الروايات المنقولة عنهم، والتي هي أمر طبيعي نتيجة بعد الزمن والعوامل الأخرى المؤثرة؛ إذ المؤلّف كلامه عن الأمر لولّاهم الأئمة، بينما عثمان الخميس اعترض عليه بالأمر الثاني وهو وجود بعض الاختلافات بين الروايات المنقولة عن الأئمة، فلاحظ حتى لا يقع خلط في الكلام.

على الله وعلى الرسول ويتدع مذهباً يلزم الناس باتّباعه.

فاختلافهم في هذه المسألة كاختلافهم في المهدي لذي يؤمن به الفريقان ، ولكن المهتد الشيعة معلوم معروف أبوه وجدّه ، وعند أهل السنّة والجماعة لا يزال مجهولاً وسيولد في آخر الزمان ، ولذلك ترى كثيراً منهم ادعى المهديّة ، وقد قال لي شخصياً الشيخ إسماعيل صاحب الطريقة المدنية بأنّه هو المهدي المنتظر ، وقالها أمام صديق لي كان من أتباعه ثم استبصر فيما بعد.

أمّ التثنية، فلا يمكن لأيّ مولود عندهم أن يدعي ذلك ، وحتى لو سمّي أحدهم ابنه بالمهدي فهو تيمناً وتبركاً بصاحب الزمان ، كما يُسمّي أحدنا ابنه مُجداً أو علياً ، وإنّ ظهور المهدي عندهم هو ذلّيّ مطّجزة ، لأنّه وُلِدَ منذ اثني عشر قرناً وتغيّب . ثم بعد كلّ هذا قد يختلف أهل السنّة والجماعة في معنى الحديث الثابت الصحيح عند الفريقين ، حتى لو كان الحديث لا يتعلّق بالأشخاص ، ومن ذلك مثلاً حديث : « اختلاف أمّتي رحمة »^(١).

١ . أحكام القرآن للجصاص ٢ : ٣٧ ، تفسير القرطبي ٤ : ١٥٩ ، الجامع الصغير للسيوطي ١ : ٤٨ ح ٢٨٨

، شرح النووي على صحيح مسلم ١١ : ٩١ وقال :

« وقد اعترض على حديث اختلاف أمّتي رحمة رجلان : أحدهما مغموض

الذي يفسره أهل السنة والجماعة: بأنَّ اختلاف الأحكام الفقهية في المسألة الواحدة هو رحمة للمسلم الذي بإمكانه أن يختار أي حكم يناسبه ويتماشى مع الحلَّ الذي يرتضيه ، فقليك رحمة به ، لأنَّه إذا كان الإمام مالك مثلاً متشدداً في مسألة ما ، فإنَّ بإمكان المسلم أن يُقلد أبا حنيفة المتساهل فيها.

عليه في دينه وهو عمرو بن بحر الجاحظ ، والآخر معروف بالسخف والخلاعة وهو إسحاق بن إبراهيم الموصلي «
، ثم ذكر أقوالهما وردها.

وفي كنز العمال ١٠ : ١٣٦ ح ٢٨٨٦ : هن نصر المقدسي في الحجَّة ، والبيهقي في رسالة الأشعرية
بغير سنده ، وأورده الحلبي والقاضي حسين وإمام الحرمين وغيرهم ، ولعله خرج به في بعض كتب الحفاظ التي لم
تصل إلينا» .

وفي فيض القدير للمناوي ١ : ٢٧١ قال : «وروى من أنَّ مالكاً لما أراد الرشد على الذهاب معه إلى
العراق ، وأنَّ يحمل الناس على الموطأ كما حمل عثمان الناس على القرآن؛ فقال مالك أمَّا حمل الناس على الموطأ
فلا سبيل إليَّ الصَّحابة . رضي الله تعالى عنهم . افترقوا بعد موته **صلى الله عليه وآله وسلم** في
الأمصار فحدِّثوا ، فعند كلِّ أهل مصر علم ، وقد قال **صلى الله عليه وآله وسلم** : اختلاف أمتي رحمة» .
ومن هنا يتضح أنَّ ما ذكره صاحب كتاب كشف الجاني من أنَّ المؤلف الهجري على أهل السنة ونسب
الحديث مصادره وهو غير موجود ، ما هو إلاَّ غفلة ناشئة عن قلة الاطلاع ومراجعة الكتب ، فإنَّ المصادر
السنيَّة أوردت هذا الحديث كما قدمناه آنفاً .

أمّا عند الشيعة فهم يفسّرون الحديث على غير هذا المعنى ، ويروون أنّ الإمام الصادق عليه السلام سئل عن هذا الحديث : «اختلاف أمّتي رحمة»؟ قال صدق رسول الله ، فقال السائل : إذا كان اختلافهم رحمة فاجتماعهم نقمة؟ فقال الصادق ليس حيث ذهبوا يذهبون . يعني في هذا التفسير . إنّما قصد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

اختلاف بعضهم إلى بعض ، يعني يسافر بعضهم إلى بعض وينفر إليه ويقصده لأخذ العلم

عنه ، واستدلوا على ذلك بقول الله تعالى في ﴿ قَوْمٌ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي

الدين وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (١).

ثمّ أضاف قائلاً : فإذا اختلفوا في الدين صاروا حزب إبليس (٢).

وهو كما ترى تفسير مقنع ؛ لأنّه يدعو لوحدة العقيدة ، لا للاختلاف فيها (٣).

ثمّ إنّ الحديث بمفهوم أهل السنّة والجماعة غير معقول ، لأنّه يدعو للاختلاف والفرقة

وتعدّد الآراء والمذاهب ، وكلّ هذا يعارض

١ . التوبة : ١٢٢ .

٢ . نحوه في معاني الأخبار للصدوق : ١٥٧ .

٣ . البسمة في الصلاة مكروهة عند المالكية ، واجبة عند الشافعية ، ومستحبة عند الحنفية ، والحنابلة قالوا بإخفائها إذا صلّى في الصلاة الجهرية (المؤلف).

القرآن الكريم الذي يدعونا للوحدة والالتفاف حول شيء واحد ، يقول سبحانه : ﴿ إِنَّ

هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾ (١).

وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ (٢).

وَيَقُولُونَ: ﴿عُودُوا فَمَا تَتْلُوهُ رَبِّي لِيُحْكِمَ ﴾ (٣).

فأيّ نزاع وأيّة تفرقة هي أكبر من تقسيم الأمة الواحدة إلى مذاهب وأحزاب وفرق يخالف بعضهم بعضاً ، ويسخر بعضهم من بعض ، بل ويكفر بعضهم بعضاً ، حتى يستحل بعضهم دم البعض الآخر ، وهو ما وقع بالفعل على مرّ العصور ، والتاريخ أكبر شاهد على ذلك.

هذا ، وقد حدّثنا سبحانه من النتائج الوخيمة التي تصير إليها أمّتنا إذا تفرّقت ، فقال

لَّذِينَ تَنَسَوْنَ خُلُقَهُمْ لَأَحْكَوْنَ نَفْسَهُمْ وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَثَمَهُمْ (٤) ، (إِنَّ

الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ فَعُولُوا لَكَاذِبِينَ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) (٥) وَهُوَ (٦) لَأَكْبَرُ (٧) مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ
الَّذِينَ

١ . المؤمنون : ٥٢ .

٢ . آل عمران : ١٠٣ .

٣ . الأنفال : ٤٦ .

٤ . آل عمران : ١٠٥ .

٥ . الأنعام : ١٥٩ .

فَرَقُوا دِينَهُمْ ° وَكَانُوا شَيْعَةً كَلِبٌ بِمَوْلِدِ يَهُمْ ° فَرِحُونَ (١).

وتجدر الإشارة هنا بأنّ معنى (شيعاً) علاقة لها بالشيعة كما توهّم بعض البُسطاء عندما جاءني ينصحني على زعمه قائلاً أنّي بالله عليك دعنا من الشيعة ، فإن الله يمتقّتهم وحذر رسوله أن يكون منهم.

قلتُ : وكيف ذلك؟

إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ: (وَكَانُوا شَيْعَةً بِمَوْلِدِ يَهُمْ فِي شَيْءٍ).

وحاولتُ إقناعهُ بالله «بِعَمَّا» معناها أحزاباً ولا علاقة لها بالشيعة ، ولكنه ومع الأسف الشديد لم يقتنع ، لأنّ سيّدنا إمام المسجد هكذا علّمه وحذّره من الشيعة ، فلم يعد يتقبّل غير ذلك!

أعود إلى الموضوع فأقول أنّي كنتُ في حيرة قبل استبصاري عندما أقرأ حديث : « اختلاف أمّتي رحمة » ، وأقارنه مع حديث «تفترق أمّتي إلى اثنتين وسبعين فرقة ، كلّها في النار إلاّ واحدة» (٢).

١. الروم : ٣١-٣٢.

٢. سنن ابن ماجة (كتاب الفتن) ٢ : ٤٩٣ : ح ٣٩٩٣ ، مسند أحمد ٣ : ١٢٠ ، والترمذي في كتاب الإيمان ، باب ١٨ ما جاء في افتراق هذه الأمة ، وكتاب السنّة لابن أبي عاصم ح ٤ توصرّح محقق الكتاب الشيخ محمد الألباني

بصحته قائلاً: « الحديث أخرجه ابن ماجة ٣٩٩٣ باسناد المصنّف هذا ، وصححه البوصيري ، والحديث صحيح قطعاً لأنّ له ست طرق أخرى عن أنس ، وشواهد عن جمع من الصحابة .. وقد خرجته في الصحيحة ٢٠٣ من حديث أبي هريرة و ٢٠٤ من حديث معاوية » .

وألّف محمد بن إسماعيل الصنعاني كتاباً بعنوان (افتراق الأمة) ، وقال فيه : « له طرق عديدة ساقها ابن الأثير ... في جامع الأصول » ثمّ قال : « إذا عرفت هذا ، فالحديث قد استشكل من جهتين :
الجهة الأولى : ما فيه من الحكم على الأكثر بالهلاك ، وذلك يناهض الأحاديث الواردة في الأمة بأنّها أمة مرحومة ، وبأنّها أكثر الأمم في الجنّة ..

الجهة الثانية : جهة الاشكال في تعيين الفرقة الناجية ، فقد تكلم الناس فيها كلّ فرقة تزعم أنّها هي الفرقة الناجية .. لفتراق الأمة : ٤٦ . ٧٨ .

وقهرّض الشيخ الألباني إلى هذا الإشكال . أيضاً . وحاول الإجابة عليه نقلاً عن غيره ، لكن دون جدوى ، راجع الصحيحة ١ : ٤٠٢ و ٤١٤ .

وإذا تدبّر المسلم في هذا الحديث الذي نطق به النبي **صلى الله عليه وآله وسلم** ، وأخبر بأنّ أمته ستفترق كما افتترقت الأمم السابقة عليها ، مع ما يلمسه المسلم بأنّ عينيه من اختلاف المسلمين فيما بينهم ، ومن أنّ كلّ فرقة أو طائفة تأتّمها هي الحقّ ، وأنّها الفرقة الناجية ..

إذا تأمّل المسلم هذا يعرف أنّ النبي **صلى الله عليه وآله وسلم** لا بد وأنّ ينصب طريقاً ينجو من الضلال لخلص عباد الله من جحيم النار ، بحيث يكون هذا الطريق علماً ومنازلاً وحافظاً لما أنزل من القرآن والسنة النبوية المطهرة .

وهذا الطريق قد بيّنه الرسول **صلى الله عليه وآله وسلم** في حديث الثقلين المتواتر الذي قال

وأَسْأَلُ : كيف يكون اختلاف الأمة رحمة ، وفي نفس الوقت يوجب دخول النار؟
وبعد قراءتي لتفسير الإمام جعفر الصادق عليه السلام لهذا الحديث زالت الحيرة
وانحلَّ اللغزُ معوّثٌ بعد ذلك بأنَّ الأئمة من أهل البيت هم أئمة الهدى ومصايح الدجى
، وهم بحقَّ ترجمان القرآن والسنة ، وحقيق بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول في
حقِّهم : « مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح ، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق »^(١) ، و
« لا تتقدّموهم فتهلكوا ، ولا تتخلفوا عنهم فتهلكوا ،

فيه إيّ» تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا » ، وحديث السفينة
الذي ذكره المؤلف؛ فإن أهل البيت هم المنجون من الضلال والتهيه المؤدي إلى النار كما في حديث الافتراق.
١ - مستدرک الحاكم ٢ : ٣٤٣ وقال : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه » ، المعجم الصغير
للطبراني ١ : ١٣٩ و ٢ : ٢٢ ، المعجم الأوسط ٤ : ١٠ و ٥ : ٣٥٥ و ٦ : ٨٥ ، المعجم الكبير ٣ : ٤٥ .
٤٧ و ١٢ : ٢٧ ، الجامع الصغير للسيوطي ٢ : ٥٣٣ ح ٨١٦٢ ، الصواعق المحرقة ٢ : ٤٤٥ وقال : « وجاء
من طرق عديدة يقوي بعضها بعضاً » ، الدر المنثور عن المستدرک ٣ : ٣٣٤ ، مجمع الزوائد للهيثمى ٩ : ١٦٨
، الشيخ صالح المقبل في كتاب العلم الشامخ : ٥٢٠ .

ومن حكم بضعف الحديث كصاحب كتاب « منهج أهل البيت في مفهوم

ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم» (١).

وكان حقيق بالإمام علي عليه السلام أن يقول : « أنظروا أهل بيت نبيكم ، فالزموا

سمتهم واتبعوا أثرهم ، فلن يخرجوكم من هدى ولن يعيدوكم في ردى ، فإن لبدوا فالبدوا وإن

نهضوا فانهضوا ولا تسبقوهم فتضلوا ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا» (٢).

وقال عليه السلام في طبة أخرى يعرف بها قدر أهل البيت عليهم السلام : « هم

عيش العلم وموت الجهل ، يخبركم حلمهم عن علمهم وظاهرهم عن باطنهم وصمتهم عن

حكم منطقتهم ، لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه . هم دعائم الإسلام وولائج الاعتصام ، بهم

عاد الحق الى نصابه ، وانزاح الباطل عن مقامه ، وانقطع لسانه عن منبته ، عقلوا الدين عقل

وعاية ورعاية لا عقل سماع ورواية ، فإن رواة

المذاهب الإسلامية» ص ٣٤. ليس لحكمه قيمة علمية ما دام لم يبتن على الأسس العلمية والموضوعية.

١ . هذا الحديث ورد في ذيل حديث الثقلين ، لكن بلفظ التنية لا الجمع ، إلا في الفقرة الأخيرة ، انظر : المعجم

الكبير للطبراني ٥ : ١٦٧ ، وعنه في الدر المنثور للسيوطي ٢ : ٦٠ ، الصواعق المحرقة ٢ : ٤٣٩ الآية الرابعة من

الآيات النازلة فيهم و ٢ : ٦٥٣ (باب وصية النبي صلى الله عليه وآله بال البيت).

٢ . نهج البلاغة ١ : ١٨٩ ، الخطبة : ٦ من كلام له في أصحابه وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله.

العلم كثير ورعاته قليل» (١).

نعم ، صدق الإمام علي فيما بيَّنه ، فهو باب مدينة العلم (٢) ، فهناك

١. نهج البلاغة ٢ : ٢٣٢ ، الخطبة : ٢٣٧ .

٢ قال رسول الله ﷺ : « أنا مدينة العلم وعلي بابها ، فمن أراد العلم فليأت الباب » ،
أخرجه الحاكم النيسابوري في المستدرک ٣ : ١٢٦ ، وقال : « هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه » .
وقال الفتني في تذكرة الموضوعات ص ٩٥ : « والحديث حسن لا صحيح ولا كذب » .

وذكر المناوي في فيض القدير ٣ : ٢٠٠ الحديث وشرحه وردّ على من طعن فيه فقال : (٢٧٠٥ . « أنا
مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة فليأت الباب » ، فإنّ المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم المدينة
الجامعة لمعاني الديانات كلّها ، أو لابدّ للمدينة من باب ، فأخبر أنّا عليّ كرم الله وجهه ، فمن أخذ طريقه
دخل الجنة ، ومن أخطأه أخطأ طريق الهدى .

وقد شهد له بالأعلمية الموافق والمخالف والمعادي والمخالف ...

قال الحقلني علم الأولون والآخرين أنّ فهم كتاب الله منحصراً إلى علم عليّ ، ومن جهل ذلك فقد
ضلّ عن الباب الذي من ثور يرفع عن القلوب الحجاب حتى يتحقّق اليقين الذي لا يتغيّر بكشف الغطاء ...
وتعقّب به جمع أئمة ، منهم الحافظ العلائي فقال : من حكم بوضعه فقد أخطأ ، والصواب أنه حسن
باعتبار طرقة ، لا صحيح ولا ضعيف ...

وقال الزركشي : الحديث ينتهي إلى درجة الحسن المحتج به ولا يكنّ ضعيفاً ...

فرق كبير بين من عقل الدين عقل وعاية ورعاية ، وبين من عقله عقل سماع ورواية .
والذين يسمعون ويروون كثيرون ، فكم كان عدد الصحابة الذين يجالسون رسول الله ﷺ
صلى الله عليه وآله وسلم ويسمعون منه الأحاديث وينقلونها بغير فهم أو علم ، فيتغير
معنى الحديث ، وقد يؤدّي إلى العكس الذي

وفي لسان الميزان هذا الحديث له طرق كثيرة في المستدرک أقلّ أحوالها أن يكون للحديث أصلاً ، فلا
ينبغي إطلاق القول عليه بالوضع .

ورواه الخطيب في التاريخ باللفظ المزبور من حديث ابن معاوية عن الأعمش .. ثمّ قال : قال القاسم :
سألت ابن معين عنه فقال : هو صحيح ...

وأفتى بحسنه ابن حجر ، وتبعه البخاري فقال : هو حديث حسن .

وقد أفرد العلماء رسائل خاصة في هذا الحديث ، منها : (كتاب فتح الملك العلي بصحة حديث باب
مدينة العلم عليّ) للحافظ أحمد بن الصديق الغماري ، وكتاب (رفع الارتباب عن حديث الباب لعلّيّ) بن
محمد العلوي ، وقد ورد هذا الحديث في مصادر كثيرة نذكر منها :

مسند أبي يعلى ٢ : ٥٨ ، المعجم الكبير ١١ : ٥٥ ، نظم درر السمطين ١١ : ١١٣ ، الجامع الصغير
١١ : ٤١٥ ، كنز العمال ١١ : ٦٠٠ و ١٣ : ١٤٧ ، تهذيب التهذيب ٧ : ٢٩٦ ، تهذيب الكمال ١٨ :
٧٧ ، تاريخ بغداد ١١ : ٤٩ ، ينابيع المودة ٢ : ٥٨ ، شواهد التنزيل ١ : ٤٢٦ ، أسد الغابة ٤ : ٢٢ .
وبعد الإيضاح المتقدم ، فمن يحكم بكذب هذا الحديث كصاحب كتاب منهج أهل البيت في مفهوم
المذاهب الإسلامية : ٤٤٣ ، يكون حكمه جزافاً ناشئاً من التعصّب وإغماض الجفون عن رؤية الحق .

قصده الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقد يؤدّي بعض الأحيان إلى الكفر ، لصعوبة إدراك الصحابي للمعنى الحقيقي^(١).

١ . مثال ذلك ما رواه أبو هريرة من إله الله خلق آدم على صورته * ، ولكن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أوضح الأمر فقال إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سمع رجلين يتسابان ، فقال أحدهما للآخر حج الله وجهك ووجه من يشبهك ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن الله خلق آدم على صورته أي إنك بسببك من يشبهه قد سببت آدم لأنه يشبهه (المؤلف) .

* . ذكر عثمان الخميمي في كشف الجاني ص : ١٤٥ أن التيجاني دلّس في الحديث ولم يذكر صدر الحديث وهو : «إلا قاتل أحدكم أخاه فليتجنب الوجه فإن الله خلق آدم على صورته» . وهذا الإشكال ناشئ من قلة تبتّع عثمان الخميمي ، فإن الرواية وردت بعدة صيغ عن أبي هريرة ، فمنها الصيغة المتقدمة ، ومنها ما رواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة : ٢١٠ عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : «الله عز وجل خلق آدم على صورته» وصرّح الألباني بصحة الحديث ، ومنها : لا يقول أحدكم قبح الله وجهك ولا وجه من أشبه وجهك ، فإن الله خلق آدم على صورته «السنة : ٢٩ .

مع أن الإتيان بصدر الرواية لا يؤثر على التجسيم الذي يؤمن به عثمان الخميمي في شيء ، فهؤلاء علماء السلفية يفتون بأن الله صورة لأجل هذه الرواية ، قال ابن تيمية في نقض أساس التقديس : « لم يكن بين السلف من القرون الثلاثة نزاع في أن الضمير عائد إلى الله ، فإنه مستفيض من طرق

متعدّدة عن عدد من الصحابة ، وسياق الأحاديث كلها تدلّ على ذلك .» .
وقال في موضع آخر منه : علماء الأمة لم تنكس إطلاق القول بأن الله ﷻ خلق آدم على صورة الرحمن بل كانوا متفقين على إطلاق مثل هذا «نقلًا عن رسالة القول المبين : ٤٩ .
وقال أحمد بن حنبل : «ن قال إن الله ﷻ خلق آدم على صورة آدم فهو جهمي ، وأي صورة كانت لآدم قبل أن يخلقه « بطلان التأويلات لأبي يعلى ١ : ٨٨ .
وقال عبد الله ﷻ بن أحمد بن حنبل : « قال رجل لأبيّان : فلاناً يقول في حديث رسول الله ﷺ **صلى الله عليه وسلم** ، إن الله ﷻ خلق آدم على صورته » فقال على صورة الرجل قال أبي : كذب هذا ، هذا قول الجهمية وأي فائدة في هذا « إبطال التأويلات ١ : ٨٨ .
وقد ألّف أحد دعاة السلفية . وهو سليمان بن ناصر العلوان . كتاباً بعنوان « القول المبين في إثبات الصورة لربّ العالمين » ، قال ابن باز في فتاويه ١ : ٣١٤ : « ثبت عن الرسول **صلى الله عليه وسلم** في الصحيحين أنه قال عليه الصلاة والسلام : «لله ﷻ خلق آدم على صورته » ، وجاء في رواية أحمد وجماعة من أهل الحديث : « على صورة الرحمن فالضمير في الحديث الأوّل يعود إلى الله ﷻ تعالى ... » .
بينما أتملق أهبيت وشيعتهم ينزّهون الله ﷻ سبحانه وتعالى عن ذلك ويرجعون الضمير إلى الإنسان ، ولاعتقظب أخاك فإنّ الله ﷻ خلق آدم على صورة أخيك ، وينزّهون الله ﷻ عن التشبيه بخلقه صورة كانت أو وجهاً أو قدماً .

كما أنّ حديث الثقلين يثبت الأعلمية والمرجعية لأهل البيت **عليهم السلام** بعد رسول

أمّا الذين يعون العلم ويرعونه فقليلون جداً ، وقد يُفني الإنسانُ عمره في طلب العلم ولا يحصل منه إلاّ على اليسير ، وقد يتخصّص في أبواب من أبواب العلم أو فنّ من فنونه ولا يمكنه أن يحيط بكلّ أبوابه ، ولكنّ المعروف أنّ أئمة أهل البيت عليهم السلام لم يُن وعارفين بشتّى العلوم ، وهذا ما أثبتته الإمام عليّ كما يشهد المؤرخون ، وكذلك محمد الباقر ، وجعفر الصادق الذي تتلمذ على يديه آلاف الشيوخ في شتى العلوم والمعارف : من فلسفة وطب وكيمياء وعلوم طبيعية وغيرها.

الله صلّى الله عليه وآله وسلم وهم معصومون مطهّرون من الخطأ والنسيان وغيره كما ثبت بأية التطهير ، فهم الأعلام بسنّة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم من غيرهم ، يمين على المسلم أخذ السنّة منهم المرجعيّتهم المطلقة بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم.

العقائد

عند الشيعة وعند أهل السنة والجماعة

مما زاد قناعتي بأنّ الشيعة الإمامية هي الفرقة الناجية هو: أنّ عقائدهم سمحة وسهلة القبول لكلّ ذي عقل حكيم وذوق سليم نجد عندهم لكلّ مسألة من المسائل ولكلّ عقيدة من العقائد تفسيراً شافياً كافياً لأحد أئمة أهل البيت عليهم السلام ، قد لا نجد لها حلاً عند أهل السنة وعند الفرق الأخرى.

وسأتابع في هذا الفصل بعض العقائد وأهمّها عند الفريقين ، وأحاول إبراز ما اختلفت به ، تذكيراً للقارئ حرّة الفكر والاختيار ، والنقد والتجريح.

وألفت النظر إلى أنّ العقيدة الأساسية هي بالنسبة للمسلمين كافّة عقيدة واحدة ، وهي الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله ، لا يفرّقون بين أحد من رسله ، كما يتفقون في أنّ النار حق ، والجنة حق ، وألله يبعث من في القبور ، ويحشرهم جميعاً ليوم الحساب.

كما أنّهم يتفقون على القرآن ، ويؤمنون بأنّ نبيّهم محمد رسول الله ، وقبلتهم واحدة .
ولكن وقع الاختلاف في مفهوم هذه العقائد ، فأصبحت مسرحاً للمدارس الكلامية
يرون فيها شتى الآراء والمذاهب .

العقيدة في الله تعالى

عند الطرفين

همّ وأما يذكر في هذا الموضوع هو رؤية الله تعالى ، فقد أثبتتها أهل السنة والجماعة لكلّ المؤمنين في الآخرة ، وعندما نقرأ صحاح السنة والجماعة . كالبخاري ومسلم مثلاً . نجد روايات تؤكد الرؤية حقيقة لا مجازاً^(١) بل نجد فيها تشبيهاً لله سبحانه ، وأزّه يضحك ، ويأتي ، ويمشي ، وينزل إلى سماء الدنيا ، بل ويكشف عن ساقه التي بها علامة يُعرف بها^(٢) ، ويضعُ رجله في جهنّم فتمتلئ وتقول : قط قط^(٣) ، إلى غير ذلك من الأشياء والأوصاف التي يتنزّه

١ . مسند أحمد ١ : ٣١٨ ، و ٤ : ٦٦ و ٥ : ٢٤٣ و سنن الدارمي ٢ : ١٢٦ ، سنن الترمذي ٥ : ٤٥ ، مستدرک الحاكم ١ : ٥٤٤ ، مجمع الزوائد ١ : ٢٣٧ ، عمدة القارئ في شرح صحيح البخاري ١ : ٤٠ وغيرها من المصادر.

٢ . صحيح البخاري ٦ : ٧١ ، كتاب التفسير ، تفسير سورة القلم ، و ٨ : ١٩٧ ، كتاب التوحيد ، باب قول الله (يريدون أن يدلوا) و ٨ : ٢٢٦ ، كتاب المناقب ، باب مناقب الانصار .

٣ . صحيح البخاري ٦ : ٤٧ ، كتاب التفسير ، تفسير سورة : ق .

الله جلّ وعلا عن أمثالها (١).

وأذكر أذني مررت بمدينة (لأموي كينيا بشرق أفريقيا ، ووجدت إماماً من الوهّابية يحاضر المهند داخل المسجد ، ويقول لهم بأنّ الله يدين ورجلين وعينين ووجهاً ، ولّما استنكرت عليه ذلك ، قام يستدلّ بآيات من **لِقَرَقَلَقَاتِلَآلِيزِ هُوْدُ يَدُ اللّهِ مَخْلُوْلَةٌ غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوآبِمَا قَالُوْا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ** (٢) ، **وَقُلْ أَصْلَحَ (الْمَلِكُ بِأَعْيُنِنَا** (٣) ، **كُفَلْ هُنَّ وَلِيَّهِنَّ قُلُوْبُهُنَّ رُبَّكَ ...** (٤).

قلتُ:، يكلّخّ هذه الآيات التي أدليت بها وغيرها إنّما هي مجازٌ وليست حقيقة.

أجاب قائلًا كلّ القرآن حقيقة وليس فيه مجازاً .

قلتُ : إذن ما هو تفسيركم **مَلَآئِئَةُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ هُمْ يُعْبُدُونَ** (هَذِهِ أَعْمَى فِي هُوَ فِي

الْآخِرَةِ أَعْمَى) (٥) ، فهل تحملون هذه الآيات على

١. صحيح البخاري ٦ : ٣٣ كتاب التفسير ، تفسير سورة الزمر ، وفيه إثبات الأصابع له تعالى .

٢ . المائدة : ٦٤ .

٣ . هود : ٣٧ .

٤ . الرحمن : ٢٦ - ٢٧ .

٥ . الإسراء : ٧٢ .

المعنى الحقيقي ، فكلّ أعمى في الدنيا يكون أعمى في الآخرة؟
أجاب الشيخ نتكلم عن يد الله وعين الله ووجه الله ، ولا دخل لنا في العميان.
قُلت : دعنا من العميان ، فما هو تفسيركم في الآية التي ذكرها (**بِنِ عَمِيٍّ هَمَّا**
وَيَبْقَىٰ فَاِنْ جَاهُهُ رَبِّكَ ...)؟

إلتفت إلى الحاضرين وقال لهمان فيكم من لم يفهم هذه الآية؟ إنهما واضحة جليّة
كقولك **سُبْحَانِي هَـ (هَـ أَلِكُ إِلَّا وَجْهَهُ هُ)** ^(١).
قلتُ أنت زدت الطين بلّةً ، يا أخي نحن إنّما اختلفنا في القلْبَ عَينَ أنتَ بأنّ
القرآن ليس فيه مجاز وكلّه حقيقةٌ دعيتُ أنا بأنّ في القرآن مجازاً ، وبالخصوص الآيات التي
فيها تجسيم لله تعالى أو تشبيهه ، وإذا أصررت على رأيك فيلزومك أن تقول بأنّ كلّ شيء
هالك إلا وجهه معناه بِنَدَاهُ وَرَجَلَاهُ وَكُلِّ جَسْمِهِ يَفْنَى وَيَهْلِكُ وَلَا يَبْقَى مِنْهُ إِلَّا الْوَجْهَ ،
تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ثم التفتُ إلى الحاضرين قائلاً : فهل ترضون بهذا التفسير؟
سكتَ مَلِيحٌ ولم يتكلّم شيخهم المحاضر بكلمة ، فودّعَ عنهم وخرجتُ داعياً لهم
بالهداية والتوفيق.

نعم ، هذه عقيدتهم في الله في صحاحهم وفي محاضراتهم ، ولا

١ . القصص : ٨٩ .

أقول إنَّ بعض علمائنا ينكر ذلك ، ولكن الأغلبية يؤمنون برؤية الله سبحانه في الآخرة ،
وأنتهم سوف يرونه كما يرون القمر ليلة البدر ليس دونها سحاب ، ويستدلون بالآية : (**وَجُودُهُ يُورِيهِمْ مَعْنِيَ الْبَلَاءِ وَالنَّازِعَاتِ * مَا نَاظِرَةٌ**)^(١) .

وبمجرد اطلاعك على عقيدة الشيعة الإمامية في هذا الصدد يرتاح ضميرك ، ويسلم عقلك بقبول تأويل الآيات القرآنية التي فيها تجسيم أو تشبيه لله تعالى ، وحملها على المجاز والاستعارة ، لا على الحقيقة ولا على ظواهر الألفاظ ، كما توهمه البعض .

يقول الإمام علي عليه السلام في هذا الصدد : « لا يدركه بعد الهمم ، ولا يناله غوص الفطن ، الذي ليس لصفته حدٌّ محدود ، ولا نعتٌ موجودٌ ، ولا وقتٌ محدودٌ ، ولا أجلٌ ممدودٌ ... »^(٢) .

ويقول الإمام محمد باقر عليه السلام الرد على المشبهة : « بللى كما مية زناه بأوهامنا في أدق معانيه فهو مخلوق مصنوع مثلنا مردود إلينا ... »^(٣) .

١ . القيامة : ٢٢ - ٢٣ .

هذه الآية فسرها أئمة أهل البيت عليهم السلام بأنَّ الوجوه تكون يومئذ ناضرة بمعنى الحسن والبهجة ، وإلى رحمة ربه ناظرة (المؤلف) .

٢ . نهج البلاغة ١ : ١٤ ، الخطبة ١ .

٣ . ورد الحديث في كتاب مشرق الشمس للبهائي : ٣٩٨ ، وعنه في البحار

ويكفيها في هذا ردّ الله سبحانه في محكم كَيْتَلِمُونَ قَوْلَكَ نَهْ (شَلِّهِ شَيْءٌ) (١) ، وقوله
لَا تُدْنِ (كُهُ الْأُبْصَحَ مَارُ) (٢) ، وقوله لرسوله وكليمه موسى عليه السلام لا طلب رؤيته : (**قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي**) (٣) ، ولن « الزمخشريّة » تفيد التأييد كما يقول
النحاة (٤).

٦٩ : ٢٩٣ ، ولفظه كلّ « ما مية زتموه بأوهامكم في أدقّ معانيه مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم » ، ونحوه
في تاريخ دمشق لابن عساكر ٦٦ : ٦٠ عن الشبلي .

١ . الشورى : ١١ .

٢ . الأنعام : ١٠٣ .

٣ . الأعراف : ١٤٣ .

٤ . قال الشيخ السبحاني في كتابه (رؤية الله) « ٦٦ . ٨٠ : « وربما نوقش في دلالة (لن) على التأييد مناقشة
ناشئة عن عدم الوقوف الصحيح على مقصود النحاة من قولهم « لن » موضوعة للتأييد ، ولتوضيح مرامهم نذكر
أمرين ثمّ نعرض المناقشة عليهما :

١ . إنّ الماد من التأييد ليس كون المنفي ممتنعاً بالذات ، بل كونه غير واقع ، وكم فرق بين نفي الوقوع
ونفي الإمكان ، نعم ربما يكون عدم الوقوع مستنداً إلى الاستحالة النائية .

٢ . إنّ المراد من التأييد هو النفي القاطع ، وهذا قد يكون غير محدّد بشيء ، وربما يكون محدداً بظرف
خاص ، فيكون معنى التأييد بقاء النفي بحاله ما دام الظرف باقياً .

إذا عرفت الأمرين تقف على وهن ما نقله الرازي عن الواحدي من أنّه قال :

ما نُقل عن أهل اللغة إنَّ كلمة « لن » للتأييد دعوى باطلة ، والدليل عن فساده قوله تعالى في حقَّ اليهود : (**وَلَنْ يَتَمَنَّوْا لَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَالِمُ بِالظَّالِمِينَ**) (البقرة : ٩٥) ، قال وبذلك لأنهم يتمنّون الموت يوم القيامة بعد دخولهم النار ليقال للملحأنه **لَنْ يَقْضِيَ عَلَيْهِ نَارُكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَأْكُوثُونَ**) (الزخرف : ٧٧) ، فإنَّ المراد **يَقْضِيَ عَلَيْهِ نَارُكَ** هو القضاء بالموت .

ووجه الضعف ما عرفت من أنَّ التأييد على قسمين ، غير محدد ومحدد باطراحيّاً ، ومن المعلوم أنَّ قوله **وَسَبَّحَانَهُ يَوْمَ تَمُوتُ نَفْسُهُ** ناظر إلى التأييد في الإطار الذي اتخذهُ المتكلم ظرفاً لكلامه وهو الحياة الدنيا ، فالجرمون ماداموا في الدنيا لا يتمنّون الموت أبداً ، لعلمهم بأنَّ الله سبحانه بعد موتهم يُقدّمهم للحساب وليلهم ، ولأجل ذلك لا يتمنّوه أبداً قط .

وأما ما تمّ عليهم بعد ورودهم العذاب الأليم ، فلم يكن داخلاً في مفهوم الآية الأولى حتى يعدّ التمنيّ مناقضاً للتأييد .

ومن ذلك يظهر وهن كلام آخر وهو : أنه ربما يقال : إنَّ « لن » لا تدلّ على الدوام والاستمرار **إِنِّي نَذَرْتُ لِبِئْسَاتٍ قَوْلَهُ لَوْ مَأْفَلْنُ أَكَلِمَ الْيَوْمِ أَنْسِيَاءً**) ، إذ لو كانت (لن) تفيد تأييد النفي لوقع التعارض بينهما وبين كلمة (**الْيَوْمِ**) اليوم محدد معين ، وتأييد النفي غير محدد ولا معين ، ومثله قول سبحانه على فلان **وَلَبُدْرِعْتَجِبَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي**) (يوسف : ٨٠) ، حيث حدّد بقاءه في الأرض بصدور الاذن من أبيه .

وجه الوهن : أنَّ التأييد في كلام النحاة ليس مساوياً للمعدوم المطلق ، بل المقصود هو النفي القاطع الذي لا يشق ، والنفي القاطع الذي لا يكسر ولا

يشق على قسمين :

تأييد الكلام غير محدد بظرف خاص ولا تدلّ عليه قرينة حالية ولا مقالية ، فعندئذ يساوق التأيد المعلوم المطلق.

خروجاً يكون الكلام محددًا بزمان حسب القرائن اللفظية والمثالية ، فيكون التأيد محددًا بهذا الظرف أيضاً ، ومعنى القول **مُكْرَمٌ نِمَّ (الْيَوْمَ إِنَّسِيَّأً)** (مریم : ۲۶) هو النفي القاطع في هذا الاطار ، ولا ينافي تكلمها بعد هذا اليوم.

والحاصل : أن ما تُثير من الإشكال في المقام ناشئ من عدم الإمعان فيما ذكرنا من الأمرين ، فتارةً حسبوا أن المراد من تأييد هو الاستحالة فأوردوا بأذنه ربما يكون المدخول أمراً ممكناً كما في قوله **فَقِيلَ لَنْ** **تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا** (التوبة : ۸۳) ، وأخرى حسبوا أن التأيد يلازم النفي والمعلوم المطلق ، فناقشوا بالآيات الماضية التي لم يكن النفي فيها نفيًا مطلقاً ، ولو أنهم وقفوا على ما ذكرنا من الأمرين لسكتوا عن هذه الاعتراضات.

أوبها سبحانه لم يتخذ لنفي رؤيته ظرفاً خاصاً ، فسيكون مدلوله عدم تحقّق الرؤية أبداً لا في هذه الدنيا ولا في الآخرة.

ثمّ أذنه سبحانه علّق الرؤية على استقرار الجبل وبقائه على الحالة التي كلفها عند التجلّي وعدم تحوّلها إلى ذرات ترابية عظمى بعده ، والمفروض أذنه لم يبق على حالته السابقة ، وبطلت هويته وصار تراباً مدكوكاً ، فإذا انتفى المعلق عليه (بقاء الجبل على حالته) ينتفى المعلق ، والله سبحانه بما أنه يعلم أن الجبل لا يستقر في مكانه بعد التجلي فعلق الرؤية على استقراره لكي يستدلّ بانتفائه على انتفائه ، كما قال سبحانه : **(وَلَا**

يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يُلَاحِظَ الْجَمْعَ لِمَا فِي سَمِّ الْخِيَاطِ) .

وقال الزمخشري في ردّه على من قال إنّ الرؤية لو كانت مستحيلة لما طلبها موسى ، قال : « وما كان طلب الرؤية لئلاّ ليبيكت هؤلاء الذين دعاهم سفهاء وضلالا وتبرأ من فعلهم ، وذلك أنّهم حين طلبوا الرؤية أنكروا عليهم وأعلمهم الخطأ ونههم على الحق ، فلجّوا وتمادوا في لجاجتهم وقالوا لبدّ ولن نؤمن حتى نرى الله جهرة ، فأراد أن يسمعوا لخصّ معنّد الله باستحالة ذلك وهو قوله : (لن تراني) ، ليتيقنوا وينزاح عنهم ما دخلهم من الشبهة ، فلذلك قال أنظر (أنظرُ إليك) » انتهى ما أورده من كلام الشيخ السبحاني ملخصاً .
وأما الآيات التي ذكرت لإثبات رؤية الله سبحانه وتعالى فهي لا تدلّ على ذلك .

والقرآن الكريم ينفي رؤيته تسليحاً ، **الَّذِينَ تَلَوْتُمُوهَا وَتُحِبُّونَهَا كَتُمِيعَةً وَتُنزِيلًا وَهُوَ الَّذِي يَدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّاطِفُ الْخَبِيرُ** (الأنعام : ١٠٣) .

فالآية تنفي رؤية الله سبحانه وتعالى ، وذلك :

١- إنّ الإدراك إذا أضيف إلى الأبصار يفيد الرؤية (مجمع البحرين : مادة درك) ، فمعنى الآية يكون :

لا تراه الأبصار وهو يرى الأبصار .

وما يقولون : أنّ الإدراك بمعنى الإحاطة ، والصحيح أنّ الله سبحانه وتعالى لا يحيط به المخلوق ،

فالمخلوق يرى الله لكن لا يحيط به ، والمنفي في الآية الإحاطة دون الرؤية؟

قلنا : تفسير الإدراك بمعنى الإحاطة غير صحيح ، إذ لم يذكر معنى الإدراك الإحاطة ، بحيث يفهم من

عند الإطلاق ، ولم يذكر ذلك اللغويون أيضاً ، فالإحاطة غير داخلية في معنى الإدراك .

كل ذلك دليل قاطع على صحة أقوال الشيعة الذين يعتمدون فيها

٢ فلماذا برنا الإدراك بالإحاطة وأمنّا بالرؤية ، فيكون معنى الآية : لا تحيط به الأبصار وهو يحيط بالأبصار ، وهنا لا معلق لله سبحانه وتعالى ليس محيطاً بالأبصار فقط وإنما هو محيط بكل شيء؛ البصر وصاحب البصر ، فلا وجه لأن يقيد إحاطته بالبصر .
والله سبحانه وتعالى لم يعلق الرؤية على أمر ممكن ، لأن المعلق عليه ليس هو استقرار الجبل كي يقال بأذنه ممكن ، وإنما المعلق على استقرار الجبل حال التجلي ، أي شرط الرؤية أن يستقر الجبل حال تجلي الله سبحانه وتعالى ، وقد تبين أن هذا مستحيل وغير ممكن .

ومما يدل على أن رؤية الله سبحانه وتعالى غير ممكنة في الدنيا والآخرة قوله تعالى : **(الله نور السموات**

والأرض) ، وقول النبي **صلى الله عليه وآله وسلم** عندما سأله أبو ذر هل رأيت ربك؟

قال **صلى الله عليه وآله وسلم** «نور» أنى أراه» صحيح مسلم ١ : ١١١ .

فالله سبحانه وتعالى نور ، وهو نور السموات والأرض ، فلا يمكن لبشر أن يراه .

ومعاجيب السلفية أنهم ينكرون تأويل الآيات القرآنية ويحملوها على ظاهرها ، إلا أنهم في هذه الآية

والحديث تأولوا فقالوا : معنى قوله : **(الله نور السموات والأرض)** يعني الله منور السموات والأرض!!

ومعنى قوله «نور» أنى أراه» ، يعني حجب بيني وبينه النور فكيف أراه!!

راجع : اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم : ٣٥ .

وهذا من تلاعبهم واضطرابهم في عقيدتهم ، وما على المسلم الباحث إلا النظر بعين الحقيقة ليرى الحق .

على أقوال الأئمة من أهل البيت ، معند العلم وموضع الرسالة ، ومن أورثهم الله علم الكتاب.

ومن أراد التوسع في هذا البحث فما عليه إلا الرجوع إلى الكتاب المفصّل بهذا الموضوع، ككتاب « كلمة حول الرؤية » للمسيّد شرف الدين صاحب المراجعات^(١).

١ . كتاب المراجعات من الكتب التي يجب أن يقرأها كل من يريد التعرف على عقائد الشيعة الإمامية وأفكارهم (المؤلف).

العقيدة في النبوة

عند الطرفين

والخلاف الواقع بين الشيعة وأهل السنة في هذا الباب هو موضوع العصمة ، فالشيعة يقولون بعصمة الأنبياء عليهم السلام قبل البعثة وبعدها ، ويقول أهل السنة والجماعة بأنهم المعصومون فيما يبلغونه من كلام الله فقط أما فيما عدا ذلك فهم كسائر البشر يخطئون ويصيبون.

وقد رووا في ذلك نحويات في صحاحهم تثبت بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخطأ في عدة مناسبات وكان بعض الصحابة يصوب به ويصلحه ، كما في قضية أسرى بدر التي أخطأ فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصاب عمر ولمولاه لهلك رسول الله ... (١).

ومنه أن ما قدم المدينة وجد أهلها يؤبرون النخل ، فقال لهم : « لا تؤبروه وسيكون تمراً » ولكنه جاء شيصاً ، فجاؤوه وشكوا له

١ . البداية والنهاية لابن كثير ٣ : ٢٣٤ (في غزوة بدر) ، عن أحمد ومسلم وأبي داود والترمذي .

ذلك ، فقال لهم : « أنتم أعلم بأُمور دنياكم مني ». وفي رواية أخرى قال لهم : **إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ** ، إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوه ، وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر » (١) .
ومرّة يروون أنّه سحر رَ وَبَقِيَ أَياماً مسحوراً لا يدري مايفعل ، أنّه كان يخيل إليه أنّه كان يأتي النساء ولا يأتيهنّ (٢) أو يخيل إليه أنّه صنع شيئاً ولم يصنعه (٣) .

١ . صحيح مسلم ٧ : ٩٥ ، كتاب الفضائل ، باب ٣٨ في وجوب امتثال ما قاله صلى الله عليه وآله وسلم شرعاً ، ومسند أحمد ٣ : ١٥٣ و ٦ : ١٢٣ .
٢ . صحيح البخاري ٧ : ٢٩ ، كتاب الطب ، كتاب الأدب ، باب السحر وقوله تعالى : **(ولكن الشياطين ..)** .

٣ . صحيح البخاري ٤ : ٦٨ ، كتاب الجزية والموادعة ، باب هل يعفي عن الذمي إذا سحر . لا يقال بأن أخبار السحر وردت عندكم أيضاً فلماذا تعترضون على أهل السنّة؟ وذلك لأن علماءنا تركوا تلك الروايات ولم يعولوا عليها :

قال الشيخ الطبرسي في مجمع البيان ١٠ : ٨٦٥ في تفسير سورة الفلق . بعد ذكره لبعض الروايات في هذا الباب . : « وهذا لا يجوز؛ لأنّ وصف بأنّه مسحور فكأنّه قد خبل عقله ، وقد أبى الله سبحانه ذلك في **وَقَالَ الظَّالِمُ تَوَلَّى إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسَّهُ حُورًا** » .
وقال المجلسي في البحار ٦٠ : ٤١ : « لما عرفت أنّ السحر يندفع بالعوذ والآيات والتوكل ، وهم **عليهم السلام** معادن جميع ذلك ، فتأثيره فيهم مستبعد ،

والأخبار الواردة في ذلك أكثرها عامية أو ضعيفة ومعارضة بمثلها ، فيشكل التعويل عليها في إثبات مثل ذلك .
والإيمان بأن النبي **صلى الله عليه وآله وسلم** حر ، فيه مطعن على النبوة وعلى الوحي الذي ينزل على الرسول ، ولا سيما إذا لاحظنا رواية البخاري : «حتى كان يحيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله» ، فمن الجائز نتخذه أنه يوصى إليه ولا يبلغ تصوراً منه أنه بلغ ، فإن هذا ممكن وتشمله الرواية ، وفي هذا مطعن كبير على الرسول **صلى الله عليه وآله وسلم** والرسالة الإسلامية؟

ولأجل ذلك قال الإمام محمد بن عبد الله : وهال كثير من المقلّدين الذين لا يعقلون ما هي النبوة ولا ما يجب لها : إن الخبر بتأثير السحر في النفس الشريفة قد صح فلزم الاعتقاد به ، وعدم التصديق من بدع المبتدعين؛ لأنه ضرب من إنكار السحر ، وقد جاء القرآن بصحة السحر!

فانظر كيف ينقلب الدين الصحيح والحق الصريح في نظر المقلّدين بدعقووذ بالله !
يحتج بالقرآن على ثبوت السحر! ويعرض عن القرآن في نفيه السحر عنه **صلى الله عليه وآله وسلم** ، وعده من افتراء المشركين عليه ، ويؤول في هذه ولا يؤول في تلك! مع أن الذي قصده المشركون ظاهر لأنهم كانوا يقولون إن الشيطان يلامسه **عليه السلام** ، وملامسة الشيطان تعرف بالسحر عندهم وضرب من ضروبه ، وهو بعينه أثر السحر الذي نسب إلى لبيد ، فإنه خالط عقله وإدراكه في زعمهم.

والذي يجب اعتقاده أن القرآن مقطوع به ، وأنه كتاب الله بالتواتر عن المعصوم **صلى الله عليه وآله وسلم** ، فهو الذي يجب الاعتقاد بما يثبت به وعدم الاعتقاد بما ينفيه ،

وقد جاء ينفي السحر عنه عليه السلام حيث نسب القول بإثبات حصول السحر له إلى المشركين أعدائه ،
ووبخهم على زعمهم هذا ، فإنه ليس بمسحور قطعاً « تفسير جزء عم : ١٨٣ .

وقال الجصاص : «وقد أجازوا من فعل الساحر ما هو أطم من هذا وأفطع ، ذلك أنهم زعموا أن النبي
عليه السلام سحر وأن السحر عمل في حتى قال فيه إنه يتخيل لي أني أقول الشيء وأفعله ولم أقله ولم أفعله
... ومثل هذه الأخبار من وضع الملحدين تعليباً بالحشو الطغام واستجراراً لهم إلى القول بابطال معجزات الأنبياء
عليهم السلام والقدرح فيها ، وأنه لا فرق بين معجزات الأنبياء وفعل السحرة وأن جميعه من نوع واحد.

والعجب! من يجمع بين تصديق الأنبياء عليهم السلام وإثبات معجزاتهم وبين التصديق بمثل هذا من
فعل السحرة .. « ، أحكام القرآن ١ : ٥٩ .

وحكى الفخر الرازي في مفاتيح الغيب ، ١١٥ عن القاضي أنه قال : « هذه الرواية باطلة ، وكيف يمكن
القول بصحتها والله وَ تَلَلَى يَهْوَى بِطَرَفِهَا مِنْكَ مِنَ النَّاسِ لَا يُقَالُ بِحَيْثُ أَتَى؟! ولأن
تجويزه يقضي إلى اللقح في النبوة ، ولأنه لو صح ذلك لكان من الواجب أن يصلوا إلى الضرر لجميع الأنبياء
والصالحين ، ولقدروا على تحصيل الملك العظيم لأنفسهم ، وكل ذلك باطل .
ولأن الكفار كانوا يعبرونه بأنه مسحور ، فلو وقعت هذه الواقعة لكان الكفار صادقين في تلك الدعوى ،
ولحصل فيه عليه السلام ذلك العيب ، ومعلوم أن ذلك غير جائز .»

وقال الشيخ محمد رشيد رضا في تفسير المنار ١٢٠ : «إن كتاب البخاري لا

ومرةً يروون أنه سها في صلاته ، فلم يدرِ كم صَلَّى من ركعة^(١).

يخلو من أحاديث قليلة في متونها نظر ، قد يصدق عليه بعض ما عدوه من علامة الوضع كحديث سحر بعضهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي أنكره بعض العلماء كالإمام الجصاص من المفسرين المتقدمين ، والاستاذ محمد بن عبد الله بن المتأخرين؛ لأنه معارض بقوله **يَعْلَمُونَ (الظالمون إن تتبعوا رويح إلا ما سمعوا وأنتظر ف كهيروم بنألي للفتنة لألوا فلا يس تطيعون س جيلاً)** .

١ . صحيح البخاري : (كتاب السهو) .

لا يخفى أن علماءنا اختلفوا في مسألة سهو النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى ثلاثة أقوال :

١ . ما ذهب إليه جمهور المتكلمين من منع ذلك ، قال الشيخ المفيد في رسالة عدم سهو النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ٢١ بعد إثبات أن الأخبار المثبتة للسهو أخبار أحاد لا تثمر علماً ولا توجب عملاً . : «وإذا كان الخبر بأن النبي صلى الله عليه وآله سها من أخبار الأحاد التي من عمل عليها كان بالظن عاملاً ، حرم الاعتقاد بصحته ولم يجز القطع به ووجب العدول عنه إلى ما يقتضيه اليقين من كماله عليه السلام عظمته وحراسة الله تعالى له من الخطأ في عمله ، والتوفيق له فيما قال وعمل به من شريعته » .
وقال العلامة الحلبي في كشف المراد : ٤٧٢ : « ويجب في النبي كمال العقل . . وأن لا يصح عليه السهو ، لئلا يسهو عن بعض ما أمر بتبليغه ... » .

٢ . ما ذهب إليه الشيخ الصدوق وبعض الاخباريين كنعمة الله الجزائري ويوسف البحراني من اثبات ذلك .

٣ . القول بالتوقف ، وهو قول العلامة المجلسي ، حيث قال في البحار ١٧ : ١١٨ : « إعلم أن هذه المسألة في غاية الإشكال ، لدلالة كثير من الآيات والأخبار على صدور السهو عنهم عليهم السلام ... وإطباق الأصحاب إلا »

وأذنه نام واستغرق في نومه حتى سمعوا غطيظه ، ثم استيقظ فصلّى بدون وضوء^(١) .
ويُزَوِّونَ يغضب ويسبّ ويلعنُّ من لا يستحقّ ذلك ، فيقول : «اللّهم إنّما أنا
بشرٌ» ، فأَيُّ المسلمين لعنته أو سببتهُ فاجعله له زكاة ورحمة ... »^(٢) .
ويروون أذنه كان مضطجعاً في بيت عائشة كاشفاً عن فخذه ، ودخل عليه أبو بكر
وتحدّث معه وهو على تلك الحال ، ثمّ دخل عمر وتحدّث معه وهو على تلك الحال ، ولمّا
استأذن عثمان جلس وسوّى ثيابه ، ولمّا سألته عائشة عن ذلك ، قال لها : « ألا أستحي
من رجُلٍ تستحي منه الملائكة »^(٣) !!

ما شدّ منهم على عدم جواز السهو عليهم ، مع دلالة بعض الآيات والأخبار عليه في الجملة ، وشهادة بعض
الدلائل الكلامية والأصول المبرهنة عليه ، مع ما عرفت في أخبار السهو من الخلل والاضطرار ، وقبول الآيات
للتأويل ، والله يهدي إلى سواء السبيل » ، وذكر نحوه في ٢٥ : ٣٥١ أيضاً .

- ١ . صحيح البخاري ١ : ١٦٩ ، كتاب الأذان ، باب ٥٧ و ٥٨ .
- ٢ . صحيح مسلم ٨ : ٤٥ كتاب البرّ والصلة ، باب ٢٥ من لعنه النبي صلى الله عليه وآله وسلّم سبّه .
- ٣ . صحيح مسلم ٧ : ١١٧ ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل عثمان .

ويروون إنه كان يصبح جُنباً في رمضان^(١) فتفوته صلاة الفجر!! إلى غير ذلك من الأحاديث التي لا يقبلها عقل ، ولا دين ، ولا مروءة.

أمّا الشيعة - اسئلواهم - أهله البيت - فهم ينزهون الأنبياء عن هذه الترهات ، وخصوصاً محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ، ويقولون بأنه منزّه عن الذنوب والخطايا والمعاصي صغيرة كانت أم كبيرة ، وهو معصوم عن الخطأ والنسيان والسهو والسحر وكلّ ما يخالط العقل ، بل ينزهوه حتى عمّا يتنافى مع المروءة والأخلاق الحميدة : كالأكل رفيقاً لأهل الضحك بصوت عالٍ أو المزاح بغير حقّ أو أيّ فعل يستهجن عمله عند العرف العام ، فضلاً عن أن يضع خده على خد زوجته أمام الناس ويتفرّج معها على رقص السودان^(٢) ، أو أن يخُرج زوجته في غزوة تنفيها معها فيغلبها مرّة وتغلبه أخرى ، فيقول لها : « هذه بتيك »^(٣).

والشيعة يعتبرون الروايات التي رويت في هذا المعنى ، والتي تتناقض مع عصمة الأنبياء كلّها ، موضوعة من قبل الأمويين

١- صحيح البخاري ٢ : ٢٣٤ ، كتاب الصوم ، باب ٢٥ اغتسال الصائم ، وليس فيه : أن صلواته فاتته.

٢- صحيح البخاري ٢ : ٣ ، كتاب العيدين ، باب ٢ الحراب والدرق يوم العيد.

٣- مسند أحمد بن حنبل ٦ : ٣٩ .

وأنصارهم^(١) :

أولاً لنحطّ من قيمة رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم.

١. وقد حاول عثمان الخميس في كتابه كشف الجاني : ١٤٨ البحث في مصادر الشيعة وجمع الروايات التي تنافي عصمة الأنبياء عليهم السلام ومقامهم الإلهي الرفيع ، لكن ذهب بجته أدراج الرياح ، إذ لم يحصل على روايات صحيحة يؤمن الشيعة بها وتطعن بالأنبياء عليهم السلام وكلّ ما أتى به من روايات هي كما قال عنها المؤلف « موضوعة من قبل الأمويين » النواصب أعداء أهل البيت عليهم السلام أو هي ضعيفة جداً ، أو شاذة مخالفة للروايات الصحيحة الواردة بخلافها.

وسنذكر نموذجين للقارئ ليتضح له صحة كلام المؤلف ، وعليه إن شاء مراجعة بقية الروايات :
الرواية الأولى التي ذكرها في كتابه : ١٤٨ والتي نقلها عن عيون أخبار الرضا ، فقد قال الشيخ الصدوق بعدها : « وهذا الحديديغريب من طريق علي بن محمد بن الجهم ، مع نصبه وبغضه وعدواته لأهل البيت عليهم السلام » ، عيون أخبار الرضا ١ : ١٨٢ .

والرواية الثانية التي نقلها عن تفسليقمّ سي وعن البحار ، فإنّ لفظ : « فنظر لها النبي صلى الله عليه وآله فأعجبته » غير موجود في الرواية ، وإنّما أضافها عثمان الخميس من عنده ، مضافاً إلى أنّ صاحب البحار ينقل رواية عيون أخبار الرضا عليه السلام لمتقدّمة ، وهي التي رواها الناصبي علي بن محمد بن الجهم .

وهكذا بقية الروايات التي أوردتها ، تجدها إما مروية عن النواصب ، أو مكذوبة ، أو ضعيفة ، أو يضيف إليها عثمان الخميس من عنده كما فعل في رواية البحار وتفسير علي بن إبراهيم القمي .

وثانياً لكي يلتمسوا عذراً لأعمالهم القبيحة وأخطائهم الشنيعة التي سجدَّ لها لهم التاريخ.

فإذا كان رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله ويطلبُ ويميلُ مع الهوى ، كما رووا ذلك في قصة عشقه زينب بنت جحش لما رآها تمشط شعرها وهي زوجة لزيد بن حارثة ، فقال : سبحان الله مٌقدَّب القلوب « (أو قصة ميله إلى عائشة وعدم عدله مع بقية زوجاته ، حتى بعثَ له مرة مع فاطمة ومرة مع زينب بنت جحش ينشدنه العدل)^(٢).

فإذا كان رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم على هذه الحالة ، فلا لوم بعد ذلك على معاوية بن أبي سفيان ومروان بن الحكم وعمرو بن العاص ويزيد بن معاوية ، وكل الخلفاء الذين فعلوا الموبقات واستباحوا الحرمات وقتلوا الأبرياء.

والأئمة من أهل البيت عليهم السلام الذين هم أئمة الشيعة يقولون بعصمته صلى الله عليه وآله ويؤيِّدونه بالآيات القرآنية التي يفهمُ ظاهراً أن الله ﷻ سبحانه

عاب نبيَّه عمَّته : (وَتَوَلَّى)^(٣) ، أو التي في بعضها إقرار الذنوب عليه كقوله : (

لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ

١- تفسير القرطبي ١٤ : ١٩٠ .

٢- صحيح مسلم ٧ : ١٣٥ ، باب فضائل عائشة ، من كتاب فضائل الصحابة .

٣- عبس : ١ .

وَمَا تَأْخُذُكَ (١) ، أَوْ قَلْبَهُمْ: (تَابَ عَلَّلِيُّ النَّبِيِّ عِذَا مَا لَلَهُ^(٢) عَوْزُكَ لَمْ أَذِنْتَ لَهُمْ^(٣))

وكل هذه الآيات لا تحدش في عصمته صلى الله عليه وآله وسلم ، فبعضها لم يكن هو المقصود، وبعضها الآخر يحمل على المجاز لا على ظواهر الألفاظ ، وهو كثير الاستعمال في لغة العرب ، وقد استعمله سبحانه في القرآن الكريم .
ومن أراد التفصيل والوقوف على حقيقة الأشياء فما عليه إلا الرجوع إلى كتب التفسير عند الشيعة ، أمثال :الميزان في تفسير القرآن للعلامة الطباطبائي ، وتفسير الكاشف لمحمد جواد مغنية ، والاحتجاج للطبرسي ، وغياثهمي رُمتُ الاختصار ، وإبراز عقيدة الفريقين بصفة عامة ، وليس هذا الكتاب إلا لغرض بيان قناعاتي الشخصية التي اقتنعتُ بها ، والحقبة الشخصية لمذهب يقول بعصمة الأنبياء والأوصياء من بعدهم ويُدريحُ فكري ، ويقطعُ عني طريق الشكِّ والحيرة .
والقول بأنه معصوم فقط في تبليغ كلامه لله^(٤) هراءٌ لا حجة فيه ؛

١ . الفتح : ٢ .

٢ . التوبة : ١١٧ .

٣ . التوبة : ٤٣ .

لأنّه ليس هناك دليلٌ على أنّ هذا القسم من كلامه هو من عند الله ، وذاك القسم هو من عند نفسه ، فيكون في الأوّل معصوماً ، ويكون في الثاني غير معصوم ويحتمل فيه الخطأ. أعوذ بالله من هذا القول المتناقض الذي يبعثُ على الشكّ والطعن في قداسة الأديان.

وهذا يذكرني بمحاورة دارت بيني وبين جماعة من الأصدقاء بعد استبصاري ، وكنتُ أحاول إقناعهم بأنّ رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم معصوم ، وكانوا يحاولون إقناعي بأنّه معصوم فقط في تبليغ القرآن ، وكان من بينهم أستاذٌ من « توزد » منطقة الجريد^(١) ، وهم مشهورون بالذكاء والعلم والنكتة الطريفة ..

ففكّر قليلاً ثم قال : يا جماعة ، أنا عندي رأي في هذه المسألة.

فقلنا جميعاً : تفضّل هات ما عندك .

قال : إنّ ما يقوله أخونا التيجاني لملنان الشيعة هو الحقّ الصحيح ، ويجبُ علينا الاعتقاد بعصمة الرسول المطلقة ، وإلاّ داخلنا الشكّ في القرآن نفسه.

قالوا : ولم ذلك؟

١ . منطقة الجريد بالجنوب التونسي تبعد عن قفصة ٩٢ كم ، وهي مسقط رأس أبو القاسم الشابي الشاعر المعروف ، والخضر حسين الذي ترأس الأزهر الشريف ، والكثير من علماء تونس مولودون في هذه المنطقة (المؤلف) .

أجاب على القول فوجدتمُ أيَّ سورة من سور القرآن تحتها إمضاء الله تعالى؟
ويقصد بالإمضاء الختم الذي يختم به العقود والرسائل ، دلالة على هوية صاحبها
وأثماً صادرة عنه.

وضحك الجميع لهذه النكتة الطريفة ، ولكنها ذات معنى عميق ، فأَيَّ إنسان غير
متعصبٍ بـ يتعمَّن بعقله ستصدمه هذه الحقيقة ، ألا وهي الاعتقاد بأن القرآن كلام الله ،
وهو الاعتقاد بعصمة مبلَّغه المطلقة بدون تجرؤة لا يمكن لأحد أن يدعي بأزاه سمع الله
تكلمهُ ، ولا يدعي أحدٌ بأنه رأى جبرائيل عندما ينزل بالوحي .

والخلاصة: قول الشيعة في العصمة قولٌ شديد يطمئن إليه القلب ويقطع وساوس
نفلس والشيطان ، ويقطع الطريق على كل المشاغبين ، وخصوصاً أعداء الدين من اليهود
والنصارى والملحدين الذين يبحثون عن ثغرات ينفذون منها لنسف معتقداتنا وديننا ،
والطعن في نبينا ، فتراهم كثيراً ما يحتجُّون علينا بما أورده صحيح البخاري ومسلم من أفعال
وأقوال تنسبُ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منها بريء^(١) .

١ . أخرج البخاري في صحيحه ٣ : ١٥٢ باب شهادة الأعمى ، من كتاب

وكيف لنا أن نقنعهم بأن كتاب البخاري وكتاب مسلم فيهما بعض الأكاذيب^(١).
وهذا الكلام خطير طبعاً لأن أهل السنة والجماعة لا يقبلونه ، فالبخاري عندهم
أصح كتاب بعد كتاب الله !

الشهادات) قال : «حدثنا ابن عبيد ميمون أخبرنا عيسى ... عن عائشة قالت : سمع النبي
صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ في المصحف فقال لله لقد أذكرني كذا وكذا أية أسقطتهن من سورة
كذا وكذا ... » .

اقرأ واعجب أيها القاري من هذا الرسول الذي يسقط الآيات ، ولولا هذا الأعمى الذي ذهبن لكن
في خير كان ألتغفر الله من هذا الهذيان (المؤلف) .

١ . قال السيد محمد رشيد رضا في جواب سؤال حول صحيح البخاري . بعد ما نفى وجود الموضوعات فيه . قال :
«لكنه لا يخلو من أحاديث قليلة في متونها نظر قد يصدق عليه بعض ما عدوه من علامة الوضع .. » ، مجلة
المنار ٢٩ : ١٠٤ ، عنه في أضواء على السنة المحمدية لأبي رية : ٣٠٥ .

أمّا بالنسبة إلى صحيح مسلم ، فقد قال الأستاذ أبو رية في أضواء على السنة المحمدية : ٣٠٩ : « وقد
بلغت الأحاديث التي انتقدت على مسلم ١٣٢ ، وعدد من انتقدوهم من رجاله ١١٠ » ثم ذكر اعتراض أبي
زرعة الرازي على مسلم .

وتقدم كلام الشيخ محمد عبده وكلام الجصاص وهما ينكران حديث سحر النبي
صلى الله عليه وآله وسلم طعان فيه ، وأنه موضوع كما قال الجصاص ؛ فهذا يدل على عدم إيمانها بما
في صحيح مسلم والبخاري ، وأن فيهما المكذوب على النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

العقيدة في الإمامة

عند الطرفين

والقصد من الإمامة في هذا البحث هي الإمامة الكبرى للمسلمين ، أعني الخلافة والحكم ، والقيادة والولاية.

وبما أن كتابي اعتمد في أبحاثه على المقارنة بين مذهب أهل السنة والجماعة والشيعة الإمامية ، لابلغن لإبراز مبدأ الإمامة عند الفريقين ، حتى يتبين للقارئ والباحث ما هي الأسس والمجالي التي يتركز عليها كل من الفريقين ، ويعرف بالتالي القناعات التي ألزمتني بقبول التحول وترك ما كنت عليه.

فالإمامة عند الشيعة : هي أصل من أصول الدين ، لما لها من الأهمية الكبرى والخطورة العظمى ، وهي قيادة خير أمة أخرجت للناس ، وما تقوم عليه القيادة من فضائل عديدة وخصائص فريدة ، أذكر منها : العلم ، والشجاعة ، والحلم ، والنزاهة ، والعفة ، والزهد ، والتقوى ، والصلاح .. الخ.

فالشيعة يعتقدون بأن الإمامة منصب إلهي يعهد به الله سبحانه إلى

من يصطفيه من عباده الصالحين؛ ليقوم بذلك الدور الخطير ، ألا وهو قيادة العالم بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وعلى هذا كان الإمام علي بن أبي طالب إماماً للمسلمين باختيار الله ﷻ له ، وقد أوحى لرسوله لكي ينصّب به علماً للناس ، وقد نصّب به رسول الله ﷻ صلى الله عليه وآله وسلم، ودلّ الأئمّة عليه وبعد حجّة الوداع في غدِير خم ، فبايعوه ، هذا ما يقوله الشيعة.
مّا أهل السنّة والجماعة فيقولون . أيضاً . بوجود الإمامه لقيادة الأئمّة ، ولكنّهم يجعلون للأمة حقّ اختيار إمامها وقائدتها ، فكان أبو بكر بن أبي قحافة إماماً للمسلمين باختيار المسلمين أنفسهم له بعد وفاة رسول الله ﷻ صلى الله عليه وآله وسلم ، الذي سكت عن أمر الخلافة ولم يبين ﷻ للأئمّة شيئاً منها ، وترك الأمر شورى بين الناس.

أين الحقيقة؟

إذ لا تأمل الباحث في أقوال الطرفين ، وتمعّن في حجج الفريقين بدون تعصّب ، فسوف يقترب من الحقيقة بدون شكّ .

وها أنا سوف أستعرض وإياكم الحقيقة التي وصلت إليها على النحو التالي :

١ . الإمامة في القرآن الكريم :

وَ إِذِ ابْتُلِيَ آلُ لُوطَ اللَّهِ رَبُّهُمْ رَبِّهِمْ (رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُمْ) قَالَ إِنِّي

جَاهَالِكُمْ لِمَلِيئَاتِ ذُرَامٍ يَلْبِيَّ قَالَ لَا يَنْأَلُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (١).

في هذه الآية الكريمة يبين الله لنا بأن الإمامة منصب إلهي يعطيه الله لمن يشاء من عباده ليجولع: (لِكَلِمَاتٍ إِمَامَةٍ) كما توضح الآية بأن الإمامة هي عهد من الله لا ليعا إلا العباد الصالحين الذين اصطفاهم الله لهذا الغرض؛ لانتفائه عن الظالمين الذين لا يستحقون عهده سبحانه وتعالى.

أَهُمْ أُمَّةٌ يَهْدُونَ قُلُوبَهُمْ وَنُقِلَتْ لَهُمُ الْوَيْدَانُ وَذُرُومُهُمْ يُنَادُوا إِلَيْهِمْ فَعَمِلُوا خَيْرَ الْأَعْمَالِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَرَبُّوا نَفْسَهُمْ بِمَا كَفَرُوا لَنَا عَابِدِينَ (٢).

سَامَ وَقَتْلَهُمْ سَهْجًا نِمْنًا تَعَالَى هُوَ يُدْعُونَ لَنَا بِمَا كَفَرُوا لَنَا عَابِدِينَ (٣).

وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِمَا نَعْبُدُ رَبَّنَا لَا تَشْرِكُ لَهُ شَيْئًا مِنْ دُونِهِ لَعَلَّ نَجْعَلُهُمْ أُتْرُقًا وَمَنْ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِمَا نَعْبُدُ رَبَّنَا لَا تَشْرِكُ لَهُ شَيْئًا مِنْ دُونِهِ لَعَلَّ نَجْعَلُهُمْ أُتْرُقًا (٤).

وقد يتوهّم البعض بأن مدلول الآيات المذكورة يفهم منها بأن

١. البقرة : ١٢٤ .

٢. الأنبياء : ٧٣ .

٣. السجدة : ٢٤ .

٤. القصص : ٥ .

الإمامة المقصودة هنا هي النبوة والرسالة ، وهو خطأ في المفهوم العام للإمامة لأن كل رسول هو نبي وإمام ، وليس كل إمام رسول أو نبي.

ولهذا الغرض أوضح الله سبحانه تعالى في كتابه العزيز بأن عباده الصالحين يمكن لهم

أنسيألوه هذا المنصب الشريف ليتشرّفوا بمهادية الناس وينالوا بذلك الأجر العظيم ، قال

ذِينَ لَا يَشْتَغِلُونَ بِالْأَنْزُورِ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ وَالْمَنْرِيِّ كَذِبًا أَفْكَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَأْخُرُوا عَلَيْهَا رَبِّهَا يُقُولُونَ سُبْحَانَ اللَّهِ مَا هَذَا بَلْ أَتَيْنَاهَا نَارًا مُوقَدَةً وَمِنَ الْأَعْيُنِ وَأَجْرًا لِمَنَّا لِمَن تَقَبَّلَ مِنْ إِمَامًا (١).

كأن القرآن الكريم استعمل لفظ الإمامة للتدليل على القادة والحكام الظالمين

الذين يضلّون أتباعهم وشعوبهم ، ويقودونهم إلى الفساد والعذاب في الدنيا والآخرة ، فقد

جاء في الذكر الحكيم حكاية عن فرعون وجفأه قوله تعالى بجز (مُؤَدَّهٌ فَنذَبَتْهَا لَنَا هُمْ

فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَوْنَهُمْ عَمَلَهُمْ بَاهِتُمْ لَطَائِفًا لَمَمِينَ مَدَّعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا وَاُتْبِعُوا فِيهِمْ هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً يُرْمَوْنَ فِيهَا مِمَّنْ كَفَرَ وَوَجَّهْنَا لَهَا تَهْنِئَةً وَنَجَّيْنَاهَا لِقَوْمٍ أَتَيْنَاهُمُ مِنْ قِبَلِهِ السَّمَاءَ أَتَيْنَاهُمُ مِنَ الْفَوْقِ بِالْحِجَابِ وَأَنزَلْنَا الْهَبْلَ الْخَازِئِرَ الَّذِي يَرْمِيهِم بِهِ حُبَابًا رَافِقًا مِمَّنْ هُمْ أَكْثَرٌ عَلَيْهِمْ يُخَذُّونَ الْأَقْبَابَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُضَلُّونَ (٢).

١. الفرقان : ٧٢ - ٧٤.

٢. القصص : ٤٠ - ٤٢.

وعلى هذا الأساس فقول الشيعة هو الأقرب لما أقرّه القرآن الكريم إنّ الله سبحانه وتعالى أوضح بما لا يدع مجالاً للشك بأنّ الإمامة منصب إلهي وهبته الله حيث يشاء ، وهو عهد الله الذي نفاه عن الظالمين.

وبما أنّ غير علي من صحابة النبي قد أشركوا فترة ما قبل الإسلام ، فإنهم بذلك يصبحون من الظالمين ، فلا يستحقّون عهد الله لهم بالإمامة والخلافة.

ويبقى قول الشيعة بأنّ الإمام علي بن أبي طالب استحقّ وحده دون سائر الصحابة عهد الأئمة بالإمامة بعد إلاّ الله ، وكرّم الله وجهه دون الصحابة ، لأنّه لم يسجد لصنم.

وإذا قيل بأنّ الإسلام يجب ما قبله.

قلنا نعم ولكن يبقى الفرق كبيراً بين من كان مشركاً وتاب ، ومن كان نقيّاً خالصاً لم يعرف إلاّ الله .

٢. الإمامة في السنّة النبوية :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنّ إمامة أقوالاً متعدّدة ، رواها كل من الشيعة والسنّة في كتبهم ومسانيدهم ، فمرّة تحدّث عنها بلفظ الإمامة ، ومرّة بلفظ الخلافة ، وأخرى بلفظ الولاية أو الإمارة.

جاء في الإمامة قوله صلى الله عليه وآله وسلم : «خيار أئمتكم الذين تحبّونهم

ويجبّونكم وتلهون عليهم ويصلّون عليكم ، وشرار أئمة تتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم » ، قالوا يا رسول الله أفلا نناذبهم بالسيف؟
فقال : « لا ما أقاموا فيكم الصلاة »^(١).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهدائي ولا يستنونّ بسنّتي ، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس »^(٢).

وجاء في الخلافة قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة ، أو يكون عليكم إثنا عشر خليفة كلّهم من قريش »^(٣).

وعن جابر بن سمرة قال سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة ثمّ » قال كلمة لم أفهمها ، فقلت لأبي : ما قال؟ فقال : « كلّهم من قريش »^(٤).

وجاء في الإمارة قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون

،

١ . صحيح مسلم ٦ : ٢٤ ، كتاب الإمارة ، باب خيار الأئمة وشرارهم .

٢ . صحيح مسلم ٦ : ٢٠ ، كتاب الامارة ، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن .

٣ . صحيح مسلم ٦ : ٤ ، كتاب الامارة ، باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش .

٤ . المصدر نفسه .

فمن عرف بريء ، ومن أنكر سلم ، ولكن من رضي وتابع ، قالوا : أفلا نقاتلهم قال : « لا ، ما صلّوا »^(١).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم في لفظ الإمارة أيضاً : « يكون اثنا عشر أميراً ... كلهم من قريش »^(٢).

وجاء عنه صلى الله عليه وآله وسلم محذراً أصحابه : « ستحرصون على الإمارة ، وستكون ندامة يوم القيامة ، فنعم المرزعة وبئست الفاطمة »^(٣).

وجاء الحديث أيضاً بلفظ الولاية :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من والي رعيّة من المسلمين فيموت وهو غاش لهم إلاّ حرّم الله عليه الجنة »^(٤).

كما حدّث صلى الله عليه وآله وسلم بلفظ الولاية : « لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً كلهم من قريش »^(٥).

وبعد هذا العرض الوجيز عن مفهوم الإمامة أو الخلافة التي

١ - صحيح مسلم ٦ : ٢٣ ، كتاب الإمارة ، باب وجوب الإنكار على الأمراء.

٢ - صحيح البخاري ٨ : ١٢٧ ، كتاب الأحكام ، باب الاستخلاف.

٣ - صحيح البخاري ٨ : ١٠٧ ، كتاب الأحكام ، باب ما يكره من الحرص على الإمارة.

٤ - صحيح البخاري ٨ : ١٠٧ ، كتاب الأحكام ، باب من استرعى رعية فلم ينصح.

٥ - صحيح مسلم ٦ : ٣ ، كتاب الامارة ، باب الخلافة في قريش.

اعترضتها من القرآن الكريم ، ومن السنة النبوية الصحيحة بدون تفسير ولا تأويل ، بل اعتمدتُ على صحاح أهل السنة دون غيرهم من الشيعة؛ لأنّ هذا الأمر - أعني الخلافة في اثني عشر كلهم من قريش - عندهم من المسلّمات التي لا غبار عليها ، ولا يختلف فيها اثنان منهم ، مع العلم بأنّ ضيع علماء أهل السنة والجماعة يصرّحون بأنّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال : « يكون بعدي اثنا عشر خليفة كلّهم من بني هاشم »^(١) . وعن الشعبي عن مسروق قال : « بينما نحن عند ابن مسعود نعرض مصاحفنا عليه ، إذ قال له فتى بهل عهد إليكم نبيّكم كم يكون من بعده خليفة؟ قال إنك لحديث السنّ ، وإنّ هذا شيء ما سألتني عنه أحد قبلك ، نعم عهد إلينا نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم إنّه يكون بعده اثنا عشر خليفة بعدد نقيب بني إسرائيل ... »^(٢) .

وبعد هذا فلنستعرض أقوالنا على صحّة إدعاء كلّ منهما من خلال النصوص الصريحة ، كما ناقش تأويل كلّ منهما في هذه المسألة الخطيرة التي فرقت المسلمين من يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى يومنا هذا ، وقد نشأ من ذلك اختلاف المسلمين إلى مذاهب

١ - يناير المودة ٢ : ٣١٥ و ٣ : ٢٩٠ .

٢ - يناير المودة ٣ : ٢٩٠ .

وفرق ومدارس كلامية وفكرية ، بعد أن كانوا أمّة واحدة.

فكلّ خلاف وقع بين المسلمين ، سواء في الفقه أو في التفسير للقرآن أو في فهم السنّة النبوية الشريفة ، منشؤه وسببه الخلافة ، وما أدراك ما الخلافة ، التي أصبحت بعد السقيفة أمراً واقعاً يُستنكر بسببها أحاديث صحيحة وآيات صريحة ، وتختلّق من أجل تثبيتها وتصحيحها أحاديث أخرى لا أساس لها في السنّة النبوية الصحيحة.

وهذا يذكرني بإسرائيل ، والأمر الواقع ذلك أنّ الرؤساء والملوك العرب اجتمعوا واتفقوا عترائن لإسرائيل ولا تفاوض معها ولا سِلم ، فما أخيراً بالقوّة لا يستردّ بغير القوة ، وبعد هزلة قليلة اجتمعوا من جديد ليقطعوا هذه المرّة علاقاتهم مع مصر التي اعترفت بالكيان الصهيوني ، وبعد سنوات قليلة أعادوا علاقاتهم مع مصر ولم يطعنوا بعلاقتها بإسرائيل أنّهم لم تعترف بحقّ الشعب الفلسطيني ، ولم تغير شيئاً من موقفها ، بل زادت في تعذّرها وضاعفت قمعها للشعب الفلسطيني ، فالتاريخ يعيد نفسه ، وقد اعتاد العرب التسليم بالأمر الواقع.

رأي أهل السنة والجماعة

في الخلافة ومناقشته

رأيهم معروف ، وهو أن رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم لم يُعين أحداً للخلافة ، ولكن أهل الحل والعقد من الصحابة اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة ، وولّوا أمرهم أبا بكر الصديق ، لمكانته من رسول الله ﷺ ، ولأن رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم استخلفه في الصلاة أيام مرضه ، فقالوا لرضيه رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم لأمر ديننا ، فكيف لا نرضاه لأمر دينانا؟

ويتلخّص قولهم في :

١. الرسول لم ينصّ على أحد.

٢. لا تكون الخلافة إلا بالشورى.

٣. استخلاف أبي بكر وقع من طرف كبار الصحابة.

نعم ، هذا رأيي عندما كنت مالكياً ، أدافع عن كل من أوتيت من قوّة ، وأستدلّ عليه بآيات الشورى ، وأحاول جهدي التبرّح بأنّ الإسلام هو دين الديمقراطية في الحكم ، وأنّه السابق لهذا المبدأ الإنساني الذي تفخرُ به الدول المتحضّرة الراقية.

وأقول إذا كان الغربُ ماعرف النظام الجمهوري إلاّ في القرن التاسع عشر ، فإنّ الإسلام عرفه وسبقهم إليه في القرن السادس.

ولكن ، وبعد لقائي بعلماء الشيعة وقراءة كتبهم ، والاطّلاع على أدلّتهم المقنعة التي هي موجودة في كتبنا ، غيرتُ رأيي الأوّل ، لمّا أسفرت الحجّة عن وجهها؛ لأنّه لا يليق بجلال الله سبحانه أن يترك أمّة بدون إمام ، وهو القائل **إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ** (١).

كما لا يليق برحمة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يترك أمّة بدون راع ، وبالخصوص إذا عرفنا أنّه كان يخشى على أمته الفرقة (٢) والانقلاب على الأعقاب (٣) ، والتنافس على الدنيا (٤) ، حتى يضرب بعضهم رقاب بعض (٥) ، ويتبعوا سنن اليهود والنصارى (٦).

١. الرعد : ٧ .

٢ . سنن الترمذي ٤ : ١٣٤ وسنن أبي داود ٢ : ٣٩٠ وسنن ابن ماجه ٢ : ١٣٢١ ومسنند أحمد بن حنبل ٢ : ٣٣٢ والمصنف لعبد الرزاق ١٠ : ١٥٦ .

٣ . صحيح البخاري ٧ : ٢٠٩ كتاب الرقاق ، باب الحوض .

٤ . صحيح البخاري ٧ : ٢٠٩ كتاب الرقاق ، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها .

٥ . صحيح البخاري ٨ : ٩١ ، كتاب الفتن ، باب قول النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم : لا ترجعوا بعدي كفّاراً .

٦ . صحيح البخاري ٨ : ١٥١ ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب قول النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم لتتبعن سنن من كان قبلكم .

وإذا كانت أمّ المؤمنين عائشة بنت أبي بكر تبعث إلى عمر بن الخطاب حين طعن فتقول للمستخلف على أمّة محمد ولا تدعهم بعدك هملاً ، فإني أخشى عليهم الفتنة »^(١).

وإذا كان عبدالله بن عمر يدخل على أبيه حين طعن فيقول له : «إنّ الناس زعموا أنّك غير مستخلف ، وإنّه لو كان لك راعي إبل أو راعي غنم ثمّ جاءك وتركها رأيت أنّ قد ضيّع ، فرعاية الناس أشدّ .. »^(٢).

وإذا كان أبو بكر نفسه . وهو الذي استخلفه المسلمون بالشورى . يحطّم هذا المبدأ ويسارع إلى استخلاف عمر من بعده ليقطع بذلك دابر الخلاف والفرقة والفتنة ، وهو الأمر الذي تنبأ به علي عليه السلام حينما شدّد عليه عمر لمبايعة أبي بكر فقال له : « احلب حلباً لك شطره ، واشدد له اليوم يردده عليك غداً »^(٣).

أقول : إذا كان أبو بكر لا يؤمن بالشورى ، فكيف نصدّ بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ترك الأمر بدون استخلاف؟! وهل أنّه لم يكن يعلم

١ . الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١ : ٤٢ .

٢ . صحيح مسلم ٦ : ٥ ، كتاب الإمامة ، باب الاستخلاف وتركه .

٣ . الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١ : ٢٩ ، شرح النهج لابن أبي الحديد ٦ : ١١ نقلا عن كتاب السقيفة للجوهري .

ما عمله أبو بكر وعائشة وعبدالله بن عمر ، وما يعلمه كل الناس بالبداهة ، من اختلاف الآراء وتشتت الأهواء عندما يوكل إليهم أمر الاختيار ، بالخصوص إذا كان الأمر يتعلق بالرئاسة واعتلاء منصّة الخلافة؟!!

كمقع ذلك بالفعل حتىّ في اختيار أبي بكر يوم السقيفة ، إذ إنّنا رأينا خلاف سيّد الأنصار سعد بن عبادة ، وابنه قيس بن سعد ، وعلي بن أبي طالب ، والزبير بن العوّام ، والعباس بن عبدالمطلب ، وسائر بني هاشم ، وبعض الصحابة الذين كانوا يرون الخلافة حقّاً لعلي عليه السّلام في داره عن البيعة حتىّ هُدّ دوا بالحرق^(١) .

في مقابل ذلك نرى الشيعة الإمامية يثبتون عكس مقالة أهل السنّة ، ويؤكّدون بأنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ليّاً للخلافة ، ونصّ عليه في عدّة مناسبات ، وأشهرها في غدِير خم .

وإذا كان الإنصاف يقتضي منك أن تستمع إلى خصمك ليدلي برأيه وحجّته في قضية وقع الخلاف فيها معك ، فكيف إذا احتجّ خصمك بما تشهد أنتَ نفسك بوقوعه^(٢)؟!!

١ . تاريخ الخلفاء لابن قتيبة ١ : ٢٩ وما بعدها .

٢ . وذلك أنّه ليس هناك دليل عند الشيعة إلّا وفي كتب السنّة مصداقه (المؤلّف) .

وليس دليل الشيعة دليلاً واهياً أو ضعيفاً حتى يمكن التغاضي عنه وتناسيه بسهولة ، وإثماً الأمر يتعلّق بآيات من الذكر الحكيم أنزلت في هذا الشأن ، وأولها رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم من العناية والأهمية ما سارت به الركبان ، وتناقص العام ، حتى ملأت كتب التاريخ والأحاديث وسجّله الرواة جيلاً بعد جيل .

١ . ولاية علي في القرآن الكريم :

يُكُفِّرُ اللَّهُ ﷻ قَالَ اللَّهُ ﷻ وَتُعَالِمُوا إِيَّاهُ (الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ زَكَاةً وَيَتَوَالَى كَالَّذِينَ هُمْ سُرُكُولُهُمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ ﷻ هُمُ الْغَالِبُونَ) (١) .

أخرج الإمام أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره الكبير (٢) بإسناد إلى أبي ذرّ الغفاري قال سمعتُ رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم يقول : «عليّ قائد البرّة ، وقاتل الكفرة ، منصور من نصره ، مخذول من خذله .» أما أني صلّيت مع رسول الله ﷺ ذات يوم ، فسأل سائل في المسجد ،

١ . المائدة : ٥٥ . ٥٦ .

٢ . أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الثعلبي المتوفى سنة ٣٣٧ هـ ، ذكره ابن خلكان وقال : « كان أوحد زمانه في علم التفسير صحيح النقل موثوق به » (المؤلف) .

فلم يُعطِ شيعياً ، وكان علي راعياً فأوماً بخصره إليه وكان يتختم بها ، فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم من خصره.

فتضرّع النبي صلى الله عليه وآله وسلم عزّ وجلّ يدعو ، فقال : «اللهم إن أخي مقلبي سألك : (شَرَحَ لِي وَصِيَّ مَسْرِي* وَبِي أَحْلَى مَرِي مُدَّةً مِّنْ لِّسَانِي يَفُوقَهَا مُوَاخَلٌ لِّي* وَ زَيْرًا مِّنْ أَهْلِ هَجَارٍ* وَ أَخِي شَدِيدُهُ وَأَزْأَشِيرُ كُنْهُ فِي أَمْرِي كَيْ نُسَمِيَّ* حَكَ وَكَثْرَ نِيَاكُ* كَ كِتَابِكِ بِرَأَكُنْتِ بِنَا بِصَمِيرًا) وأوحيت إليه قلباً أوتيت سؤلك يا موصولي (وإنني عبدك ونبيك ، فاشرح لي صدري ، ويسر لي أمري ، واجعل لي وزيراً من أهلي عليّاً ، أشدد به ظهري .»

قال أبوؤفلقه : ما استتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الكلمة حتى هبط إنمّ لعله الأيمن جبل الليل جودوا الآيه وئله (وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمَنْ يُوْتُوا يُوْتُوا نَأْوِلَ اللَّهِ الْهُمَّ رَسَاكُولَهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حَزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ) (٢)

ولا خلاف عند الشيعة في أنّها نزلت في علي بن أبي طالب ،

١ . طه : ٢٥ - ٣٦ .

٢ . المائة : ٥٥ - ٥٦ ، وانظر : شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ١ : ٢٣٠ ، نظم درر السمطين للزرندي :

رواية عن أئمة أهل البيت عليهم السلام ، وهي من الأخبار المتسالم عليها عندهم ، فقد رُويتُ في العديد من كتب الشيعة المعتبرة عندهم ، مثل :

١. بحار الأنوار للمجلسي [٣٥ : ١٨٣] .
 ٢. إثبات الهداة للحرّ العاملي [٢ : ١٢٠ : الباب العاشر] .
 ٣. تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي [٦ : ١٥] .
 ٤. تفسير الكاشف لمحمد جواد مغنية .
 ٥. الغدير للعلامة الأميني [٢ : ٩١] .
- وغير هؤلاء كثير .

كما روى نزولها في علي بن أبي طالب من علماء السنّة والجماعة جمع غفير ، أذكر منهم فقط علماء التفسير :

١. تفسير الكشاف للزمخشري ١ : ٦٤٩ .
٢. تفسير الطبري ٦ : ٢٨٨ .
٣. زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٢ : ٣٨٣ .
٤. تفسير القرطبي ٦ : ٢١٩ .
٥. تفسير الفخر الرازي ١٢ : ٢٦ .
٦. تفسير ابن كثير ٢ : ٧١ .
٧. تفسير النسفي ١ : ٢٨٩ .
٨. شواهد التنزيل للحسكاني الحنفي ١ : ١٦١ .

٩. الدر المنتور في التفسير بالمأثور للسيوطي ٢ : ٢٩٣ .
 ١٠. أسباب النزول للإمام الواحدي : ١٤٨ .
 ١١. أحكام القرآن للجصاص ٤ : ١٠٢ .
 ١٢. التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي ١ : ١٨١ .
 وما لم أذكره من كتب السنّة أكثر مما ذكرت^(١) .

١ . وقد ذكر صاحب كتاب منهج أهل البيت في مفهوم المذاهب الإسلامية : ٤٥ اعتراضاً على الاستدلال بهذه الآية على الولاية لعلي بن أبي طالب عليه السلام كما اعترض غيره بما حاصله إنّ التصدّق في أثناء الصلاة يناهي التوجّه والانقطاع إلى سبحانه وتعالى ، فالروايات الواردة في نزول الآية في حقّ علي بن أبي طالب تقدح في خشوعه في الصلاة فضلاً عن أن تعدّ من مناقبه ويستدلّ بها على إمامته؟! وفي الجواب على ذلك نورد كلام العلامة الآلوسي في روح المعاني ٦ : ٣٣٦ ، حيث أورد هذا الاعتراض ودفعه فقال : قيل لابن الجوزي رحمه الله كيف على تصدّق عليّ كرّم الله تعالى وجهه بالخاتم وهو في الصلاة ، والظنّ ليلعلم الجازم أنّ له كرّم الله تعالى وجهه شغلاً شاغلاً فيها عن الالتفات إلى ما لا يتعلّق بها ، وقد حكى ممّا يؤدّد ذلك كثيراً؟!
 فأنشأ يقول :

يسقي ويشرب لا تلهيه سكرته عن النديم ولا يلهو عن الناس
 أطاعه سكره حتى تمكّن من فعل الصّحة فهذا أوحد الناس «
 فعليّ عليه السلام نقل عن طاعة العبادة إلى طاعة الصدقة ، فهو مع الله

٢. آية البلاغ تتعلق أيضاً بولاية علي :

بَلِّغْ قَالًا تُلْزِلُ فِيهِ الْأَيْهَةَ الرَّابِعَةَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ
رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ (١).

يقول بعض المفسرين من أهل السنة والجماعة بأن هذه الآية نزلت في بداية الدعوة عندما كان رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم يقيم حرساً يجرسونه خوفاً من القتل والاعتقال ، فلما لفتت عصب (عصمك من الناس) قال : «هبوا فإن الله ﷻ قد عصمني .»

في كلا الحالتين ، ولم يشغل عنه طرفة عين حتى يكون ذلك منافياً للخشوع والخضوع المطلق في الصلاة ، ولأجل ذلك أنزل الله ﷻ سبحانه وتعالى في حقه قرآناً يتلوه المسلمون على مدى الأجيال المتتالية.

وهذا النبي صلى الله عليه وآله أرقى حالا من علي بن أبي طالب عليه السلام ، نجده

يفعل بعض الأفعال في الصلاة ، فقد روى مسلم في صحيحه ٢ : ٤٤ عن النبي صلى الله عليه وآله قال

: «إني لأدخل في الصلاة أريد إطالتها ، فأسمع بكاء الصبي ، فأخفف من شدته وجد أمه به » ، وعن أبي قتادة

: «إني رأيت رسول الله ﷻ صلى الله عليه وآله وسلم يصلي وهو حامل أمامة بنت زينب بنت رسول الله ﷻ ...

فإذا سجد وضعها وإذا قام حملها » ، صحيح البخاري ١ : ١٣١ .

فهذه الأفعال كان يقوم بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الصلاة ، ولا تؤثر على توجهه

وانقطاعه إلى الله ﷻ سبحانه وتعالى ، وكذا ما قام به الإمام علي عليه السلام في خشوعه وخضوعه التام

إلى الله ﷻ تعالى بعدما كان فعله صدقة ويؤجله بخله عز وجل .

١ . المائدة : ٦٧ .

قفد أخرج ابن جرير وابن مردويه عن عبد الله بن شفيق قال إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يتعقبه ناس من أصحابه فلهذا نزلت به (صه) من الناس (الناس) ، فخرج فقال : « يا أيها الناس إحقوا بحقوقكم ، فإن الله قد عصمني من الناس » (١) .

وأخرج ابن جرير وابن مردويه عن أبي هريرة قال كنت إذا صحبتنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سفر تركنا له أعظم دوحه وأظلمها فينزل تحتها ، فنزل ذات يوم تحت شجرة وعلق سيفه فيها ، فجاء رجل فأخذه فقال يا محمد من يمنعك مني؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « الله يمنعني منك ، ضع عنك السيف » ، فوضعه ، والله فأنزلت به (صه) من الناس (٢) .

كما أخرج الترمذي والحاكم وأبو نعيم عن عائشة قالت : كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحده نزلت به (صه) من الناس (٣) ، فأخرج رأسه من القبّة فقال : « أيها الناس ، انصرفوا فقد عصمني الله » (٣) .

١ . الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٢ : ٥٣٠ (ذيل الآية) .

٢ . المصدر نفسه .

٣ . البداية والنهاية ٨ : ٧٣ حوادث سنة ٥٩ ، تاريخ الإسلام للذهبي ٤ : ٣٤٩ ، الطبقات الكبرى ١ : ٧٨ ،

سير أعلام النبلاء ٢ : ٤٦٣ ، الإصابة ٣ : ٢٨٧ ، فتح الباري ٦ : ٣١ و ٧ : ٣٩١ .

وأخرج الطبراني وأبو نعيم في الدلائل وابن مردويه وابن عساكون ابن عباس قال :
كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يكمل معه عمه أبو طالب كل يوم رجلاً
من بني هاشم يحرسونه ، فقالوا بعمهم ، إن الله قد عصمني ، لا حاجة لي إلى من تبعث
« (١) .

ونحن إذا تأملنا في هذه الأحاديث وهذه التأويلات ، وجدناها لا تستقيم ومفهوم
الآية الكريمة ولا حتى مع سياقها فكل هذه اللفظة تُفيد بأنها نزلت في بداية الدعوة ،
حتى إن البعض يصرح بأنها في حياة أبي طالب ، يعني قبل الهجرة بسنوات كثيرة ،
وبالخصوص رواية أبي هريرة التي يقول فيها : «كَلَّا إِذَا صَحَبْنَا رَسُولَ اللَّهِ فِي سَفَرٍ تَرَكْنَا لَهُ
أَعْظَمَ دُوْحَةٍ ... الخ» .

فهذه الرواية ظاهرة الوضع ، لأنَّ أبا هريرة لم يعرف الإسلام ولا رسول الله إلا في
السنة السابعة للهجرة النبوية ، كما يشهد هو نفسه بذلك (٢) ، فكيف يستقيم هذا ويكل
المفسرين سنة وشيعة أجمعوا على أن سورة المائدة مدنية ، وهي آخر ما نزل من القرآن؟!
فقد أخرج أحمد ، وأبو عبيد في فضائله ، والنحاس في ناسخه ، والنسائي ، وابن
المنذر ، والحاكم ، وابن مردويه ، والبيهقي في سننه

١ . الدر المنثور للسيوطي ٢ : ٤٤٦ ، سورة المائدة .

٢ . المصدر نفسه .

عن جُبَيْرِ بْنِ نَفِيرٍ قَالَ حَجَّجْتُ فِدَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ ، فَقَالَتْ لِي : يَا جُبَيْرُ تَقْرَأُ الْمَائِدَةَ ؟
فَقُلْتُ : نَعَمْ ، فَقَالَتْ : أَمَا إِنَّهَا آخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ ، فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهَا مِنْ حَلَالٍ فَاسْتَحَلَّوْهُ ،
وَمَا وَجَدْتُمْ مِنْ حَرَامٍ فَحَرَّمُوهُ ^(١) .

كما أخرج أحمد والترمذي وحسبوا الحسنه ،كم وصححه ، وابن مردويه ، والبيهقي في
سننه عن عبدالله بن عمرو قال : آخر سورة نزلت سورة المائدة ^(٢) .

وأخرج أبو عبيد عن محمد بن كعب القرظي قال نزلت سورة المائدة على رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع ، فيما بين مكة والمدينة وهو على ناقته ،
فانصدعت كتفها فنزل عنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ^(٣) .

وأخرج ابن جرير عن الربيع بن أنس قال نزلت سورة المائدة على رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع وهو راكب راحلته ، فبركت به راحلته
من ثقلها ^(٤) .

١ . المصدر نفسه .

٢ . المصدر نفسه .

٣ . المصدر نفسه .

٤ . المصدر نفسه .

وأخرج أبو عبيد عن ضمرة بن حبيب وعطية بن قيس قالاً : قال رسول الله ﷺ
صلى الله عليه وآله وسلم : المائدة من آخر القرآن تنزيلاً ، فأحلّوا حلالها ، وحرّموا
حرامها » (١).

فكيف يقبل العاقل المنصف بعد كل هذا ادّعاء من قال بنزولها في أوّل البعثة النبويّة ،
وذلك لصرفها عن معناها الحقيقي؟!

أضف إلى ذلك الشيعة لا يختلفون في أنّ سورة المائدة هي آخر القرآن نزولاً ، وأنّ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا آيَاتِي وَلَذَبِ اللّٰهُ الْعَاقِبَةُ: ﴿١٠٠﴾ مَا أَنزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ... والتي تسمّى آية
البلاغ . نزلت على رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم يوم الثامن عشر من شهر ذي
الحجة عقيب حجة الوداع في غدير خمّ قبل تنصيب الإمام عليّ ع لِمَا لِلنَّاسِ لِيَكُونَ
خليفته من بعده ، وذلك يوم الخميس .

وقد نزل بها جبرائيل عليه السلام مضى خمس ساعات من النهار فقال : يا

محمد ﷺ إني أنزل عليك السلام وأيقول : (اللّٰهُ أَنزَلَ بِإِلّٰهِ لِيُخَبِّرَ مِمَّنْ رَّبِّكَ وَإِنْ لَمْ

تَفْعَلْ فَمَا يَبْلُغُ رِسَالَتَهُ وَاللّٰهُ يُعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) .

على أنّ قول رسول الله ﷺ (فَمَا يَبْلُغُ رِسَالَتَهُ) يدلّ دلالة واضحة

بأنّ الرسالة انتهت أو هي على وشك النهاية ، وإن

١ . المصدر نفسه .

بقي فقط أمرٌ مهمٌّ لا يكتمل الدينُ إلاَّ به.

كما تُشعر الآيةُ الكريمةُ بأنَّ الرسولَ كان يخشى تكذيبَ الناسِ له إذا ما دعاهم بهذا الأمرِ الخطيئِكُنَّ اللهُ سبحانه لم يمُهله للتأجيلِ لأجلِ قدَرِ رُبِّ ، وهذه الفرصة هي أحسنُ الفرصِ ، وموقفها هو أعظمُ المواقفِ ، إذ اجتمع معه صلى اللهُ عليه وآله وسلم أكثرُ من مائة ألفِ رافقوه في حجَّةِ الوداعِ وما زالت قلوبهم عامرة بشعائرِ اللهِ ، مستحضرة نعي الرسولِ نفسه إليهم.

وقوله لهم: لعلِّي لا ألقاكم بعد عامكم هذا ، ويوشك أن يأتي رسولُ ربيَّ وأدعى فأجيبُ » ، وهم سيفترقون بعد هذا الموقفِ الرهيبِ للعودة إلى ديارهم لعلَّهم لا تُتاحُ لهم فرصة اللقاءِ مرَّةً أخرى بهذا العددِ الكبيرِ وغديرِ خمِّ هو مفترقُ الطرقاتِ فلا يمكنُ لمحَمَّدٍ صلى اللهُ عليه وآله وسلم تسليمُ هذه الفرصةِ بأيِّ حالٍ من الأحوالِ.

كيف ، وخباءه الوحي بما يشبه التهديد على أن كلَّ الرسالة منوطة بهذا البلاغِ ، والله سبحانه قد ضمن له العصمة من الناس ، فلا داعي للخوف من تكذيبهم ، فكم كُذِّبَتْ رسلٌ من قبله ولكن لم يُثنهم ذلك عن تبليغ ما أمروا به ، فما على الرسولِ إلاَّ البلاغُ ولو علم اللهُ مَسْقَباً بأنَّ أَكْثَرَهُمْ فِي كَارِهِوْنَ (١) ، ولو علم بأنَّ منهم

١. الزخرف : ٧٨.

مُكذَّبَ بَيْنَ)^(١) ما كان سبحانه ليتركهم بدون إقامة الحجَّة عليهم، (لَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ يَعْلَمُ كَيْمًا)^(٢).

على أن لرسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم أسوة حسنة بمن سبقه من إخوانه الرسل الذين كذَّبَ لِنَبِيِّهِمْ أَكْثَرًا ، بِقَوْلِكَ تَخَالَفْتَهُ : (كَذَّبَتْ قَبِيلُهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَقَوْمُ ثَمُودٍ ثُمَّ لِيُوْحِيَهُمْ أَهْلِيمًا وَأَقْسُودًا لِيُطَوِّقَهُمْ كَذِّبَ مُوسَى فَأَمَّا لَيْتُ الْمَكَّافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ)^(٣).

ونحن إذا تركنا التعصُّبَ المقيتَ وحبَّ الانتصار للمذهب ، لوجدنا أن هذا الشرح هو المناسب لعقولنا ، ويتماشى مع سياق الآية والأحداث التي سبقتها وأعقبها . وقد لُجِحَ كثير من علمائنا نزولها في غدير خمَّ في شأن تنصيب الإمام علي ، وصحَّ حوا تلك الروايات ، ووافقوا بذلك إخوانهم من علماء الشيعة ، وأذكر على سبيل المثال من علماء السنة :

١ . الحافظ أبو نعيم في كتاب نزول القرآن .

٢ . الإمام الواحدي في كتاب أسباب النزول : ١٥٠ .

١ . الحاققة : ٤٩ .

٢ . النساء : ١٦٥ .

٣ . الحجج : ٤٢ - ٤٤ .

- ٣ . الإمام أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره الكبير ٤ : ٩٢ .
- ٤ . الحاكم الحسكاني في كتابه شواهد التنزيل لقواعد التفضيل ١ : ١٨٧ .
- ٥ . جلال الدين السيوطي في كتابه الدر المنثور في التفسير بالمأثور : ٣ : ١١٧ .
- ٦ . الفخر الرازي في تفسيره الكبير ١٢ : ٥٠ .
- ٧ . محمد رشيد رضا في تفسير المنار ٢ : ٨٦ و ٦ : ٤٦٣ .
- ٨ . تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي ٢ : ٨٦ .
- ٩ . فتح القدير للشوكاني ٢ : ٦٠ .
- ١٠ . مطالب السؤول لابن طلحة الشافعي ١ : ٤٤ .
- ١١ . الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي : ٢٥ .
- ١٢ . ينابيع المودة للقندوزي الحنفي : ١٢٠ .
- ١٣ . الملل والنحل للشهرستاني ١ : ١٦٣ .
- ١٤ . ابن جرير الطبري في كتاب الولاية .
- ١٥ . ابن سعيد السجستاني في كتاب الولاية .
- ١٦ . عمدة القاري في شرح البخاري لبدر الدين الحنفي ٨ : ٥٨٤ .
- ١٧ . تفسير القرآن لعبد الوهاب البخاري .

١٨. روح المعاني للآلوسي ٢ : ٣٨٤.

١٩. فرائد السمطين للحموي ١ : ١٨٥.

٢٠. فتح البيان في مقاصد القرآن للعلامة سيد صديق حسن خان ٣ : ٦٣.

فهذا نزرٌ يسيرٌ ممّن يحضرنى، وهناك أضعاف هؤلاء من علماء أهل السنّة ذكرهم العلامة الأميني في كتاب الغدير.

فماذا يأتري فعل رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم عندما أمره ربّه بإبلاغ ما أنزل

إليه؟

يقول الشيعة: أنّه جمع الناس على صعيد واحد في ذلك المكان وهو غدير خمّ ، وخطبهم خطبة بليغة طويلة ، وأشهدهم على أنفسهم ، فشهدوا بأنّه صلى الله عليه وآله وسلم أولى بهم من أنفسهم ، وعند ذلك رفع يد علي بن أبي طالب وقال : «ن كنتُ مولاه فهذا علي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، وانصر من نصره واخذل من خذله ، وأدر الحقّ معه حيث دار»^(١).

١ وهو ما يسمّى بحديث الغدير ، وقد أخرجه علماء الشيعة وعلماء السنّة على حد سواء (المؤلف).

وبهذا اللفظ تجده في : الملل والنحل للشهرستاني ١ : ١٦٣ ، والسيرة الحلبية ٣ : ٣٨٤ ، والصواعق

المحرقة ١ : ٥٠٦ وفي مستدرک إحقاق الحقّ ٦ : ٢٩٢

ثمّ ألبسه عمامته، وعقد له موكباً ، وأمر أصحابه بتهنئته بإمرة المؤمنين ، ففعلوا ، وفي مقدّمهم أبو بكر وعمر يقولان : **بيخ بخ لك يا بن أبي طالب أصبحت وأمست مولى كل مؤمن ومؤمنة** ^(١).

عن إسعاف الراغبين والعقد الفريد.

وقد ذكر الشيخ ناصر الدين الألباني حديث « من كنت مولاه »، وأثبت صحته ، بل أثبت أن قوله **صلى الله عليه وآله وسلم** : « من كنت مولاً فهذا علي مولاه » متواتر ، وردّ على ابن تيمية في تضعيفه للحديث ، راجع الصحيحة ٤ : ٣٣٠ ح ١٧٥٠ .
راجع لكلامهما في التهنئة لعليّ بالولاية : المصنّف لابن أبي شيبة ٧ : ٥٠٣ ح ٥٥ ، المناقب للخوارزمي : ١٥٦ ح ١٨٣ ، مسند أحمد ٤ : ٢٨١ ، تاريخ بغداد ٨ : ٢٨٤ ، تاريخ دمشق ٤٢ : ٢٢١ ، سير أعلام النبلاء ١٩ : ٣٢٨ ، فيض القدير للمناوي ٦ : ٢٨٢ ، تفسير الفخر الرازي ٤ : ٤٠١ .
ثمّ إنّه لا يقال إن سبب واقعة الغدير حدوث نزاع بين أحد الصحابة وبين علي بن أبي طالب ، فأراد النبي **صلى الله عليه وآله** إيقاف النزاع فتكلّم بذلك الكلام.
وذلك لأمر :

أولاً: الآية القرآنية تنصّ على أنّ النبي **صلى الله عليه وآله** إن لم يبلغ الناس بهذا الأمر فهو لم يبلغ شيئاً لهيئته الإسلامية ، ويكون خلال السنين السالفة كأنّما لم يفعل شيئاً ، ولم يبلغ عن الله سبحانه وتعالى آية تنصّ على أنّ هذا الأمر المأمور بتبليغه من صلب الدين وأنّ رسالة السماء مرتبطة به ، فكيف بعد هلكون الأمر بالتبليغ لأجل قضية شخصية ، مع أنّ القضايا الشخصية لا مدخلية لرسالة السماء فيها ، وأي ربط بين رسالة عالمية خالدة بقضية شخصية حدثت أمام مجموعة من المسلمين!؟

لَمِيعَدُوا فَرَعُوا كَأَنزَلَ اللَّهُ لَكُمْ: (يَذَكُّكُمْ وَأَتَمَّهُ تُمْ عَلَيْكُمْ نِعْمَةً حَتَّى
وَرَضَيْتُمْ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا).

هذا ما يقوله الشيعة ، وهو عندهم من المسلمات ، ولا يختلف فيه عندهم اثنان .

فهل لهذا اللفظ ذكرٌ عند أهل السنة والجماعة؟

وحتى لا ننحاز إليهم ويُعجبنا قولهم فقد حذرنا الله سبحانه بقوله (من الناس

مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ

ثانياً : لو سلمنا ذلك ، فلا داعي لإيقاف هلمنع الغفير من الحجّاج في ذلك الحرّ الشديد لأجل

قضية شخصية جرت بين بعض الصحابة وعلي بن أبي طالب ، إذ كان بإمكانه صلى الله عليه وآله وسلم

حلّ المسألة أمام من شهدها ، بلا حاجة لإيقاف عموم المسلمين القافلين من الحجّ .

ثالثاً للقضية الشخصية التي وقعت للإمام علي مع بعض الصحابة كانت في اليمن ، حيث حصل

خلاف حول جارية في السبي أو حول ليل الصدقة ، وأولئك نفر لم يشهدوا الحجّ حتى يوقف النبي

صلى الله عليه وآله وسلم هذا الجمع الغفير للمصالحة بينهم .

والخلاصة : إن جميع الأدلة والقرائن تدلّ دلالة صريحة لا غبار عليها على أنّ قضية غدِير خم قضية إلهية

مرتبطة بروح الدين الإسلامي وأسسها ، وأنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أراد من ذلك الموقف العظيم

تبليغ أمر سماوي إلهي وهو الولاية لعلي بن أبي طالب عليه السلام وخلافته بعد رحيله

صلى الله عليه وآله وسلم ، وما يثار خلاف ذلك ما هو إلاّ تخريصات وأراجيف للدفاع عن الباطل

المهزول .

عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (١).

فالواجب أن نحتاط ونبحث هذا الموضوع بكل حذو ننظر في أدلة الفريقين بكل نزاهة ، مبتغين في ذلك رضا سبحانه .

والجواب : نعم إن كثيراً من علماء أهل السنة يذكرون هذه الحادثة بكل أدوارها ، وها هي بعض الشواهد من كتبهم :

١ . أخرج الإمام أحمد بن حنبل من حديث زيد بن أرقم قال نزلنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بواد يقال له وادي خم ، فأمر بالصلاة فصلاها بهجير ، قال : فخطبنا وظلل لرسول الله بثوب على شجرة سمرة من الشمس فقال : « أستم تعلمون ، أو أستم تشهدون أي أولى بكل مؤمن من نفسه؟ » قالوا : بلى ، قال : فمن كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ... » (٢).

٢ . أخرج الإمام النسائي في كتاب الخصاص عن زيد بن أرقم قلل : ما رجع النبي صلى الله عليه وآله وسلم حجّة الوداع ، ونزل غدیر خم ، أمر بدوحات فقممن ثم قالوا : « دُعيت فأجبت ، وإني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله وعترتي أهل بيتي ،

١ . البقرة : ٢٠٤ .

٢ . مسند أحمد بن حنبل ٤ : ١٢٢ وصرح محقق الكتاب بصحة الحديث ، والمصنف لابن أبي شيبة ٧ : ٥٠٣ ح ٥٥ ، وسنن النسائي ٥ : ١٣١ ح ٨٤٦٩ .

فانظروا كيف تخلفوني فيهما ، فإنهما لن يفترقا حتى َّ يردا عليَّ الحوض » ، ثم قال : «إلاَّ الله َّ مولاي وأنا ولي َّ كل َّ مؤمن» ، ثم إنَّه أخيلد عليَّ َّ فقال من كنت َّ وليَّ ه فهذا وليَّ ه ، اللهم َّ وال من والاه ، وعاد من عاداه . قال أبو الطفيل فقلت َّ لزيد : سمعته من رسول الله َّ ؟ فقال نوازته ما كان في الدوحات أحد إلاَّ رآه بعينيه ، وسمعه بأذنيه (١) .

٣ . أخرج الحاكم النيسابوري عن زيد بن أرقم من طريقين صحيحين على شرط الشيخين : قال نا رجع رسول الله َّ صلى الله عليه وآله وسلم من حجَّة الوداع ونزل غدِير خم َّ ، أمر بدوحات فقمم كقِيَالٍ دَعِيَّتُ فَأَجَبْتُ ، وإني َّ تركت َّ فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله َّ تعالى وعترتي ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما ، فإنهما لم يفترقا حتى َّ يردا عليَّ الحوض » ، ثم إنا لله َّ عزَّ وجلَّ مولاي وأنا مولى كل َّ مؤمن » ، ثم أخذ بيد علي فقال مر «كنت َّ مولاه فهذا وليَّ ه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ... » (٢) .

١ . خصائص النسائي : ٩٣ ، ورواه أيضاً في سننه ٥ : ١٣٠ ح ٨٤٦٤ .

٢ . مستدرک الصحیحین ٣ : ١٠٩ ، وقال «صحیح علی شرط الشیخین ولم یخرَّجاه بطوله» ، وسکت عنه الذہبی ، وانظر : السنن الكبرى للنسائي ٥ : ٤٥ ح ٨١٤٨ ، والبداية والنهاية ٥ : ٢٢٨ وقال : «تفرَّد به النسائي من هذا الوجه ، وقال شيخنا أبو عبد الله َّ الذهبي : « وهذا حديث صحيح » .

. كما أخرج هذا الحديث مسلم في صحيحه يسنده إلى زيد بن أرقم ولكنه اختصره فقال قام رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم يوماً فبينا خطيباً بمليء مدعى حمماً بين مكة والمدين فحمد الله ﷻ وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال : لله لحد ، ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي ﷻ فأجيب ، وأنا تارك فيكم ثقليق : لهما كتاب الله ﷻ فيه الهدى والنور ، فخذوا بكتاب الله ﷻ واستمسكوا به فبعض على كتاب الله ﷻ ورغب فيه ثم قال : وأهل بيتي أذكركم الله ﷻ في أهل بيتي ، أذكركم الله ﷻ في أهل بيتي أذكركم الله ﷻ في أهل بيتي ... « (١)

تعليق بالرغم من أن الإمام مسلم اختصر الحادثة ولم يروها بكاملها ، إلا أنها بحمد الله ﷻ كافية وشفافية ، ولعل الاختصار كان من زيد بن أرقم نفسه لما اضطرته الظروف السياسية إلى كتمان حديث الغدير ، وهذا نفهمه من سياق الحديث إذ يقول الراوي : انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم ، فلمّا جلسنا إليه قال له : أهليلقني يا زيد خيراً كثيراً ، رأيت رسول الله ﷻ صلى الله عليه وآله وسلم ، وسمعت حديثه ، وغزوت معه ، وصدّيت خلفه ، ليقته لقي زيد خيراً كثيراً ، حدّثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله ﷻ صلى الله عليه وآله وسلم .

١ . صحيح مسلم ٧ : ١٢٣ ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل علي بن أبي طالب ، مسند أحمد ٤ : ٣٦٧ ، السنن الكبرى للنسائي ١٠ : ١١٤ .

قاليا: بن أخي و كليلت لقصني ، وقد م عهدي ، ونسيت بعض الذي كنت أعري من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فما حدتكم فاقبلوا ، وما لا فلا تكلفوني . ثم قال قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإنا خطيباً بماء يدعى خمناً

....

فيبدو من سياق الحديث أن حُصيناً سأل زيد بن أرقم عن حادثة الغدير ، وأحرجه أمام الحاضرين بهذا السؤال ، وكان بدون شك يعلم بأن الجواب صريح على ذلك يسب له مشاكل الحكومة التي كانت تحمل ل الناس على لعن علي بن أبي طالب ، ولهذا نجده يعتذر للسائل بأنه كبير ت سنه ، وقد م عهده ، ونسي بلظري كان يعري ، ثم يضيف طالباً من الحاضرين بأن يقبلوا ما يحدت بهم ، ولا يكلفوه ما يريد السكوت عنه .

ومع خوفه ، ومع اختصاره للحادثه واقتضاها ، فقد أوضح زيد بن أرقم . جزاه الله خيراً . كثيراً من الحقائق ، وألمح لحديث الغدير بدون ذكره ، وذلك قوله : « قام فينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطيباً بماء يدعى خمناً بين مكة والمدينة » ثم بعد ذلك ذكر فضل علي ، وأنه شريك القرآن في حديث الثقلين بكتاب الله وأهل بيته « بدون أن يذكر اسم علي ، وترك للحاضرين أن يستنتجوا ذلك بدكائهم كل المسلمين يعرفون أن علياً هو سيد أهل بيت النبوة .

ولذلك نرى حتى الإمام مسلم نفسه فهم من الحديث ما فهمناه

وعرف ما عرفناه ، فتراه يخرج هذا الحديث في فضائل علي بن أبي طالب ، رغم أن الحديث ليس فيه ذكر لاسم علي بن أبي طالب .

٥. أخرج الطبراني في المعجم الكبير بسند صحيح عن زيد بن أرقم وعن حذيفة بن أسيد الغفاري قال خطب رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم بخديرا خم تحت شجرات فقال : «أيها الناس يوشك أن أدعى فأجيب ، وإني مسؤل وإنكم مسؤلون ، فماذا أنتم قائلون؟» منهم قائلوا : «قد بلغت وجاهدت ونصحت ، فجزاك الله خيرا ، فقال : «أليس تشهدون أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وأن جنتمه حق ، وأن ناره حق ، وأن الموت حق ، وأن البعث حق بعد الموت ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور؟» قالوا : بلى نشهد بذلك ، فقال «اللهم اشهد» .

ثم قال يا أيها الناس إن الله ﷻ مولاي ، وأنا مولى المؤمنين ، وأنا أولى بهم من أنفسهم ، فمن كنت مولا فهذا مولا . يعني عليا . اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه .
ثم قال يا أيها الناس إني فرطكم ، وإنكم واردون علي الحوض ، حوض أعرض ببيت بصري إلى صنعاء ، فيه عدد النجوم قدحان من فضة ، وإني سائلكم حين تردون علي عن الثقلين ، كيف تخلفوني فيهما ، الثقل الأكبر كتاب الله عز وجل سبب طرفه بيد الله تعالى وطرفه بأيديكم ، فاستمسكوا به لا تضلوا ولا تبدلوا ، وعترتي

أهل بيتي ، فإنه نبياً اللطيف الخبير أنهما لن ينقضيا حتى يردا عليَّ الحوض» (١).

١. المعجم الكبير للطبراني ٣ : ١٨٠ ح ٣٠٥٢ ، وعنه الصواعق المحرقة ١ : ٠٨ الشبهة الحادية عشر ، ونصَّ على صحة سنده وقال : «ولفظه عند الطبراني وغيره بسند صحيح أزه صلى الله عليه وآله وسلم خطب بغدير خم ...» ، وأيضاً في مجمع الزوائد ٩ : ١٦٥ وقال : « وفيه زيد بن الحسن الأنمطي قال أبو حاتم : منكر الحديث ، ووثقه ابن حبان » ، وبقية رجال أحد الإسنادين ثقات.

وما ذكره في كشف الجاني بمرغ لنا الحديث ضعيف جداً ، ناشئ من التعصب والافتراء ، وذلك : لأن زيد بن الحسن الأنمطي يظلمه إلا أبو حاتم ، ووثقه ابن حبان ، وأبو حاتم من المعروفين بالتشدد في الرجال كما ذكر ذلك الذهبي في كتابه الموقظة : ص ٥٢٠ وأمَّال الذهبي فقد ذكره في ميزان الاعتدال ٢ / ١٠١ واقتصر على نقل توثيق ابن حبان وتضعيف أبي حاتم ، نعم في كتاب من له رواية في كتب الستة ١ / ٤١٦ ذكر ضعفه ، ولم يحكم بأذنه منكر الحديث كما قال عثمان الخميس.

وبعد الرجوع إلى موازين الذهبي الرجالية نجد أن هذا التضعيف ناشئ من تعصب به وتحامله على فضائل أهل البيت عليهم السلام ، وذلك واضح لمن يرجع إلى كتاب تلخيص فضائل علي بن أبي طالب في المستدرك ليرى بأمر عينيه حتى اضطره التعصب إلى استحداث قواعد رجالية جديدة ، فقد مرَّ على رواية رواها ثقات لا يستطيع الطعن بهم ، فطعن بالرواية من خلال ضابطة رجالية جديدة ، فقال : « كذب يشهد القلب بوضعه » ، فصار القلب من الموازين التي يرجع إليها في وضع الحديث وعدمه!!

٦٠ كما أخرج الإمام أحمد من طريق البراء بن عازب من طريقين ، قال : كذّبنا مع رسول الله ﷺ ، فنزلنا بغدير خم ، فنودي فينا الصلاة جامعة ، وكسح لرسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم تحت شجرتين ، فصلّى الظهر وأخذ بيظلي ﷺ ، فقال : « أستم تعلمون إني ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ » قالوا : بلى ، قال : « أستم تعلمون أني ﷺ أولى بكل مؤمن من نفسه؟ » قالوا : بلى ، قال فأخذ بيد علي ﷺ فقال : « بن كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم ﷻ وال من والاه ، وعاد من عاداه » ، قال فلقيته ﷻ عمر بعد ذلك ، فقال له : هنيئاً يا بن أبي طالب أصبحت وأمست ﷻ مولى كل مؤمن ومؤمنة ^(١).

وأما ابن حجر العسقلاني فأيضاً في تهذيب التهذيب ٣ : ٣٥٠ اقتصر على نقل تضعيف أبي حاتم وتوثيق ابن حبان ولم يصف عليها شيئاً .

نعم ، في تقريب التهذيب ١ : ٣٢٧ حكم بضعفه ، إلا أن هذا التضعيف لا يمكن الأخذ به ، لنفس الكلام المتقدم حول تضعيف الذهبي ، ولشيء آخر وهو إن ابن حجر يعتمد على الذهبي كثيراً في المسائل الرجالية ، وعليه فالحديث صحيح لا غبار عليه ولا يمكن الطعن فيه ، مهما حاول أعداء أهل البيت ذلك .
وحديث الغير من الأحاديث الثابتة التي لا يطعن فيها ، بل هو متواتر قال العلامة أحمد شاکر محقق مسند أحمد ١ : ٥٦ : « وأما متن الحديث [أي حديث الغدير] فإنه صحيح ، ورد عن طرق كثيرة ، ذكر المناوي في شرح الجامع الصغير في الحديث ٩٠٠ عن السيوطي أنه قال : حديث متواتر ... » .

١ . مسند أحمد ٤ : ٥٨١ أو صرح محقق الكتاب بصحة الحديث ، وانظر المصنّف لابن أبي شيبة ٧ : ٥٠٣ ح

وبطختر ، فقد روى حديث الغدير من أعلام أهل السنة زيادة عمّا من ذكرنا :
الترمذي ، وابن ماجة ، وابن عساكر ، وأبو نعيم ، وابن الأثير ، والخوارزمي ، والسيوطي ،
وابن حجر ، والهيثمي ، وابن الصباغ المالكي ، والقندوزي الحنفي ، وابن المغازلي ، وابن كثير
، والحموي ، والحسكاني ، والغزالي ، والبخاري في تاريخه .
على أنّ العلامة الأميني صاحب كتاب الغدير ذكر من علماء أهل السنة والجماعة
الذين رووا حديث الغدير وآخر جوه في كتبهم على اختلاف طبقاتهم ومذاهبهم في القرن
الأوّل للهجرة وحتى القرن الرابع عشر ، فكان عددهم يزيد عن ثلاثمائة وستين عالماً ، ولمن
أراد التحقيق فعليه بمراجعة كتاب الغدير (١) .
أفيمكن بعد كلّ هذا أن يقول قائل بأنّ حديث الغدير هو من مختلقات الشيعة .
والعجب الغريب أنّ أغلب المسلمين عندما تذكر له حديث الغدير لا يعرفه ، أو قل
لم يُسمع به والأعجب من هذا كيف يدّعي علماء أهل السنة بعد هذا الحديث المجمع على
صحّته بأنّ رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم لم يستخلف وترك الأمر شورى بين
المسلمين!؟

١ . كتاب الغدير للعلامة الأميني في أحد عشر مجلداً ، وهو كتاب قيم جمع فيه صاحبه كلّ ما يتعلّق بحديث
الغدير من كتب أهل السنة والجماعة (المؤلف) .

فهل هناك للخلافة حديث أبلغ من هذا وأصرح يا عباد الله ؟
وإني لأذكر مناقشتي مع أحد علماء الزيتونة في بلادنا عندهم تكرت له حديث الغدير ، محتجاً به على خلافة الإمام علي ، فاعترف بصحة ته ، بل وزاد في الحبل وصلة فأطلعني على تفسيره للقرآن الذي ألفه بنفسه ، والذي يذكر فيه حديث الغدير ويصححه ويقول بعد ذلك وتزهم الشيعة بأن هذا الحديث هو نص على خلافة سيدي دنا علقم الله وجهه ، وهو باطل عند أهل السنة والجماعة لأنه يتنافى مع خلافة سيدي دنا أبي بكر الصديق ، وسيدي دنا عمر الفاروق وسيدي دنا عثمان ذي النورين بخلافتهم من تأويل لفظ المولى الوارد في الحديث على معنى المحب والناصر ، كما ورد ذلك في الذكر الحكيم ، وهذا ما فهمه الخلفاء الراشدون والصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم أجمعين ، وهذا ما أخذه عنهم التابعون وعلماء المسلمين ، فلا عبرة لتأويل الرافضة لهذا الحديث ؛ لأنهم لا يعترفون بخلافة الخلفاء ، ويطعنون في صحابة الرسول وهذا وحده كاف لرد أكاذيبهم وإبطال مزاعمهم. انتهى كلامه في الكتاب.

سألته هل الحادثة وقعت بالفعل في غدير خم؟
أجابوا: لم تكن وقعت ما كان ليرويها العلماء والمحدثون!
قلت فهل يليق برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يجمع أصحابه في حر

الشمس المحرقة ،ويخطب لهم خطبة طويلة ليقول لهم بأن محبي محبكم وناصركم؟ فهل ترضون بهذا التأويل؟

أجاب إن بعض الصحابة اشتكى علياً ، وكان فيهم من يحقد عليه ويغضه ، فأراد الرسول أن يزيل حقدهم فقال لهم بأن علياً محبكم وناصركم لمكي يحبّوه ولا يبغضوه^(١).
قلتُ :هذا لا يتطلّب إيقافهم جميعاً والصلاة بهم ، وبدأ الخطبة بقوله : «لستُ أولى بكم من أنفسكم» لتوضيح معنى المولى ، وإذا كان الأمر كما تقول فكان بإمكانه أن يقول لمن اشتكى منهم علياً إنّ الله محبكم وناصركم ، وينتهي الأمر بدون أن يجبس في الشمس تلك الحشود الهائلة ، وهي أكثر من مائة ألف فيهم الشيوخ والنساء ، فالعقل لا يقنع بذلك أبداً !

فقللي:العاقل يصدّق بأن مائة ألف صحابي لم يفهموا ما فهمت أنت والشيعه؟

قلتُ :

أولاً يكن يسكن المدينة المنورة إلا قليل منهم.
وثانياً إنهم فهموا بالضبط ما فهمته أنا والشيعه ،ولذلك روى العلماء بأن أبا بكر وعمر كانا من المهتمين لعلي بقولهم : بخ بخ لك

١. قد تقدّم ذكر هذا الإشكال والإجابة عليه ، فراجع.

يا ابن أبي طالب أمسييت وأصبحت مولى كل مؤمن.
قال فلماذا لم يبايعوه إذاً بعد وفاة النبي ﷺ ، أتراهم عصوا وخالفوا أمر النبي؟ أستغفر
الله ﷻ من هذا القول.

قلتُ إذا كان العلماء من أهل السنّة يشهدون في كتبهم بأنّ بعضهم . أعني من
الصحابة . كانوا يخالفون أوامر النبي ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم في حياته وبحضرتة ^(١) ، فلا
غرابة في ترك أوامره بعد وفاته إذا كان أغلبهم يطعنُ في تأميره أسامة بن زيد لصغر سنّه ،
رغم أنّها سريرة محدودة ومدّة قصيرة كيف يقبلون تأمير عليّ ﷺ على صغر سنّه ومدّة الحياة ،
وللخلافة المطلقة؟ ولقد شهدتَ أنتَ بنفسك بأنّ بعضهم كان يبغض علياً ويحقد عليه!!
أجابني لم تكن الإمام عليّ ﷺ كرم الله وجهه ورضي الله عنه يعلمُ أن رسول الله ﷺ
صلى الله عليه وآله وسلم تخلفه ما كان ليسكتَ عن حقّه ، وهو الشجاع الذي لا
يخشى أحداً ويهابه كلّ الصحابة.

قلتُ نسيّدي هذا موضوع آخر لا أريد الخوض فيه ، لأنّك لم تقتنع بالأحاديث
النبوية الصحيحة ، وتحاول تأويلها وصرّفها عن معناها حفاظاً على كرامة السلف الصالح ،
فكيف أقنعك بسكوت

١. صحيح البخاري ومسلم ، إذ أخرجنا عدّة مخالقات لهم ، كما في صلح الحديبية ، وكما في رزية يوم الخميس ،
وغير ذلك كثير (المؤلف).

الإمام عليّ ، أو باحتجاجه عليهم بحقه في الخلافة؟

ابتسم الرجل قائلاً أنا والله من الذين يفضّلون سيدنا عليّاً رضي الله عنه وجهه على غيره ولو كان الأمر بيدي لما قدّمت عليه أحداً من الصحابة، لأنّه باب مدينة العلم ، وهو أسد الله الغالب ولكن مشيئة الله سبحانه هو الذي يقدر من يشاء ويؤخر من يشاء ، لا يُسأل عمّا يفعل وهم يُسألون.

ابتسمت بدوري له وقلت وهذا أيضاً موضوع آخر يجزّنا للحديث عن القضاء والقدر وقد سبق لنا أن تحدّثنا فيه وبقي كلٌّ منّا على رأيه لأعجب ياسيّدي لماذا كلّما تحدّثت مع عالم من علماء أهل السنّة وأفحمتهم بالحجّة سرعان ما يتهرّب من الموضوع إلى موضوع آخر لا علاقة له بالبحث الذي نحن بصدده.

قال وأنا باق على رأيي لا أغيره .

ودّعته وانصرفت وتبقيت أفكر مليّاً لماذا لا أجد واحداً من علمائنا يكمل معي هذا المشوار ، ويوقف الباب على رجله كما يقول المثل الشائع عندنا.

فالبعض يبدأ الحديث وعندما يجد نفسه عاجزاً عن إقامة الدليل على أقواله يتملّص بقولك: أمّة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبت ، والبعض يقول : مالنا ولائاره الفتن والأحقاد فالمهم أنّ السنّة

والشيعة يؤمنون بإله واحد ورسول واحد وهذا يكفي ، والبعض يقول بإيجاز : يا أخي اتق الله في الصحابة.

فهل يبقى مع هؤلاء مجال للبحث العلمي ، وإنارة السبيل والرجوع للحق الذي ليس بعده إلا الضلال؟

وأين هؤلاء من أسلوب القرآن الذي يدعو الناس لإقامه **الدليل نزلوا برهانه انكم** **إن كنتم صَادِقِينَ** (١) مع العلم بأنهم لو يتوقفون عن طعنهم وتهجّمهم على الشيعة لما ألبأونا للجدال معهم حتى بالتي هي أحسن.

[٣]. آية إكمال الدين تتعلق أيضاً بالخلافة :

اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ (٢) **وَأَتَمَّمْتُ وَعَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ** **الإسلام ديناً** (٢).

يجمع الشيعة على نزولها بغدير خم بعد تنصيب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم للإمام عليّ خليفة للمسلمين ، وذلك رواية عن أئمة العترة الطاهرة ، وبذلك تراهم يعدّون الإمامة من أصول الدين.

ورغم أنّ الكثير من علمائنا يروون نزولها في غدير خم بعد

١. البقرة : ١١١ .

٢. المائدة : ٣ .

تنصيب الإمام عليّ ، أذكر منهم على سبيل المثال :

- ١ . تاريخ دمشق لابن عساكر ٢ : ٧٥ .
- ٢ . مناقب عليّ أبي طالب لابن المغازلي الشافعي : ١٩ .
- ٣ . تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٨ : ٢٩٠ .
- ٤ . الإتقان للسيوطي ١ : ٣١ .
- ٥ . المناقب للخوارزمي الحنفي : ٨٠ .
- ٦ . تذكره الخواص لسبط ابن الجوزي : ٣٠ .
- ٧ . تفسير ابن كثير ٢ : ١٤ .
- ٨ . روح المعاني للآلوسي ٦ : ٥٥^(١) .
- ٩ . البداية والنهاية لابن كثير الدمشقي ٥ : ٢١٣^(٢) .

١ . نسب الآلوسي رواية أبي سعيد الخدري في نزولها في غدِير خم إلى الشيعة وقال : «إنّ هذا من مفترياتهم ، وركاكة الخير شاهدة على ذلك» .

ولكلّ مجال لقبول قوله بعد ما عرفت روايتها عند مصادر أهل السنّة من طرق متعدّدة ليس فيها أبو سعيد الخدري ، فليست الرواية من مفتريات الشيعة ، ولا ركاكة فيها حسب ما يزعم ، فإنّها خالية عن أيّ تعقيد وغموض وتكلفٍ لبيّئ ، حالها حال سائر الروايات الصحيحة الواردة عندهم ، وبإمكان أيّ شخص ردّ أيّ خبر لا يهواه بهذه الطريقة غير العلمية .

٢ . روى ابن كثير نزولها في غدِير خم عن ضمرة ، عن ابن شوذب ، عن مطر الوراق ، عن شهر بن حوشب ، عن أبي هريرة ، وقال : «لذّه حديث منكر جداً ،

١٠. الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ٣ : ١٩ .

١١. ينابيع المودة للقندوزي الحنفي : ١١٥ .

١٢. شواهد التنزيل للحسكاني الحنفي ١ : ١٥٧^(١) .

أقول رغم ذلك لا بدّ لعلماء أهل السنّة من صرف هذه الآية إلى مناسبة أخرى ،
وذلك للحفاظ على كرامة السلف الصالح من الصحابة ^{بقرينة} لو سلّموا بنزولها في غدير خمّ
لاعترفوا ضمناً بأنّ

بل كذب ، لمخالفته لما ثبت في الصحيحين عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أن هذه الآية نزلت يوم الجمعة يوم
عرفة ... » .

ويرد عليه أولاً : إنّ رجال الحديث الذي رواه كلّهم من روى عنه أصحاب الصحاح عند أهل السنّة ،
فسنده صحيح لا غبار عليه ، كما حقّقه العلامة الأميني في الغدير ١ : ٦٩٤ ، فراجع .
ثانياً : إنّ معترضهما ورد عن عمر من نزولها بعرفة لا يجعل الحديث منكراً أو كذباً ، ولا أدري بأيّ
مرجّح رجّح أحد الصحيحين على الآخر .

ولو سلّمنا . جدلاً . نزولها بعرفة ، لكن قد تكون من الآيات التي نزلت مرّتين ، كما ذهب إلى ذلك سبط
ابن الجوزي في تذكرته : ٣٠ .

١. وممّن روى نزولها في غدير خمّ كما ذكرهم العلامة الأميني في الغدير ١ : ٤٤٧ : الطبري في كتاب الولاية ،
والحافظ ابن مردويه ، والحافظون نعيم الأصبهاني في كتاب ما نزل من القرآن في عليّ ، والحافظ أبو سعيد
السجستاني في كتاب الولاية ، وأبو الفتح النطنزي في كتاب الخصائص العلوية ، وشيخ الإسلام الحمّّي الحنفي
في فرائد السمطين في الباب الثاني عشر ، والبدخشي في مفتاح النجا .

ولاية علي بن أبيالط هي التي أكمل الله بها الدين وأتم بها على المسلمين نعمته ،
ولتبخرت خلافة الخلفاء الثلاثة الذين سبقوه ، ولتزعزعت عدالة الصحابة بولذابت أحاديث
كثيرة مشهورة كما يذوب الملح بالماء.

وهذا أمر مستحيل وخطب فادح لأنه يتعلّق بعقيدة أمّة كبيرة لها تاريخها وعلمائها
وأجنادها فلا يمكن لنا تكذيب أمثال البخاري ومسلم الذين يروون بأن الآية إنما نزلت
عشية عرفة في يوم الجمعة.

وبمثل ذلك تصبح الروايات الأولى مجرّد خرافات شيعيّة لا أساس لها من الصحّة ،
ويصبح الطعن على الشيعة أولى من الطعن على الصحابة ، فهؤلاء معصومون عن الخطأ^(١) ،
ولا يمكن لأيّ إنسان أن ينتقد أفعالهم وأقوالهم أمّا أولئك الشيعة فهم مجوس ، كفّار ،
زنادقة وملحدون ومؤسّس مذهبهم هو عبدالله بن سبأ^(٢) ، وهو

. لأنهم يعتقدون بأن الصحابة كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم (المؤلّف).

٢. اقرأ كتاب عبدالله بن سبأ للعلامة العسكري لتعرف بأدّه لا وجود له ، وهو من مختلقات سيف بن عمر
التميمي المشهور بالوضع والكذب ، وقرأ كتاب الفتنة الكبرى لطفه حسين ، وإن شئت فاقراً كتاب الصلّة بين
التصوف والتشيع للدكتور مصطفى كامل الشيبني لتعرف بأن عبدالله بن سبأ هذا ليس غير سيدنا عمار بن ياسر
رضي الله تعالى عنه (المؤلّف).

يهودي أسلم في عهد عثمان ليكيد للمسلمين وللإسلام.

وهذا أسهل بكثير للتمويه على الأمة التي تربت على تقديس واحترام الصحابة .. .
أي صحابي كان ولو شاهد النبي مرة واحدة ..

وأنى لنا أن نمنعهم بأن تلك الروايات ليست خرافات شيعية ، وإنما هي من أحاديث الأئمة الاثني عشر الذين نص رسول الله على إمامتهم ، الذين نجحت الحكومات الإسلامية في القرن الأول في غرس حب واحترام الصحابة مقابل التنفير من علي وبنيه ، حتى لعنتهم على المنابر وتبعت شيعتهم بالقتل والتشريد فنشأ من ذلك بغض وكراهية لكل الشيعة رجوة وسائل الإعلام في عهد معاوية من إشاعات وخزعבלات وعقائد فاسدة ضد الشيعة وهم . الحزب المعارض . كما يسمى عندنا اليوم ، لعزلهم والقضاء عليهم .
ولذلك نجد حتى الكتاب والمؤرخين في تلك العصور يسمونهم الروافض ويكفرونهم ويستبيحون دماءهم ترفلاً للحكام .

ولما انقضت الدولة الأموية وخلفتها الدولة العباسية نسج بعض المؤرخين على منوالهم ، وعرف البعض حقيقة أهل البيت ^(١) ، فحاول التوفيق والإنصاف فألحق علياً بالخلفاء الراشدين ، ولكن لم يجرأوا

١ . ذلك لأن الأئمة من أهل البيت فرضوا أنفسهم بأخلاقهم وعلومهم التي ملأت الخافقين ويزهدهم وتقواهم والكرامات التي حباهم الله بها (المؤلف) .

على التصريح بأحقّيته ، ولذلك تراهم لا يخرجون في صحاحهم إلاّ النزر اليسير من فضائل علي ، والتي لا تتعارض مع خلافة الذين سبقوه.

والبعض منهم وضع كثيراً من الأحاديث في فضل أبي بكر وعمر وعثمان على لسان عليّ نفسه ، حتى يقطع بذلك . على زعمه . الطريق على الشيعة الذين يقولون بأفضليته . واكتشفتُ خلال البحث بأنّ شهرة الرجال وعظمتهم إنّما كانت تقدّبهم لعلّ بن أبي طالب والعباسيون كانوا يُقرّون ويُعظّمون كل من حارب الإمام عليّ ، أو وقف ضدّه بالسيف أو باللسان ، فتراهم يرفعون بعض الصحابة ويضعون آخرين ، ويغدقون الأموال على بعض الشعراء ويقتلون آخرين لعلّ عائشة أمّ المؤمنين لم تكن لتحتظي بتلك المنزلة عندهم لولا بغضها^(١)

١ . ورد في الطبقات لابن سعد ٢ : ١٧٩ باب مرض النبي صلى الله عليه وآله : « قالت عائشة : ... فخرج بين رجلين تخطّ رجلاه في الأرض بين ابن عباس . تعني الفضل . ورجل آخر ، قال عبید الله : فأخبرت ابن عباس بما قالت ، قال فهل تدري من الرجل الآخر الذي لم تسمّ عائشة؟ قال : قلت : لا . قال ابن عباس هو عليّ ، إنّ عائشة لا تطيب له نفساً بخير ... » .

وأورده البخاري في صحيحه (كتاب المغازي ، باب مرض النبي صلى الله عليه وآله وسلم لكن

وحرّبا لعليّ .

ومن ذلك أيضاً تجدد العباسيين يعلون من شأن البخاري ومسلم والإمام مالك؛ لأنهم لم يخرجوا من فضائله إلا القليل، نجد صراحة في هذه الكتب بأنّ عليّ بن أبي طالب لا فضل له ولا مزيّة.

فقد روى البخاري في صحيحه في (باب مناقب عثمان) عن ابن عمر قال : كذّبنا في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عدلُ بأبي بكر أحداً ثمّ عمر ثمّ عثمان ، ثم نترك أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا نفاضل بينهم^(١).

مع بتر ذيله.

وفي تاريخ الطبري ٣ : ١٨٩ : «لكنّها كانت لا تقدر على أن تذكره بخير وهي تستطيع».

وفي مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهاني : «أهّاهما سمعت بقتل عليّ سجّدت».

وفي الطبري ٥ : ١٥٠ : والكامل لابن الأثير ٣ : ٣٩٤ : «أهّاهما سمعت بقتله قالت :

فألقت عصاه واستقرّت النوى كما قرّ عيناً بالإياب المسافر

فلمّا علمت باسم قاتله قالت :

فإن يك نائياً فلقد نعاه غلام ليس في فيه التراب

فقال لها زينب ابنة أبي سلمة العليّ تقولين هذا؟ فقالت إني أنسى ، فإذا نسيت فذكروني .»

١ . كما روى البخاري في صحيحه ٤ : ٩٥ رواية تُنسب إلى محمد بن

فعلى ّ عنده كسائر الناس . إقرأ واعجب !!

كما أنّ في الأمّة فرقاَ أخرى . كالمعلولة والخوارج وغيرهم . ممّن لا يقول بمقالة الشيعة ، ولأنّ إمامة علي وأولاده من بعده تقطع عليهم الطريق للوصول للخلافة ، والتحكّم في رقاب الناس ، والتلاعب بمصيرهم وممتلكاتهم، كما فعل ذلك بنو أميّة وبنو العباس في عهد الصحابة ، وعهد التابعين وإلى يوم الناس هذا .

لأنّ حكام العصر الذين وصلوا إلى الحكم . سواء بالوراثة كالمملوك والسلطين ، أو حتى ّ الرؤساء الذين انتخبتهم شعوبهم . لا يعجبهم هذا الاعتقاد ، أعني أن يعتقد المؤمنون بخلافة أهل البيت ، ويضحكون من هذه الفكرة التيقراطية ، التي لا يقول بها إلاّ الشيعة ، وخصوصاً إذا كان هؤلاء الشيعة قد بلغوا من سخافة العقل وسفاهة الرأي أنّهم يعتقدون بإمامة المهدي المنتظر الذي سيملاً أرضهم قسطاً وعدلاً كما ملئت ّ ظلماً وجوراً .

ونعود الآن لمناقشة أقوال الطرفين في هدوء وبدون تعصّب ، لنعرف ما هي المناسبة وما هو سبب نزول آية « إكمال الدين » حتى ّ

الحنفية : « قال قلت ّ للهيّ : الناس خير ّ بعد رسول الله ّ صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال أبو بكر ، قلت ّ : ثم مَن ثمّ ّ قُطلي ّ ، وخشيت ّ أن يقول عثمان ّ ، قلت ّ ثمّ أنت ؟ قال ما أنا إلاّ رجل ّ من المسلمين » (المؤلف) .

يتضح لنا الحقّ فنتبعه ، وما علينا بعد ذلك من رضى هؤلاء أو غضب أولئك مادامنا نتوخى قبل كل شيء رضى الله سبحانه والنجاة من عذابه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ نَّظَّمْنَا لَوَاجِيزَهُمْ لِيَوْمِهِمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ إِكْفُرْتُمْ وَفُوجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١).

مناقشة القول بأن الآية نزلت يوم عرفة

أخرج البخاري في صحيحه (٢) قال حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا سفيان ، عن قيس بن مسلم ، عن طارق بن شهاب إن أناساً من اليهود قالوا : لو نزلت هذه الآية فينا لاتخذنا ذلك اليوم عيداً ، فقال عمر **لينا يومه؟ فقلنا لولت لكم دينكم واثممت عتليكم يوم رضعيت لكم الإسلام دينا** .

فقال يعمر لأعلم أي مكان أنزلت أنزلت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واقف* بعرفة.

وأخرج ابن جرير عن عيسى بن حارثة الأنصاري ، قال : كذا

١. آل عمران : ١٠٦ . ١٠٧ .

٢ . صحيح البخاري ٥ : ١٢٧ ، كتاب المغازي ، باب ٩٩٩ حجة الوداع ، الدر المنثور ٢ : ٢٥٨ تفسير سورة المائدة ، الآية الثالثة .

جلوساً في الديوان فقال لنا نصيباً يَأْهَلُ الإسلام ، لقد أنزلتْ عليكم آية لو أنزلتْ علينا لاتخذنا ذلك اليوم وتلك الساعة عيداً ما بقي من البائِثونَ مَ وَهَيَّجَهُ (مَلَتْ لَكُمْ دِينَكُمْ) فلم يجبه أحد منّا ، فلقيتُ محمّداً بن كعب القرظي فسألته عن ذلك ، فقال : ألا رددتم عليه؟ فقال عمر بن الخطاب أنزلتْ على النبي وهو واقفٌ على الجبل يوم عرفة ، فلا يزال ذلك اليوم عيداً للمسلمين ما بقي منهم أحد^(١).

أولاً : نلاحظ من خلال هذه الروايات أنّ المسلمين كانوا يجهلون تاريخ ذلك اليوم المشهود ولا يحتفلون بهما دعا اليهود مرّة والنصارى أخرى أن يقولوا لهم : لو أنّ هذه الآية فينا أنزلت لاتخذنا يومها عيداً حداً بعمر بن الخطاب أن يسأل أية آية؟ ولمّا قالوا : (اليوم أكملتُ لكم دينكم) قِيلَ : لأعلم أيّ مكان أنزلتْ أنزلتْ ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واقف بعرفة.

فإنّنا نشمّ رائحه الدسّ والتعتيم من خلال هذه الرواية ، وأنّ الذين وضعوا هذا الحديث على لسان عمر بن الخطاب في زمن البخاري أرادوا أن يوفّقوا بين آراء اليهود والنصارى في أنّ ذلك اليوم هو يوم عظيم يجب أن يكون عيداً ، وبين ما هم عليه من عدم الاحتفال بذلك

١ . الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٢ : ٢٥٨ سورة المائدة ، الآية الثالثة.

اليوم ، وعدم ذكره بالمرّة حتى تناسوه ، والمفروض أن يكون من أكبر الأعياد لدى المسلمين ، إذ أن الله سبحانه أكمل لهم فيه دينهم ، وأتمّ فيه نعمته عليهم ، ورضي لهم الإسلام ديناً .

ولذلك ترى في الرواية الثانية قول الراوي . عندما قال له النصراني : يا أهل الإسلام ، لقد أنزلت عليكم آية لو أنزلت علينا لآخذنا ذلك اليوم عيداً ما بقي منّا اثنان قال الراوي : فلم يجبه أحدٌ منّا؛ وذلك لجهلهم بتاريخ وموقف ذلك اليوم وعظمته ، ويبدو أن الراوي نفسه استغرب كيف يغفل المسلمون عن الاحتفال بمثل ذلك اليوم لهذا نراه يلقي محمد بن كعب القرظي فيسأله عن ذلك فيردّه هذا الأخير بأن عمر بن الخطاب روى أنّها أنزلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو واقف على الجبل يوم عرفة .

فلو كان ذلك اليوم معروفاً لدى المسلمين على أنه يوم عيد لما جهله هؤلاء الرواة ، سواء أكانوا من الصحابة أم من التابعين ، لأنّ الثابت المعروف لديهم أنّ للمسلمين عيدين اثنين ، وهما عيد الفطر وعيد الأضحى ، أنّ العلماء والمحدثين كالبخاري ومسلم وغيرهما - تراهم يخرجون في كتبهم : كتاب العيدين ، صلاة العيدين ، خطبة العيدين .. ، إلى غير ذلك من المتسالم عليه لدى خاصّةتهم وعامةّتهم ، ولا وجود لعيد ثالث .

وأغلبُ الظنَّ أنَّ القائلين بمبدأ الشورى في الخلافة ومؤسَّسي هذه النظرية هم الذين صرفوا نزولها عن حقيقتها يوم غدیر خمَّ بعد تأمير الإمام عليٍّ ، فكان تحويل نزولها في يوم عرفة أهون وأسهل على القائلين به؛ لأنَّ يوم الغدير جمع مائة ألف حاج أو يزيدون ، وليس هناك مسلبة في حجَّة الوداع أقرب إلى الغدير من يوم عرفة في المقارنة ، إذ أن الحجيج لم يجتمعوا على صعيد واحد إلاَّ فيهما المعروف أن الناس يكونون متفرِّقين جماعات وأشتاتاً في كلِّ أيام الحجِّ ، ولا يجتمعون في موقف واحد إلاَّ في عرفة.

ولذلك نرى أنَّ القائلين بنزولها يوم عرفة يقولون بنزولها مباشرة بعد خطبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الشهيرة والتي أخرجها المحدثون.

وإذا كان النص بالخلافة على عليٍّ بن أبي طالب قد صرفوه عن حقيقته وباغتوا الناس . بمن فيهم عليٌّ نفسه والذين كانوا منشغلين معه بتجهيز الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ودفنه . بالبيعة لأبي بكر في سقيفة بني ساعدة على حين غفلة ، وضربوا بنصوص الغدير عرض الجدار وجعلوه نسياً منسياً فهل يمكن لأيِّ أحد بعد الذي وقع أن يحتجَّ بنزول الآية يوم الغدير؟

فليست الآية أوضح في مفهومها من حديث «الولاية» ، وإنما تحمل في معناها إكمال اللهيِّاتمَّ النعمة ورضى الربَّ ليس إلاَّ ،

وإن كانت تنطوي على إشعار بحصول هنات لهم في ذلك اليوم هو الذي سبب كمال الدين.

ومما يزيدنا يقيناً بصحة هذا الاعتقاد : ما رواه ابن جرير عن قبيصة بن أبي ذؤيب قال : قال كعلب أن غير هذه الأمة نزلت عليهم هذه الآية لنظروا اليوم الذي أنزلت فيه عليهم فاتخذوه عيداً يجتمعون فيه ، فقال عمر وأبي آية يا كعب؟ **لَقِيَالْو: ﴿مَ أَكْمَهَ لَمْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾** فقال علقم علمت اليوم الذي أنزلت والمكان الذي نزلت فيه نزلت في يوم جمعة ويوم عرفة ، وكلاهما محمد الله لنا عيد^(١).

ثانياً : على أن القول **لِيَنْزُولِ لآيَةٍ كُنْهَ (لَمْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ)** في يوم عرفة يتنافى **يَا أَيُّهَا سَامِعِ لَيْتَةَ وَالْبَلَاغِ لَ (بَغْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ)** والتي تأمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بإبلاغهم لا تتم الرسالة إلا به والتي سبق البحث وتبين نزولها بين مكة والمدينة بعد حجة الوداع ، وهو ما رواه أكثر من مائة وعشرين صحابياً ، وأكثر من ثلاثمائة وستين من علماء أهل السنة والجماعة^(٢) فكيف يكمل الله الدين

١ . الدر المنثور للسيوطي **الْبَلَاغِ لَ (بَغْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ)** ، سورة المائدة .

٢ . ما ينبغي الالتفات إليه أن آية البلاغ وحديث الغدير وآية الاكمال سبب

ويتمّ النعمة في يوم عرفتهم، بعد أسبوع يأمر نبيّ ه صلى الله عليه وآله وسلم وهو راجع إلى المدينة النبوية شيء مهم لا تتمّ الرسالة إلاّ به، كيف يصحّ ذلك يا أولي الأبواب؟! ثالثاً إنّ الباحث المدقّق إذا أمعن في النظر في خطبة الرسول صلى الله عليه وآله

نزولهنّ أمرٌ واحد ، وهو أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم للناس الولاية لعليّ بن أبي طالب عليه السلام بأن فصل الرواة والمحدثين بينها لأجل الاختصار أو تقطيع الأخبار أو غير ذلك من الأسباب ، ومن هذا الباب جاء كلام المؤلّف حول عدد رواة آية البلاغ ، لأنه نظر إلى مجموع القضايا الثلاث كقضية واحدة كما هي في واقعها.

ومن هذا يعرف أنّ ما أشكل به صاحب كتاب كشف الجاني : ١٥٤ ناشئ من عدم فهم كلام المؤلّف ، والنظر إلى حادثة الغدير وآية البلاغ والإكمال كقضايا متعدّدة لا يرتبط بعضها ببعض ، مع أنّ الأمر ليس كذلك ، كما هو واضح لمن يرجع إلى الروايات وأسباب نزول الآيات . أضف إلى ذلك أنّ كلام المؤلّف في آية البلاغ وليس في آية الإكمال . بناءً على الفصل بينهما . فلا وجه للخلط بين الأمرين .

وأما ما ذكره في الحاشية من أنّ كتاب الغدير كتاب تكرار وبدون فائدة ، فهو كلام مضحك للتكلى وناشئ عن التعصب المقيت والمذموم إذ أنّ موسوعة الغدير قام مؤلّفها بجمع طرق رواة الحديث ، واعتمد في ذلك على مصادر أهل السنّة المعترّة ، فيكيف يكون مثل هذا العمل تكراراً وبلا فائدة؟! اللهمّ إنّ تكون المصادر السنيّة التي ذكرها صاحب الغدير مصادر غير معترّة ولا قيمة لها ، وبذلك يكون عثمان الخميس قد طعن بمصادره المعترّة التي يعتمد عليها في عقيدته وشرعه .

يوم عرفه ،لا يجد فيها أمراً جديداً يجمله المسلمون والذي يمكن اعتباره شيئاً مهماً أكمل
الله به الدين وأتم به النعمة ، إذ ليس فيها إلا جملة من الوصايا التي ذكرها القرآن ، أو ذكرها
النبي صلى الله عليه وآله وسلم في عدة مناسبات ، وأكد عليها يوم عرفة .

وإليك ما جاء في الخطبة على ما سجّله كلّ الرواه :

إنّ الله حرّم عليكم دماءكم وأموالكم كحرمة شهركم هذا ويومكم هذا .
اتّقوا الله ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين ، فمن كانت عنده
أمانة فليؤدها .

الناس في الإسلام سواء لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى .
كلّ دم كان في الجاهلية موضوع تحت قدمي وكنلّ ربا كان في الجاهلية موضوع تحت
قدمي .

أيّها الناس إنّما النسيء زيادة في الكفر... ألا وأنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق
الله السماوات والأرض .

إنّ عدّة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله منها أربعة حرم .
أوصيكم بالنساء خيراً إنّما أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم

فروجهنَّ بكتاب الله .

أوصيكم بمن ملكت أيمانكم ، فأطعموهم ممَّا تأكلون ، وألبسوهم ممَّا تلبسون .
إنَّ المسلم أخو المسلم ، لا يَغشُّه ، ولا يخونُه ، ولا يَغتابُه ، ولا يُلجِّلُ له دمه ، ولا شيء من ماله .

إنَّ الشيطان قد يئس أن يُعبَد بعد اليوم ولكن يُطاع فيما سوى ذلك من أعمالكم التي تحتقرون .

أعدى الأعداء على الله قاتل غير قاتله ، وضارب غير ضاربه ، ومن كفر نعمة موابيه فقد كفر بما أنزلَ الله على محمد ، ومن انتمى إلى غيريِّه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

إنمَّا أمرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا لله إلا الله وإني رسول الله ، وإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقِّ وحسابهم على الله .
لا ترجعوا بعدي كفاراً مضلِّين يضرب بعضهم رقاب بعض .

هذا كلُّ ما قيل في خطبة عرفة من حجَّة الوداع وقد جمعتُ فصولها من جميع المصادر الموثوقة ، حتى لا يبقى شيء من وصاياہ صلى الله عليه وآله وسلم التي ذكرها المحدثون إلا أخرجتها ، فهل فيها شيء جديد بالنسبة للصحابة؟

كلاً ، فكل ماجاء فيها مذكور في القرآن فهمين ٣ حكمه في السنة النبوية .
فقد قضى صلى الله عليه وآله وسلم كلاً يبين ٣ للناس ما نزل إليهم ويعلمهم
كل ٣ صغيرة وكبيرة ، فلا وجه لنزول آية إكمال الدين وإتمام النعمة ورضى الله ٣ « بعد هذه
الوصايا التي يعرفها المسلمون؟

وإنما أعادها عليهم للتأكيد لهم لأو ٣ مرة يجتمعون عليه بذلك العدد الهائل ، ولأنه
أخبرهم قبل الخروج إلى الحج ٣ بأنها حجة الوداع ، فكان واجباً عليه أن يسمعهم تلك
الوصايا .

أم ٣ إذا أخذنا بالقول الثابت ، نزول الآية يوم غدير خم ٣ بعد تنصيب الإمام علي ٣
خليفة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأميراً للمؤمنين فإن المعنى يستقيم ويكون مطابقاً ،
لأن الخلافة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أهم ٣ الأمور ولا يمكن أن يترك الله ٣
عباده سدى ولا ينبغي لرسول الله ٣ صلى الله عليه وآله وسلم أن يذهب دون استخلاف
ويترك أمته هملأ بدون راع وهو الذي ما كان يُنذر المدينة إلا ويستخلف عليها أحداً من
أصحابه فكيف نصدق بأنه التحق بالرفيق الأعلى وما فكر في الخلافة؟!

وإذا كان الم ٣ لحدون في عصرنا يؤمنون بهذه القاعدة ، ويسرعون إلى تعيين خلف
للرئيس حتى ٣ قبل موته ليسوس أمور الناس بولا يتركونهم يوماً واحداً بدون رئيس .
فلا يمكن أن يكون الدين الإسلامي . وهو أكمل الأديان وأتمها

والذي ختم الله به كل الشرائع . أن يهمل أمراً مهماً كهذا.

قد وعرفنا فيما تقدم بأن عائشة وابن عمر وقبلهما أبو بكر وعمر أدركوا كلهم بأذه
لابد من تعيين الخليفة ، وإلا لكانت فتنة ، كما أدركنا من جاء بعدهم من الخلفاء ،
فكلهم عيوناً من بعدهم ، فكيف تغيب هذه الحكمة على الله وعلى رسوله؟!

فالقول بأن الله سبحانه أوحى إلى رسوله في الآية الأولى « آية البلاغ » وهو راجع
من حجة الوداع بأن ينصب علياً خليفة له بقول **إِنَّا نُنزِلُ إِلَيْكَ مِنَ السَّمَاءِ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١)** ،
وإن لم تفعل لم تفعل فمما بالقرآن رسالته والله يعصمكم من الناس) أيا محمد إن لم تبلغ ما
أمرتك به بأن علياً هو ولي المؤمنين بعدك فكأنك لم تكمل مهمتك التي بعثت بها ، إذ إن
إكمال الإمامة أمر ضروري لكل العقلاء .

ويبدو أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يخشى معارضتهم له أو تكذيبهم ،
فقد جاء في بعض الروايات قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « وقد أمرني جبرئيل عن ربي
أن أقوم في هذا المشهد وأعلم كل أبيض وأسود : أن علي بن أبي طالب أخي ووصي
وخليفتي والإمام بعدي ، فسألت جبرئيل أن يستعفي لي ربي لعلمي بقلّة المتّقين وكثرة المؤذنين
لي واللائمين لكثرة ملازمتي لعليّ وشدّة إقبالي عليه حتى سموني أذناً ، فقال تعالى : **لَهُمْ
الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ قُلُوبُ الْأَذَانِ خَيْرٌ لَكُمْ**) (١)

و شئتُ أن أهملَّيهم وأدُلُّ عليهم لفعلتُ ، ولكني بسترهم قد تكررمتُ ، فلم يرض الله إلا بتبليغي فيأفيلموا معاشر الناس إن الله قد نصَّب به لكم ولياً وإماماً ، وفرض طاعته على كلِّ أحد ... » الخطبة (١) .

فلمَّا أنزلوا الله عليه: **عظيماً لك من الناس**) أسرع في نفس الوقت وبدون تأخير بامثال أمر ربِّه ، فنصب علياً خليفة من بعده ، وأمر أصحابه بتهنئته بإمارة المؤمنين ، ففعلوا وبعدها أنزل الله اليهم: **أَلَا مَا تَلَّمْتُمْ لَكُمْ مَلِيكُكُمْ نِعْمَ تِي وَرَضِيَتْ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِيناً** .

أضف إلى كلِّ ذلك أننا نجد بعض علماء أهل السنة والجماعة يعترفون صراحة بنزول آية البلاغ في إمامة علي :

فقد رووا عن ابن مردويه عن ابن مسعود قال: كتَّأ نقرأ على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أيها الرسول بلِّغ ما أنزل إليك من ربِّك . أنَّ علياً مولى المؤمنين . وإن لم تفعل فما بلِّغت رسالته والله يعصمك من الناس » (٢) .
وبعد هذا البحث إذا أضفنا روايات الشيعة عن الأئمة الطاهرين ،

١ . أخرجها بكاملها الحافظ ابن جرير الطبري في كتاب الولاية ، وعنه في الصراط المستقيم للبيضاوي ١ : ٣٠١ ، والغدير للأميني ١ : ٢١٤ .

٢ . فتح القدير للشوكاني ٢ : ٦٠ ، الدر المنثور للسيوطي ٢ : ٢٩٨ ، في تفسير الآية ٦٧ من سورة المائدة .

يتجلّى لنا بأنّ الله ﷻ أكمل دينه بالإمامة ، ولذلك كانت الإمامة عند الشيعة أصلاً من أصول الدين.

وبإمامة علي بن أبي طالب أتمّ الله ﷻ نعمته على المسلمين ، لئلاّ يبقوا هملاً تتجازبهم الأهواء وتمزّقهم الفتن فيتفرقوا كالغنم بدون راع.

ورضي لهم الإسلام ديناً لئلاّ يختار لهم أئمة أذهب عنهم الرجس وطهّرهم ، وأتاهم الحكمة وأورثهم علم الكتاب لئلاّ يكونوا أوصياء محمّد ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم ، فيجب على المسلمين أن يرضوا بحكم الله ﷻ واختياره بويسلّموا تسليماً ، لأنّ مفهوم الإسلام العام هو التسليم لله ﷻ ، قال تعالى :

وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ۚ مَا كَانَ لَكُمْ أَن تُكَفِّرُوا عَنْ مَا كَفَرْتُمْ لَوْلَا إِذْ يَبْعَثُ إِلَيْكُمْ آيَاتٍ لَّإِذْ يَأْتِيَنَّكُمْ أَلْحِقَ الْكُفْرَانَ ۗ وَاللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٠١﴾

ومن خلال ذلك يُفهمُ بأنّ يوم الغدير اتخذهُ رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم يوم عيداً بعد تنصيب الإمام عليّ ﷺ وبعد أن نزلت عليه قوله ﴿لَمْ يَكُن لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ ... (الآية : قال : «الحمد لله ﷻ على إكمال الدين ،

وإتمام النعمة ، ورضى الربّ برسالتي وولاية علي بن أبي طالب من بعدي »^(١).
ثم عقد له موكباً للتهنئة ، وجلس صلى الله عليه وآله وسلم في خيمة وأجلس عليه سائراً
بجانبه وأمر المسلمين . بما فيهم زوجاته أمهات المؤمنين . أن يدخلوا عليه أفواجاً ويهتفوا
بالمقام ، ويسلموا عليه بإمرة المؤمنين ، ففعل الناس ما أمروا به ، وكان من جملة المهتفئين للأمير
المؤمنين عليّ بن أبي طالب بهذه المناسبة أبو بكر وعمر .

وقد جاء إليه يقولان لهخ بخ لك يا بن أبي طالب أصبحتَ وأمستَ مولانا
ومولى كلِّ مؤمن ومؤمنة^(٢).

ولما عرف حسّان بن ثابت شاعر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فرح النبي
واستبشاره في ذلك اليوم ، قال أتأذن لي يا رسول الله أن أقول في هذا المقام أبياتاً
تسمعهن؟ فقال قلن «هلّى بركة الله ، لا تزال يا حسّان مؤيداً بروح القدس ما نصرتنا
بلسانك» .

فأنشد يقول :

يناديهم يوم الغدير يهيم بهم فاسمع بالرسول مناديا

١ . الحاكم الحسكاني ١ : ١٥٨ ح ٢١٢ ، عن أبي سعيد الخدري في تفسيره للآية ، المناقب للخوارزمي : ١٣٥

ح ١٥٣ .

. مترّ تخريجه فيما تقدّم .

إلى آخر الأبيات التي ذكرها المؤرّخون^(١).
ولكن ورغم كل ذلك، فإنّ قريشاً اختارت لنفسها وأبت أن تكون في بني هاشم
النبويّة والخلافة تجحفون على قومهم بجُحاً بجُحاً، كما صرّح بذلك عمر بن الخطاب لعبد
الله بن عباس في محاوراة دارت بينهما^(٢).

فلم يكن في وسع أحد أن يحتفل بذلك العيد بعد ذكره الأولى التي احتفل بها النبي
صلى الله عليه وآله وسلم.

وإذا كانوا قد تناسوا نصّ الخلافة وتلاشى من أذهانهم، ولم يمض عليه من الوقت غير
شهرين، ومع ذلك لم يتكلّم به أحد، فكيف بذكر الغدير التي مضى عليها عام كامل،
على أن هذا العيد مربوط بذلك النصّ على الخلافة فيأذ انعدم النصّ وزال السلب لم يبق
لذلك العيد أثر يذكر.

ومضت على ذلك السنونختي رجوع الحقّ إلى أهله بعد ربع قرن، فأحيها الإمام
علي من جديد بعد ما كادت تُقبر، وذلك في

١. شواهد التنزيل للحسكاني ١ : ٢٠٢ ، المناقب للخوارزمي : ١٣٦ ح ١٥٢ ، نظم درر السمطين : ١١٢ .
٢. الطبري في تاريخه ٤ : ٢٢٢ حوادث سنة ٣٠٣ باب شيء من سيره ممّا لم يمض ذكره ، تاريخ ابن الأثير ٣ :
٦٣ حوادث سنة ٢٣ .

رحللة عندما ناشد أصحاب محمد ﷺ من حضر عيد الغدير أن يقوموا فيشهدوا أمام الناس ببيعة الخلافة ، فقام ثلاثون صحابياً منهم ستّ عشر بدرياً^(١) وشهدوا^(٢) ، والذي كتم الشهادة وادّعى النسيان أنس ابن مالك الذي أصابته دعوى عليّ بن أبي طالب ، فلم يقيم من مقامه ذلك إلاّ أبرص ، فكان ييكي ويقول : أصابتنى دعوة العبد الصالح لأني كتمتُ شهادته^(٢) .

-
- ١ . مسند أبي يعلى : ١ : ٤٢٩ ح ٥٦٧ ، مسند أحمد : ١ : ٨٨ و ١١٩ وعنه في مجمع الزوائد ٩ : ١٠٤ وقال : « رجاله رجال الصحيح » ، تاريخ دمشق ٤٢ : ٢٠٦ ، المعجم الكبير ٥ : ١٧٥ ، أسد الغابة ٤ : ٢٨ ، ذخائر العقبى : ٦٨ ، مع اختلاف في عدد البدرين .
 - ٢ . قريب منه الفضائل لشاذان بن جبرئيل : ١٦٤ وعنه في البحار ٤١ : ٢١٨ ح ٣١ ، الإرشاد للمفيد : ٣٥١ .

وجاء في أنساب الأشراف للبلاذري : ١٥٧ ح ١٦٩ : عن أبي وائل قال قال عليّ بن عليّ المنبر : « نشدت الله رجلاً سمع رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم يقول يوم غدير خم اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه ، إلاّ قام فشهد » وتحت المنبر أنس ابن مالك والبراء ابن عازب وجريير بن عبد الله ، فأعادها فلم يجبه منهم ، فقال اللهمّ من كتم هذه الشهادة وهو يعرفها فلا تخرجه من الدنيا حتى تجعل به آية يُعرف بها » قال أبو وائل فبرص أنس ، وعمي البراء ، ورجع جريراً أعرابياً ...

وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج ١٩ : ٢١٨ : « ذكر ابن قتيبة حديث

وبذلك أقام أبو الحسن الحجّة على هذه الأمّة ومنذ ذلك العهد وحتى يوم الناس هذا وإلى قيام الساعة يحتفل الشيعة بذكرى يوم الغدير ، وهو عندهم العيد الأكبر، كيف لا وهو اليوم الذي أكمل الله لنا فيه الدين بؤتمّم فيه علينا النعمة ،ورضى بالإسلام لنا ديناً ، وهو يوم عظيم الشأن عند الله ورسوله والمؤمنين .

ذكر بعض علماء أهل السنّة عن أبي هريرة أنه قال لما أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيد علي وقال من «كنت مولاه فعلي مولاه ..» إلى آخر اليَوْمِ الْخَطِيرِ نَلِّتُ عَنْكُمْ وَجَلِّتُ بَيْنَكُمْ) وَ أْتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضَيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِيناً) ، قال أبو هريرة : وهو يوم غدير خم ، من صام يوم ثمان عشر من ذي الحجّة كتب له

البرص والدعوة التي دعا بها أمير المؤمنين عليه السلام على أنس بن مالك في كتاب المعارف في باب البرص من أعيان الرجال ، وابن قتيبة غير منهم في حقّ عليّ عليه السلام على المشهور من انحرافه عنه .
وجاء في مسند أحمد ١ : ١١٩ : « فقام إلاّ ثلاثة لم يقوموا ، فدعا عليهم فأصابتهم دعوته .»
وفي المجمع الكبير للطبراني ٥ : ١٧٥ : « قال زيد : وكنت أنا فيمن كتم فذهب بصري .»
وفي تاريخ دمشق ٤٢ : ٢٠٨ : « وكتم قوم فما فنوا من الدنيا حتى عموا وبرصوا .»

صيام ستّين شهراً^(١).

أمّا روايات الشيعة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في فضائل ذلك اليوم فحدّث
ولا حول الحمد لله على هدايته أن جعلنا من المتمسّكين بولاية أمير المؤمنين ، والمختفلين
بعيد الغدير .

وخلاصة البحث : إنّ حديث الغدير «كنتُ مولاة فعلي مولاة ، اللهمّ وال من
والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره واخذل من خذله ، وأدر الحقّ معه حيث دار »
هو حديث أو بالأحرى هي حادثة تاريخية عظيمة أجمعت الأمّة الإسلامية على نقلها ،
فقد مرّ علينا ذكر ثلاثمائة وستّين من علماء أهل السنّة والجماعة ، وأكثر من ذلك من
علماء الشيعة .

ومن أراد البحث والمزيد فعليه بكتاب الغدير للعلامة الأميني .
وبعد الذي عرضناه لا يُستغربُ تنقسم الأمّة الإسلامية إلى سنّة وشيعة تمندّكت
الأولى بمبدأ الشورى في سقيفة بني ساعدة ، وتأوّلت النصوص الصريحة ، وخالفت بذلك ما
أجمع عليه الرواة من حديث الغدير ، وغيره من النصوص .

١ . تاريخ بغداد ٨ : ٢٨٤ ح ٤٣٩٢ ، وقال : « اشتهر هذا الحديث من رواية حبشون ، وكان يقال أنّه تفرّد
به ، وقد تابعه عليه أحمد بن عبد الله بن النيري ... » .

وتمسكت الثانية بتلك النصوص فلم ترض عنها بدلاً ، وبايعت الأئمة الإثني عشر من أهل البيت ولم تبغ عنهم حولاً .

والحقّ أنّني عندما أبحث في مذهب أهل السنّة والجماعة خصوصاً في أمر الخلافة أجد المسائل مبنيةً على الظنّ والاجتهاد لأنّ قاعدة الانتخاب ليس فيها دليل قطعي على أنّ الشخص الذي نختاره اليوم هو أفضل من غلّةنا لا نعلمُ خائنة الأعين وما تخفي الصدور ولأنّنا في الحقيقية مركّبون من عواطف وعصبية ، وأنانية كاملة في نفوسنا ، وستلعب هذه المركّبات دورها إذا ما أوكل إلينا اختيار شخص من بين أشخاص .

وليست هذه الأطروحة خيالاً أو أمراً مبالغاً فيه فالمتتبّع لهذه الفكرة ، فكرة اختيار الخليفة سيجد أن هذا المبدأ الذي يطبّل له لم ينجح ولا يمكن له أن ينجح أبداً .

فهذا أبو بكر زعيم الشورى بالرغم من وصوله إلى الخلافة (بالاختيار والشورى) ، نراه عندما شارف على الوفاة أسرع إلى تعيين عمر بن الخطاب خليفةً له دون استعمال طريقة الشورى . وهذا عمر بن الخطاب الذي ساهم في تأسيس خلافة أبي بكر نراه بعد وفاة أبي بكر يُعلن على الملأ بأنّ بيعة أبي بكر كانت فلتةً

وقى الله المسلمين شرّها^(١).

ثم فُعلك نرى أنّ عمراً عندما طُعن وأيقن بدنو أجله ، عين سته أشخاص ، ليختاروا بدورهم واحداً منهم ليكون خليفة ، وهو يعلم علم اليقين أنّ هؤلاء نفر على قلتهم سيختلفون رغم الصحبة والسبق للإسلام والورع والتقوى ، فستثور فيهم العواطف البشرية التي لا ينجو منها إلا المعصوم ولذلك نراه . لحسم الخلاف . رجح كفه عبدالرحمن بن عوف فقال إذا اختلفتم فكونوا في الشق الذي فيه عبدالرحمن بن عوف ، ونرى بعد ذلك بأنهم اختاروا الإمام عليّاً ليكون خليفتهم اشتراطوا عليه أن يحكم فيهم بكتاب الله وسنة رسوله وسنة الشيخين أبي بكر وعمر ، على كتاب الله وسنة رسوله ورفض سنة الشيخين^(٢) وقابل عثمان هذه الشروط فبايعوه بالخلافة . وقال علي في ذلك :
فيا لله وللشورى متى اعترض الريب الأئمة ملع منهم حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر ، لكنني أسففت إذا أسفوا وطرت إذ

١. صحيح البخاري ٨ : ٢٦ ، كتاب المحاربين ، باب ١٧ ، في رجم الحبلى من الزنا .

٢ . تاريخ الطبري ٣ : ٣٠١ ، حوادث سنة ٢٣ ، قصة الشورى ، وكذلك في الكامل لابن الأثير ٣ : ٧٤ في نفس الموضوع .

طاروا ، فصغى رجل منهم لضغنه ومال الآخر لصبه مع هن وهن .. » (١) .
وإذا كان هؤلاء . وهم نخبة المسلمين وهم خاصة خاصة الخاصة . تلعب بهم العواطف ،
فيكون فيهم الحقد ، وتكون فيهم العصبية بين هن وهن يقول محمد ؓ د عبده في شرحه لهذه
الفقرة : (تغيير الإمام علي ؓ إلى أغراض أخرى يكره ذكرها) ؛ فعلى الدنيا بعد ذلك السلام .
على أن عبدالرحمن بن عوف ندم فيما بعد على اختياره وعصبه على عثمان
واتهمه بخيانته العهد لما حدث في عهده ما حدث ، وجاءه كبار الصحابة يقولون له : يا
عبدالرحمن هذا عمل يديك . فقال لهما كنت أظن هذولكنن الله ؓ على أن لا أكلمه
أبداً . ثم مات عبدالرحمن بن عوف وهو مهاجر لعثمان ، حتى روى أن عثمان دخل عليه في
مرضه يعود فتحول بوجهه إلى الحائط ولم يكلمه (٢) .
ثم كان بعد ذلك ما كان ، وقامت الثورة على عثمان وانتهت بقتله ، ورجع للأمة
بعد ذلك للاختيار من جلود هذه المرة اختاروا علياً ولكن يا حسرة على العباد :
فقد اضطربت الدولة الإسلامية ،

١ . نهج البلاغة : الخطبة ٣ المعروفة بالشقشقية .

٢ شرح نهج البلاغة لمحمد ؓ د عبده ١ : ٣٥ .

وأصبحت مسرحاً للمماقيدائه الم ناوئين والمستكبرين ، والطامعين لارتقاء منصبة
الخلافة بأى ثمن وعلى أى طريق ولو بإزهاق النفوس البريئة .
وقد تغيرت أحكام الله ورسوله على مر تلك السنين الخمس والعشرين ، ووجد الإمام
علي نفسه وسط بحر لجي وأمواج متلاطمة ، وظلمات حالكة ، وأهواء جامحة ، وقضى
خلافته في حروب دامية فُرُضت عليه فرضاً من الناكثين والقاسطين والمارقين ، ولم يخرج منها
إلاً باستشهاده سلام الله عليه وهو يتحسّر على أمّة محمد ، وقد طمع فيها الطليق بن
الطليق معاوية بن أبي سفيان ، وأضرابه كعمرو بن العاص ، والمغيرة بن شعبة ، ومروان بن
الحكم ، وغيرهم كثير ونوما جرّ هؤلاء على ما فعلوه إلا فكرة الشورى والاختيار .
وغرقت أمّة محمد صلى الله عليه وآله وسلم في بحر من الدماء ، وتحكّم في مصيرها
سفهاؤها وأرذالها وتحوّلت الشورى بعد ذلك إلى الملك العضوض ، إلى القيصرية
والكسروية .

وانتهت تلك الفترة التي أطلقوا عليها اسم الخلافة الراشدة وبها سمّوا الخلفاء الأربعة
بالراشدين الحقّ إنّه حتى هؤلاء الأربعة لم يكونوا خلفاء بالانتخاب والشورى سوى أبي
بكر وعلي وإذا استثنينا أبا بكر لأنّ بيعته كانت فلتة على حين غفلة ولم يحضرها

«الحزب المعارض بكهما يقال اليوم ، وهم عليّ وسائر بني هاشم ومن يرى رأيهم ، لم يبق معنا من عُقدتْ له بيعة بالشورى والاختيار إلاّ علي بن أبي طالب الذي بايعه المسلمون رغم أنفه ، وتخلّف عنه بعض الصحابة فلم يفرض عليهم ولا هدّدهم.

وقد أراد الله سبحانه وتعالى أن يكونني بن أبي طالب خليفة لرسول الله بالنص من الله وكذلك بالانتخاب من المسلمين وقد أجمعت الأمة الإسلامية قاطبة سنة وشيعة على خلافة عليّ ، واختلفوا على خلافة غيره كما لا يخفى.

أقول يا حسرة على العباد لو أنهم قبلوا ما اختاره الله لهم؛ لأكلوا من فوق رؤوسهم ومن تحت أرجلهم ولأنزل الله عليهم بركات من السماء ، ولكان المسلمون اليوم أسياد

العالم وقادته كما أرادوا الله لهم لولا أنهم لم يولّوا (١) .

ولكن إبليس اللعين عدو لنا المبين قال مخاطباً ربّ الغفوة يفتني ما ألقه مدّن لهم

مِنْ بَرِيصٍ رَأَيْتُكَ يَهْلُسُ مَقَامَهُمْ لِاحْتِلَافِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (٢) .

١. آل عمران : ١٣٩ .

٢. الأعراف : ١٦-١٧ .

فليُنظر العاقل اليوم إلى حالة المسلمين في العالم ، وهم أذلاء لا يقدرّون على شيء ،
يركضون وراء الدول معترفين بإسرائيل ، وهي ترفض الاعتراف بهم ولا تسمح لهم حتى
بالدخول إلى القدس التي أصبحت عاصمة لها ، وإذا مارأيت بلاد المسلمين اليوم ترى أنّهم
تحت رحمة أمريكا وروسيا ، وقد أكل الفقر شعوبهم ، وقتلهم الجوع والمرض ، في حين تأكل
كلاب أوروبا شتى أنواع اللحوم والأسماك حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .
وقد تنبأت سيدة النساء فاطمة الزهراء سلام الله عليها عندما خاصمت أبا بكر ،
وخطبت خطبتها في نساء المهاجرين والأنصار قالت في آخرها محبرةً عن مآل الأمة :
«أما لعمرى لقد لقحت فنظرة ريثما تُنتج ، ثم احتلبوا ملاً القعب دماً عبيطاً وزُ عافاً
، هنالك يفسر المبطلون ويعرف التّالون غبّ ما أسسّه الأوّلون ، ثمّ طيبوا عن دنياكم
أنفساً واطمئنّوا للفتنة جأشاً ، وأبشروا بسيف صارم وسطوة معتد غاشم وهرج شامل ،
واستبداد من الظالمين ، يدعُ فيئكم زهيداً ، وجمعكم حصيداً ، فيا حسرةً لكم ، وأنى بكم ،
وقد عُمّيت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون» (١) .

١ . دلائل الإمامة للطبري الشيعي : ١٢٩ ، أمالي الطوسي : ٣٧٦ ح ٨٠٤ ، الاحتجاج للطبرسي ١ : ١٤٨ ،
شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦ : ٢٣٤ .

صدقت سيّدة النساء فيما تنبأت به وهي سليلة النبوة ومعدن الرسالة ، وقد تجسّدت
أقوالها في حياة الأمّة ، ومن يدري لعلّ الذي ينتظرها أبشع ممّا انقضى ، ذلك بأنهم كرهوا ما
أنزل الله فأحبط أعمالهم.

العنصر المهم في البحث

سيَ عنصراً واحداً مهمّاً في كلِّ هذا البحث يستحقُّ العناية والدرس ، وربما هو الاعتراض الوحيد الذي كثيراً ما يثار عندما يُفهمُ المعاندون بالحُجج الدامغة ، فتراهم يلجأون إلى الاستغراب واستبعاد أن يكون قحضر تنصيب الإمام عليٍّ مائة ألف صحابيٍّ ثمَّ يتواطؤون كلَّهم على مخالفته والإعراض عنه وفيهم خيرة الصحابة وأفضل الأمة!

وهذا ما وقع لي بالذات عند اقتحام البحث فلم أُصدّق ولا يمكن لأحد أن يصدّق إذا ما طُرحت القضية بهذا الطرح ولكن عندما ندرُس القضية من جميع الجوانب يزول الاستغرابُ المسألة ليست كما نتصوِّرها أو كما يعرضها أهل السنّة ، فحاشى أن يكون مائة ألف صحابيٍّ خالفوا أمر الرسول ، فكيف وقعت الواقعة إذن؟

أولاً لم يكن يسكن المدينة المنورة كلٌّ من حضر بيعة الغدير ، وإنّما كان كما هو المفروض وعلى أكبر تقدير ثلاثة أو أربعة آلاف منهم يسكنون المدينة ، وإذا عرفنا أنّ هؤلاء فيهم الكثير من الموالي

والعبيد والمستضعفين الذين قدموا على رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم من مناطق عديدة ، وليس لهم في المدينة قبيلة ولا عشيرة أمثال أهل الصفة ، فلا يبقى معنا إلا نصفهم يعني الفين فقط وحتى هؤلاء فهم خاضعون لرؤساء القبيلة ونظام العشيرة التي ينتمون إليها وقد أقرهم رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم على ذلك فكان إذا قدم عليه وفد ولى عليهم زعيمهم وسيدهم ولذلك وجدنا اصطلاحاً على تسميتهم في الإسلام بأهل الحل والعقد.

وإذا ما نظرنا إلى مؤتمر السقيفة الذي انعقد عند وفاة الرسول مباشرة ، وجدنا أن الحاضرين الذين اتخذوا قرار اختيار أبي بكر خليفة لا يزيد على مائة شخص على أكثر تقدير؛ لأنه لم يحضر من الأنصار . وهم أهل المدينة . إلا أسيادهم وزعمائهم ، كما لم يحضر من المهاجرين . وهم أهل مكة الذين هاجروا مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم . إلا ثلاثة أو أربعة أشخاص يملون قريش .

ويكفي دليلاً أن نتصور ما هو حجم السقيفة فكلنا يعرف ما هي السقيفة التي ما كانت تخلو منها أي دار ، فليست هي قاعة الحفلات ولا قصر المؤتمرات ، فإذا ما قلنا بحضور مائة شخص في سقيفة بني سافلئك مبالغة منا حتى يفهم الباحث بأن المائة ألف لم يكونوا حاضرين ، ولا سمعوا حتى مادار في السقيفة إلا بعد زمن بعيد ، فلم

تكن هناك مواصلات جوية ، ولا هواتف لاسلكية ، ولا أقمار صناعية .
وبعد اتّفاق هؤلاء الزعماء على تعيين أبي بكر ورغم معارضة سيّد الأنصار سعد بن
عبادة زعيم الحزج وابنه قيس ، إلاّ أن الأغلبية الساحقة (كما يقال اليوم أبرمتُ العقد
وتصافقتُ عليه ، في حين كان أغلب المسلمين غائبين عن السقيفة ، وكان بعضهم مشغولاً
بتجهيز الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أو مذهولاً بخبر موته ، وقد أربعمهم عمر بن
الخطاب وخوٌّ فهم إن قالوا بموته ^(١) .

أضف إلى ذلك أنّ أغلب الصحابة عبّ أهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في
جيش أسامة ، وأكثرهم كانوا معسكرين بالجرف ، ولم يحضروا وفاة النبي
صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا حضروا مؤتمر السقيفة .
فهل يُعقلُ بعد هذا الذي وقع أن يعارض أفراد القبيلة أو العشيرة زعيمهم فيما أبرمه ،
خصوصاً وأن فيما أبرمه الفضل العميم والشرف الكبير الذي تسعى إليه كلُّ قبيلة منهم ،
ومن يدري لعلّه يلحقهم في يوم من الأيام شرف الرئاسة على كلِّ المسلمين ، ما دام صاحبها
الشرعي قد أُبعدَ وأصبح الأمر شورى يتداولونه بينهم بالتناوب ، فكيف لا يفرحون بذلك
وكيف لا يؤيدونه؟

١. صحيح البخاري ٤ : ١٩٢ ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل أبي بكر .

ثانياً إذا كان أهل الحلّ والعقد من سكّان المدينة قد أبرموا أمراً ، فليس للقاصين البعيدين من أطراف الجزيرة أن يعارضوا ، وهم لا يدرون ما يدور في غياهم ، فوسائل النقل في ذلك العهد كانت ثمّ أثيهم يتصوّنون بأنّ سكّان المدينة يعيشون مع رسول الله ، فهم أعلم بما يستجد من أحكام قد ينزل بها الوحي في أيّ ساعة وفي أيّ يوم .

ثمّ بعد ذلك ما يهمّ رئيس القبيلة البعيد عن العاصمة من أمر الخلافة شيئاً ، فبالنسبة إليه سواء أكان أبو بكر خليفة أم عليّ أم أيّ شخص آخر ، فأهل مكة أدرى بشعابها ، والمهم عنده هو بقاءه هو على رئاسة عشيرته ولا ينازعه فيها أحد .

ومن يدري لعلّ البعض منهم تسائل عن الأمر وأراد أن يستطلع الخبر ، غير أنّ أجهزة الحكم أسكنته سواء بالترغيب أو بالترهيب ، ولعلّ في قصة مالك بن نويرة الذي امتنع عن دفع الزكاة إلى أبي بكر ما يؤكّد حصول ذلك .

والمتنبّح لتلك الأحداث التي وقعت في حرب مانعي الزكاة أيام أبي بكر يجد كثيراً من التناقضات ولا يقتنع بما أورده بعض المؤرّخين للحفاظ على كرامة الصحابة ؛ وخصوصاً الحاكمين منهم .

ثالثاً عنصر المفاجئة في القضية لعبّ دوراً كبيراً في قبول

ما يُسمّى اليوم « بالأمر الواقع » فخلد عُمُوداً مؤتمراً السقيفة على حين غفلة من الصحابة الذين شُغلوا بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم من هؤلاء الإمام عليّ ، والعباس ، وسائر بني هاشم ، والمقداد ، وسلمان ، وأبي ذر وعمرّار ، والزبير وغير هؤلاء كثير ، لما خرج أصحاب السقيفة يزفون أبا بكر إلى المسجد داعين إلى البيعة العامة والناس يُقبلون على البيعة أفواجاً وزرافات طعماً وكرهاً لم يكن عليّ وأتباعه قد فرغوا بعد من واجبه المقتدس الذي فرضته عليهم أخلاقهم السامية عملاً يمكن لهم أن يتركوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بدون تغسيل وتكفين وتجهيز ودفن ، ويتسارعوا إلى السقيفة ليتنازعوا حول الخلافة.

وما أن فرغوا من واجبه استتب الأمر لأبي بكر ، وبات من يتخلف عن بيعته معدوداً من أصحاب الفتنة الذي يشق عصا المسلمين ، فيجب على المسلمين مقاومته أو حتى قتله إن لزم الأمر.

ولذلك نرى عمر قد هدّد سعد بن عباد بالقتل لما امتنع عن بيعة أبي بكر ، وقال : اقتلوه إنّه صاحب فتنة (وله) د بعد ذلك المتخلفين في بيت عليّ بحرق الدار ومن فيها ، وإذا عرفنا رأي عمر بن

١ . صحيح ابن حبان ٢ : ١٥٧ ، وفيه : « قال عمر : فقلت وأنا مغضبقتل الله سعداً فإنّه صاحب فتنة وشر » ، ونحوه في تاريخ دمشق ٣٠ : ٢٨٣ ، والنهاية لابن الأثير ٤ : ١٣ .

الخطاب في خصوص البيعة فهمنا بعد ذلك كثيراً من الألفاظ التي بقيت محيرة.^١
فعُمر يرى بأذنه يكفي لصحة البيعة أن يسبق إليها أحد المسلمين فيجب على الآخرين
متابعته ومن عصا منهم فهو خارج من ربة الإسلام ويجب قتله.
فلنستمع إليه يتحدث عن نفسه في خصوص البيعة، كما أخرجه البخاري في
صحيحه^(١) قال يحكي عمّا وقع في السقيفة :
فكثرت الألفاظ وارتفعت الأصوات حتى فرقت من الاختلاف ، فقلت : أبسط يدك
يا أبا بكر ، فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون^(٢) والأنصار ، ونزونا على سعد بن عبادة ،
فقال قائل منهم قتلتم سعد بن عبادة ، فقلت قتل الله سعد بن عبادة ، قال عمر : وإنا
والله ما وجدنا فيما حضرنا من أمر أقوى من مبايعة أبي بكر ، خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن
بيعة أن يبايعوا رجلاً منهم بعدنا ، فإمامنا بايعناهم على ما لا

١ - صحيح البخاري ٨ : ٢٦ ، كتاب المحاربين ، باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت .
٢ - ذكر كل المؤرخين بأذنه لم يحضر في السقيفة إلا أربعة من المهاجرين ، فقوله : « فبايعته وبايعه المهاجرون
يعارضه قوله : «خالف عنّا علي والزبير ومن معهما» ، قاله في نفس الخطبة ، انظر : صحيح البخاري باب
رجم الحبلى من الزنا ، من كتاب المحاربين (المؤلف) .

نرضى وإمّا نخالفهم فيكون فسادٌ ، فمن بايع رجلاً على غير مشورة من المسلمين فلا يبايعُ هو ولا الذي بايعه تَغَرُّبَةً أَنْ يَقْتُلَا .»

فالمسألة عند عمر ليست انتخاباً واختياراً وشورى، وإمّا يكفي أن يبادر أحد المسلمين بالبيعة لتكون حجّة على الباقيين ، ولذلك قال لأبي بكر : أبسط يدك يا أبا بكر ، فبسط يده فبايعه بدون مشورة ولا ترسّيث خوفاً من أن يسبق إليها أحد آخر .

وقد عبرَ عمر عن هذا الرأي بقوله : خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يبايعوا رجلاً منهم بعدنا (حشي عمر أن يسبقه الأنصار فبايعوا رجلاً منهم) ويزيدنا وضوحاً أكثر عندما يقولوننا بايعناهم على ما لا نرضى وإمّا نخالفهم فيكون فسادٌ (١).

وحتى نكون منصفين في الحكم ومدقّقين في البحث نجدُ علينا أن نعترفَ بأنَّ عمر بن الخطاب غيرَ رأيهِ في البيعة في آخر أيام حياته وذلك عندما جاءه رجلٌ بمحضر عبد الرحمن بن عوف في آخر حجّة حجّها فقال : يا أمير المؤمنين هل لك في فلان يقول : لو قد مات عمرُ لقد بايعتُ فلهولاءُ ، ما كانت بيعة أبي بكر إلاّ فلتة فتمتّت . فغضب عمر ، ولهذا قام في الناس خطيباً فور رجوعه إلى المدينة ، فقال من جملة ما قال في خطبته :

١- صحيح البخاري ٨ : ٢٦ ، كتاب المحاربين ، باب رجم الحبلى من الزنا .

إذنه بلغني أن قائلاً منكم يقول الله: لو مات عمر بايعتُ فلاناً ، فلا يغترنَّ أمرؤ
أن يقول إنما بكلمت فلاناً وتمايبت ، ألا وإنها كانت كذلك ولكن الله وقسى شرها
...^(١) ثم ميقول ربيع رجلاً عن غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي بايعه
تَغْرَةً أَنْ يُقْتَلَ ...^{(٢) (٣)}.

١. صحيح البخاري ٨ : ٢٦ ، كتاب المحاربين ، باب رجم الحبلى من الزنا.

٢. نفس المصدر السابق.

٣. أولولف أن يوضح المنهجية المضطربة التي يتمتع بها عمر بن الخطاب ومن يحذو حذوه ، إذ بينما يبايع أبا بكر لوجه يوم السقيفة ، ويسارع في مدّ يده للبيعة من دون أن يستشير المسلمين في ذلك ، نراه في آخر عمره يعرض عن ذلك الفعل ويحكم على فعله ومن يقلده فيه بالقتل ، فللمؤلف مؤاخذه على عمر بن الخطاب في التذبذب والاضطراب المنتهج الذي سلكه مع حزيه يوم السقيفة والذي شطب عليه نفسه في أخريات حياته ، وما حذفه المؤلف من الرواية . وهو : « وليس فيكم من تقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر » - فلا مدخلية له في موضع استشهاده بكلام عمر بن الخطاب ، لأن ذلك شهادة من عمر في حقّ أبي بكر ، وهذا غير مرتبط بكلام المؤلف؛ لأنّ كلامه عن فعل عمر يوم السقيفة من مبايعته أبي بكر من دون سبق مشورة من المسلمين ، وإذا به في آخر عمره يحكم على من يفعل الذي ارتكبه يوم السقيفة بالقتل.

وما هذا الاعتراض الذي اعترضه صاحب كشف الجاني في كتابه : ١٥٥

ليتَ عمر بن الخطاب كان على هذا الرأي يوم السقيفة ولم يستبدَّ على المسلمين ببيعته لأبي بكر التي كانت فَلَئمةٌ وقى الله شرَّها، كما شهد هو بذلك أنىَّ لعمر أن يكون على هذا الرأي الجديد؛ لأنه حكمَ على نفسه وعلى صاحبه بالقتل، إذ يقول في رأيه من الجلباب رجلاً من غير مشورة من المسلمين فلا يُبايعُ هو ولا الذي بايعه تغرَّةً أن يُقتلًا».

بقي علينا أن نعرف لماذا غيرَ عمر رأيه في آخر حياته بالرغم من أنه يعرف أكثر من غيره بأذنه برأيه الجديد نسف بيعة أبي بكر من أساسها، إذ إنه هو الذي سبق لبيعته من غير مشورة من المسلمين فكانت فلتاً وقسفاً أيضاً ببيعته هو لأذنه وصل للخلافه بنصَّ أبي بكر عليه عند الموت من غير مشورة من المسلمين حتى إنَّ بعض الصحابة دخلوا على أبي بكر مستنكرين عليه أن يولي عليهم فضاً غليظاً^(١).

ولمَّا خرج عمر ليقراً على الناس كتاب أبي بكر سأله رجلٌ : ما في

ليس له منشأ إلا الجهل ومحاولة تمويه القارئ بأن المؤلف يبتز الكلام ويأخذ ما ينفعه.

١. المصنّف لابن أبي شيبة ٧ : ٤٨٥ ح ٤٦ ، تاريخ دمشق ٣٠ : ٤١٣ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١

: ١٦٤ .

الكتاب يا أبا حفص؟ قال أدري ، ولكني أوّل من سمع وأطاع ، قال الرجل كنيّ والله أدري ما فيله ، رتّه عام أول وأمّ رك العام^(١) .

وهذا نظير قول الإمام عليّ لعمر عندما يلهيّه الناس قهراً لبيعة أبي بكر : « أحلب حلباً لك شطره ، واشدد له اليوم أمره يردده عليك غداً ... »^(٢) .
والمهم أن نعرف لماذا غير عمر رأيه في البيعة ؟ باعتقده بأذنه سمع بأن بعض الصحابة يريد بيعه عليّ بن أبي طالب بعد موت عمر ، وهذا ما لا يرضاه عمر أبداً ، وهو الذي عارض النصوص الصريحة ومعارض أن يكتب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك الكتاب ، عرف فحواه حتى اتهمه بالهجر^(٣) وخوف الناس حتى لا يقولوا بموته^(٤) وذلك

١ . الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١ : ٣٨ .

٢ . الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١ : ٢٩ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦ : ١١ .

٣ أمّا بالنسبة إلى منعه الكتابة فراجع : صحيح البخاري ١ : ٣٧ ، كتاب العلم ، باب ٤٠ و ٧ : ٩ كتاب المرضى ، باب ١٧ ، صحيح مسلم ٥ : ٧٦ ، كتاب الوصية ، باب ٥ ، المصنّف لعبد الرزاق ٥ : ٤٣٩ ، صحيح ابن حبان ١٤ : ٥٦٢ ، وغيره من المصادر الكثيرة .

أمّا عن اتهام عمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالهجر فراجع نشر العالمين للغزالي : ٤٠ وقال : « قال عمر : دعوا الرجل فإنه يهجر ، وقيل : يهدر . »

وفي تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي : ٦٥ أيضاً بنفس المعنى.

وقال ابن الأثير في النهاية ٥ : ٢٤٥ : « ومنه حديث مرض النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قالوا : ما شأنه أهدج ... والقائل كان عمراً » .

وفي السقيفة وفدك للجوهري . كما عن ابن أبي الحديد في شرح النهج ٦ : ٥١ : « فقال عمر كلمة معناها أن الوجع فقلب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم » .

واعترف ابن تيمية في منهاج السنة ٦ : ٢٤ و ٣١٥ بذلك وقال : « ما عمر فاشتبه عليه هل كان قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم من شدة المرض ، أو كان من أقواله المعروفة ، والمرض جائز على الأنبياء ، ولهذا قال : ما أهدج؟ فشك في ذلك ولم يجزم بأنه هجر ... فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان مريضاً فلم يدر أكلامه كان من وهج المرض كما يعرض للمريض ، أو كان من كلامه المعروف الذي يجب قبوله » .

فإن ابن تيمية يقر بأن القائل لهذه الكلمة الخبيثة هو عمر ، لكن يبرر موقفه وينسبه إلى الشك وعدم التثبيت ، بما يدل على جهل عمر بأحوال الأنبياء ومقامهم الرفيع ، سيما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وخصوصاً وهو في تلك الحالة حيث يعهد ويوصي آخر وصاياه .

وفهم ذلك حتى النساء ، ففي مسند أحمد ١ : ٢٩٣ والمعجم الكبير ١١ : ٣٠ : « قالت المرأة : ويحكم عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم » .

وفي الطبقات لابن سعد ٢ : ٢٤٤ : « فقالت زينب زوج النبي : ألا تسمعون النبي يعهد إليكم؟ » .

وفي مجمع الزوائد ٤ : ٣٩١ و ٨ : ٦٠٩ : « فقال النسوة من وراء الستر : ألا يسمعون ما يقول رسول

الله ؟ » .

يتلأبِقَ الناس إلى بيعة عليّ .

وشيّد بيعة أبي بكر ، وحمل الناس عليها بالقهوهْد دكلّ من تخلّف بالقتل^(١) ، كلّ ذلك في سبيل إبعاد عليّ عن الخلفيّة يرضى أن يقول قائلٌ " بأزّه سيّ بايع فلاناً لو قد مات عمر وخصوصاً بأنّ هذا القائل الذي بقى اسمه مجهولاً شكّ إزّه من عظماء الصحابة محتجّ بما فعله عمر نفسه في بيعته لأبي بكر إذ يقولوا لله " ما كانت بيعة أبي بكر إلاّ فلتةً فتمّت أيّ أنّها بالرغم من كونها وقعت على حين غفلة من المسلمين وبدون مشورة منهم فقد تمّت وأصبحت حقيقة ، ولذا جاز لعمر أن يفعلها مع أبي بكر ، فكيف لا يجوز له أن يفعلها هو بنفس الطريقة مع فلان؟!

ونلاحظ هنا أنّ ابن عباس ، وعبدالرحمن بن عوف وعمر بن الخطاب يتحاشون ذكر

اسم هذا القائل ، كما يتحاشون ذكر اسم الذي

ثم إن تعجب فعجب قول النووي في شرح صحيح مسلم عند شرحه لهذا الحديث : « فقد اتفق العلماء المتكلمون في شرح الحديث على أنّه من دلائل فقه عمر وفضله » ، فلا ندري أنصدّق قوله بفقه عمر ، أو نأخذ برأي ابن تيمية الدالّ على جهل عمر وشكّه؟ حتى إنّ ربّات الحجال فهمن مراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يفهمه عمر ، وكم له من نظير!! .

٤. صحيح البخاري ٨ : ٢٦ ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل أبي بكر .

١ . الإمامة والسياسة ١ : ٣٠ .

يريد بيعته ، ولمّا كان لهذين الشخصين أهمية كبيرة لدى المسلمين ، نرى أنّ عمر غضب لهذه المقالة وبادر في أوّل جمعة بأن خطب الناس ، وأثار موضوع الخلافة بعده ، وطلع عليهم برأيه الجديد فيهاحتّى يقطع الطريق على هذا الذي يريد إعادة الفلّة لأنّها ستكون لصالح خصمه .

على أنّنا فهمنا من خلال البحث بأنّ هذه المقالة ليست رأي فلان وحده ، وإنّما هي رأي كثير من الصحابة ، ولذلك يقول البخاري في غضب عمر ثمّ قال إنّني إنّ شاء الله لقائم العشية في الناس ، فمحدّر هؤلاء الذين يريدون أن يغضبوهم أمورهم ...^(١) .

فتغيير عمر لرأيه في البيعة كان معارضة هؤلاء الذين يريدون أن يغضبوا الناس أمورهم ويبيعوا عليّاً !! وهذا ما لا يرضاه عمر لأنّه يعتقد بأنّ الخلافة هي من أمور الناس وليست حقّاً لعليّ بن أبي طالب ، وإذا كان هذا الاعتقاد صحيحاً فلماذا أجاز هو لنفسه أن يغضب الناس أمورهم بعد موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويسارع لبيعة أبي بكر من غير مشورة المسلمين؟

وموقف أبي حفص من أبي الحسن معروف ومشهور ، وهو إبعاده

١- صحيح البخاري ٨ : ٢٦ ، كتاب المحاربين ، باب رجم الجبلى من الزنا .

عن الحكم ما استطاع لذلك سبيلاً .

وهذا الاستنتاج لم نستوحه من خطبته السابقة فحسب ، ولكن المتنبّح للتاريخ يعرف أنّ عمر بن الخطاب كان هو الحاكم الفعلي حتىّ في خلافة أبي بكر ، ولذلك نرى أبا بكر يستأذن من أسامة بن زيد أن يترك له عمر بن الخطاب ليستعين به على أمر الخلافة^(١) ، ومع ذلك نرى عليّ بن أبي طالب يبقّى بعيداً عن المسؤولية ، فلم يولّوه منصباً ولا ولاية ، ولا أمّ روه على جيش ، ولا ائتمنوه على خزينة ، وذلك طوال خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وكلّنا يعلم من هو عليّ بن أبي طالب !!

والأغرب من كلّ هذا أنّنا نقرأ في كتب التاريخ بأنّ عمر لما أدركته الوفاة نأسّف أن لا يكون أبو عبيدة بن الجراح أو سالم مولي أبي حذيفة من الأحياء حتىّ يولّيه من بعده ، ولكنّه ولا شكّ تذكّر بأنّه سبق أن غير رأيه في مثل هذه البيعة ، واعتبرها فلتة وغصباً لأُمور المسلمين بفلا بدّ له إذن أن يبتدع طريقة جديدة في البيعة

١ . في تاريخ الطبري ٣ : ٢٢٦ : « قال أبو بكر : إن رأيت أن تعينني بعمر فافعل » ، وفي الطبقات ٢ : ١٤٧ : « كَلَّمَ أبو بكر أسامة في عمر أن يأذن له في التخلّف ففعل » ، الكامل في التاريخ ٢ : ٣٣٥ ، تاريخ خليفة بن الحياط ٦٤ ، تاريخ ابن الوردي ١ : ١٣٤ ، البداية والنهاية ٦ : ٢١٨ .

لتكون حلاً وسطاً بينَ بينَ ، فلا يستبدُّ أحدٌ فيسبقُ بالبيعة لمن يراه صالحاً لها ، ويحمل الناسُ على متابعتها كما فعل هو مع أبي بكر ، وكما فعل أبو بكر معه هو ، أو كما يريد أن يفعل فلان الذي ينتظر موت عمر ليباع صاحبه ، فهذا غير ممكن بعد أن حكم عمر عليها بالفلتة والاعتصاب .

ولا يمكن له أيضاً أن يترك الأمر شورى بين المسلمين ، وقد حضر مؤتمر السقيفة عقب وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورأى بعينه ما وقع من الاختلاف الذي كادت تُزهقُ فيه الأرواح ، وتُهرق فيه الدماء .

واختراع أخيراً فكرة أصحاب الشورى أو الستة الذين لهم وحدهم حقُّ اختيار الخليفة ، وليس لأحد من المسلمين أن يشاركهم في ذلك ، وكان عمر يعلم أن الخلاف بين هؤلاء الستة لا مفرَّ منه ، ولذلك أوصى عند الاختلاف أن يكونوا مع الفريق الذي فيه عبدالرحمن بن عوف ، ولو أدّى الأمر إلى قتل الثلاثة الذين يخالفون عبدالرحمن .

هذا في حال انقسام الستة إلى قسمين وهو محالٌ لأنَّ عمر يعرف بأنَّ سعد بن أبي وقاص ابن عمِّ لعبدالرحمن وكلاهما من بني زهري يعلم أنَّ سعد لا يجبُ علياً وكان في نفسه شيء منه بلأنَّ علياً قتل أخواله من عبد شمس ، كما يعرف عمر أنَّ عبدالرحمن بن عوف

هو صهر عثمان؛ لأن زوجته أم كلثوم هي أخت عثمان يعلم أيضاً أن طلحة مية سال لعثمان لصلات بينهما على مذكره بعض رواة الأثر، وقد يكفي في ميله إلى عثمان انحرافه عن عليّ، لأذنه تيمي، وقد كان بين بني هاشم وبني تيم مواعد لمكان الخلافة لأبي بكر^(١). كان عمر يعلم كل ذلك، ومن أجل هذا كان اختياره لهؤلاء بالذات. اختار عمر هؤلاء الستة، وكلهم من قريش وكلهم من المهاجرين وليس فيهم واحد من الأنصار وكلهم يمثل ويتزعم قبيلة لها أهميتها وتأثيرها:

١. علي بن أبي طالب زعيم بني هاشم.
٢. عثمان بن عفان زعيم بني أمية.
٣. عبدالرحمن بن عوف زعيم بني زهرة.
٤. سعد بن أبي وقاص هو من بني زهرة وأخواله بني أمية.
- . هلال بن عبيد الله هو سيد بني تيم.
- . الزبير بن العوّام هو ابن صفيّة عمّة الرسول، وهو زوج أسماء بنت أبي بكر.

١. شرح نهج البلاغة لمحمد عبده ١ : ٣٤.

فهؤلاء هم أهل الحل والعقد ، وكلامهم نافذٌ على كلِّ المسلمين ، سواء منهم سكان المدينة (عاصمة الخلافة أو) غيرهم في كلِّ العالم الإسلامي وما على المسلمين إلاّ السمع والطاعة بدون نقاش ، ومن يخرج منهم على ذلك فهو مهدور الدم . وهذا بالذات الذي أردنا تقريبه من ذهن القارئ بخصوص السكوت عن نصِّ الغدير فيما تقدّم .

وإذا كان عمر يعلم نفسيات هؤلاء الستّة وعواطفهم وطموحاتهم ، فإنّه بلاشكّ قد رشّح عثمان بن عفّان للخلافة ، أذنه كان يعلم أنّ الأكثرية من هؤلاء الستّة لا يرضون بعليّ لماذا ، وويؤيِّ حقّ يرجّح كفّة عبد الرحمن بن عوف على عليّ بن أبي طالب ، أفاللمسلمين منذ وجدوا وحتى اليوم إنّما يتنازعون في أفضلية عليّ وأبي بكر ، ولم نسمع أحداً يقارن عليّاً بعبد الرحمن بن عوف؟

وهنا أقفُ وقفةً لا بدّ منها لأسأل أهل السنّة والجماعة القائلين بمبدأ الشورى وأهل الفكر الحرّ كالمسأل كلِّ هؤلاء؟ كيف توفّقون بين الشورى بمعناها الإسلامي ، وبين هذه الفكرة التي إن دلّت على شيء فإنّما تدلّ على الاستبداد بالرأي؛ لأنّه هو الذي اختار هؤلاء نفر وليس المسلمون وإذا كان وصوله للخلافة فلتةً فبئس حقّ يفرض على المسلمين أحد هؤلاء الستّة؟!!

والذي يبدو لنا أن عمر يرى الخلافة حقاً من حقوق المهاجرين وحدهم ، وليس من حق أحد أن ينازعهم هذا الأمر ، بل أكثر من هذا يعتقد عمر كما يعتقد أبو بكر بأن الخلافة ملك لقريش وحدها ، إذ في المهاجرين من ليسوا من قريش ، بل فيهم من ليسوا من العرب فلا يحق لسلمان الفارسي ولا لعمارة بن ياسر ، ولا لبلال الحبشي ، ولا لصهيب الرومي ، ولا لأبي ذر الغفاري ، ولا لأهل الصحابة الذين ليسوا من قريش أن يتصدوا للخلافة.

وليس هذا مجرد إهداء! حاشا وكلاً بل هي عقيدتهم التي سجد لها التاريخ والمحدثون من أفواههم فلنعد إلى نفس الخطبة التي أخرجها البخاري ومسلم في صحيحيهما :
يقول عمر بن الخطاب أن أتكلم وكنت زورتُ مقالة أعجبتني ، أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر كنت أداري منه بعض الحد فلما أردت أن أتكلم قال أبو بكر على رسد لمؤكروهم أن أغضبه ، فتكلم أبو بكر فكان هو أحلم مني وأقر والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلا قال في بديهة لها أو أفضل حتى سكت فقال : ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل (مخاطباً الأنظاري) يعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش^(١).

١. صحيح البخاري ٨ : ٢٦ ، كتاب المحاربين ، باب رجم الحبلى من الزنا.

إذن ، يتبين لنا بوضوح بأنّ أبا بكر وعمر لا يؤمنان بمبدأ الشورى والاختيار ، ويقول بعض المؤرّخين بأنّ أبا بكر احتجّ على الأنصار بحديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : « الخلافة في قريش » وهو حديث صحيح لا شكّ فيه ، وحقيقته (كما نصّ على ذلك البخاري ومسلم وكلّ الصحاح عند السنّة وعند الشيعة) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « الخلفاء من بعدي اثنا عشر كلّهم من قريش » .

وأصرح من هذا الحديث قوله صلى الله عليه وآله وسلم :

لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان «^(١) .

وقوله التلّاس تبع لقريش في الخير والشرّ «^(٢) .

فإذا كان المسلمون قاطبة يؤمنون بهذه الأحاديث ، فكيف يقول قائل بأنّه ترك الأمر

شورى بين المسلمين ليختاروا من يشاؤون؟

ولا يمكن لنا أن نتخلّص من هذا التناقض إلاّ إذا أخذنا بأقوال أئمة أهل البيت

عليهم السلام وشيعتهم بعض علماء السنّة الذين يؤكّدون بأنّ رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم قد نصّ على الخلفاء وعيّنهم بعددهم وأسمائهم ، وبذلك يمكن

لنا أيضاً أن نفهم موقف عمر وحصره

١ . صحيح مسلم ٦ : ٣ ، كتاب الامارة ، باب الناس تبع لقريش ، صحيح البخاري ٤ : ١٥٥ ، كتاب

الأحكام ، باب الأمراء من قريش .

٢ . صحيح مسلم ٦ : ٢ ، كتاب الإمارة ، باب الناس تبع لقريش .

الخلافة في قريش.

وعُمر مَن عُرِفَ باجتهاده مقابل النصوص حتى في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فصلح الحديبية^(١)، والصلاة على المنافقين^(٢)، ورزية يوم الخميس^(٣)، ومنعه التبشير بالجنة^(٤) أكبر شاهد على ما نقول. يُستغربُ منه أن يجتهد بعد موت النبي في نصِّ حديث الخلفاء يري وجوباً بقبول النصِّ على عليِّ بن أبي طالب الذي هو أصغر قريش وحصر حقِّ الاستخلاف بقريش وحدها، وهو الذي حدا بعمر أن يختار قبل موته ستة من عظماء قريش ليوفِّق بين أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما يرتأيه هو من حقِّ قريش وحدها في الخلافة.

ولعلَّ إقحام عليِّ في الجماعة مع العلم المسبق بأنهم لا يختارونه، هو تدبير من عمر ليُجبر عليّاً على الدخول معهم في اللُعبة السياسية كما يسمُّونها اليوم وحتى لا تبقى له حجَّة عشيقته ومحبِّيه الذين يقولون بأولويوتكهن الإمام عليّاً تحدّث عن كلِّ ذلك في خطبة

١. صحيح مسلم ٥ : ١٧٥ ، كتاب الجهاد ، باب صلح الحديبية.

٢. صحيح البخاري ٢ : ٢٦ ، كتاب الجنائز ، باب ٢٢ الكفن في القميص.

٣. صحيح البخاري ١ : ٣٧ ، كتاب العلم ، باب ٤٠ في كتابة العلم.

٤. صحيح مسلم ١ : ٦٥ ، كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة.

أمام عامّة الناس ، فقال في ذلك :

فصبريُّ على طول المدّة وشدّة المحنة ، حتىّ إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم أننيّ أحدهم ، فياللهّ ورؤيتي متى اعترض الربُّ فيّ مع الأوّل منهم حتىّ صرت أقرن إلى هذه النظائر ، لكننيّ أسففت إذ أسفّوا وطرت إذ طاروا ، فصغى رجل منهم لضغنه ، ومال الآخر لصهره مع هن وهن ... » الخطبة^(١).

إنّ الإمام عليّ سلام الله عليه احتجّ عليهم بكلّ شيء ، ولكن بدون جدوى وهل يستجدي الإمام عليّ بيعة الناس الذي صرفوا وجوههم عنه ، ومالت قلوبهم لغيره ، إمّا حسداً له على ما أتاه الله من فضله ، إمّا حقداً عليه لأنّه قتل صناديدهم وهشم أبطالهم ، وأرغم أنوفهم وأخضعهم وحطّم كبرياءهم بسيفه وشجاعته حتىّ أسلموا واستسلموا وهو مع ذلك شامخٌ يزود عن ابن عمّه لا تأخذه في الله لومة لائم ، ولا يثني عزمه من حطام الدنيا شيء.

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعلم اليقين وكان في كلّ مناسبة يُشيد بفضائل أخيه وابن عمّه لكيّ يحبّ به إليهم ، فيقول حبيب عليّ

١. نهج البلاغة ١ : ٣٥ ، الخطبة ٣ ، المعروفة بالشقشقية.

إيمان وبغضه نفاق»^(٢). ويقول عليّ «منيّ وأنا من عليّ»^(٣)، ويقول عليّ «وليّ كلّ مؤمن بعدي»^(١)، ويقول: عليّ باب مدينة

١. صحيح مسلم، كتاب الإيمان لئذ يجب الأنصار وعليّ من الإيمان، عن عليّ عليه السلام قال: «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إنّه لعهد النبي الأميّ إليّ: أن لا يجيني إلاّ مؤمن ولا يبغضني إلاّ منافق». وقال الشيخ الألباني في صحيحته ١: ٢٩٨: «من فضائل عليّ ٧٢٠ إنّه لا يجرك إلاّ مؤمن ولا يبغضك إلاّ منافق، أخرجه مسلم ١: ٦١، والنسائي ٢: ٢٧١، والترمذي ٢: ٣٠١، وابن ماجه: ١١٤، وأحمد ١: ٨٤ و ٩٥ و ١٢٨، والخطيب في التاريخ ١٤: ٤٢٦ من طرق عن الأعمش عن عدي بن ثابت عن زر بن حبيش عن علي رضي الله عنه مرفوعاً. قلت: وله شاهد من حديث أم سلمة، أخرجه الترمذي ٢: ٢٩٩، وأحمد ٦: ٢٩٣ وقال الترمذي: حديث حسن غريب». ٢ ذكره الألباني في صحيحته تحت رقم ١٩٨٠، وفي صحيح سنن ابن ماجه للألباني رقم ١١٨، وفي صحيح سنن الترمذي للألباني تحت رقم ٣٧١٩ في مشكاة المصابيح وصرّح بأنّه حسن رقم ٦٠٨٣، وفي خصائص النسائي رقم ٦٥ وصرّح الحويني الأثري بصحته، وفي مسند أحمد برقم ١٧٤٣٥ و ١٧٤٤٠ و ١٧٤٤١، وصرّح محقّق الكتاب بصحته، وفي صحيح الجامع الصغير للألباني برقم ١٢٣٩. ٣. المصنّف لابن أبي شيبة ٧: ٥٠٤ ح ٥٨، كتاب السنّة لابن أبي عاصم: ٥٥٩ ح ١١٨٧ بلفظ: «وهو وليّ كلّ مؤمن بعدي»، وقال محقّق الكتاب الشيخ الألباني: «إسناده صحيح، ورجاله ثقات على شرط مسلم»، وأخرجه الشيخ

علمي «^(١) و « أبو ولدي »^(٢) ويقول عليّ سيّد المسلمين ، وإمام المتقين ، وقائد الغر
المجاهدين «^(٣).

ولكن مع الأسف ما زادهم ذلك إلاّ حياءً وحقدًا وبذلك استدعاه رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم قبل موته فعانقه وبكى وقال ليعالنيّ إنيّ أعلم أنّ

الألباني في صحيحته تحت رقم ٢٢٢٣ بلفظ : «هو ولي كلّ مؤمن بعدي» وقال : « أخرجه الترمذي ٣٧١٣ ،
والنسائي في الخصائص ص ١٣ . ١٦ . ١٧ ، وابن حبان ٢٢٠٣ ، والحاكم ٣ : ١١٠ ، والطالسي في مسنده
٨٢٩ ، وأحمد ٤ : ٤٣٧ ، وابن عدي في الكمال ٢ : ٥٦٨ . ٥٦٩ » الصحيحة ٥ : ٢٦١ .

وقال الحاكم في المستدرک : « صحيح على شرط مسلم » وأقرّه الذهبي .

وقد ردّ الشيخ الألباني على ابن تيمية ومن لفّ لفّه في تضعيفهم لهذا الحديث ، فقال في الموضوع المذكور
من الصحيحة : « فللعجب حقاً أن يتجرّأ شيخ الإسلام ابن تيمية على إنكار هذا الحديث وتكذيبه في
منهاج السنة ٤ : ١٠٤ .. فلا أدري بعد ذلك وجه تكذيبه للحديث إلاّ التسرع والمبالغة في الردّ على الشيعة
!!»

فانظر ولعجب هؤلاء القوم الذين حدا بهم التعصّب المقيت والبغض للتشيع أن يطعنوا في الأحاديث

الصحيحة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم!!!

١ . في العمدة لابن البطريق : ٢٨١ عن ابن المغازلي في المناقب : ٥٠ : « فهو باب مدينة علمي » .

٢ . في ينابيع المودة ٢ : ٣٤٤ عن جواهر العقدين ٢ : ٢٠٦ وابن المغازلي ١٣ : « قال علي عليه السلام :

فانشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله : أنت أبو ولدي غيري؟ » ، وفي الرياض النضرة ٤ : ١٠٧ ح

١٣٢٨ : « أنت أخي وأبو ولدي » ، قال : « أخرجه أحمد في المناقب » .

٣ . مستدرک الحاكم ٣ : ١٣٨ ، وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم

لك ضغائن في صدور قوم سوف يظهرونها لك بعدي ، فإن بايعوك فاقبل ، وإلا فاصبر حتى
تلقاني مظلوماً»^(١).

فإذا كان أبو الحسن سلام الله عليه لزم الصبر بعد بيعة أبي بكر ، فذلك بوصية
الرسول له ، وفي ذلك من الحكمة ما لا يخفى .
خامساً : إلى كل ما سبق أن المسلم إذا ما قرأ القرآن الكريم وتدبر آياته ، يعرف
من خلال قصصه التي تناولت الأمم والشعوب

يخرّجاه ، حلية الأولياء ١ : ٦٣ ، المعجم الصغير ٢ : ٨٩ ، نظم درر السمطين : ١١٤ ، شرح نهج البلاغة ٩
: ١٧٠ ، وفي الإصابة ٤ : ٥٠ بلفظ «إلى بي عليّ أئمة إمام المتقين» ، أخبار أصبهان ٢ : ٢٢٩ ،
المناقب للخوارزمي : ١١٣ و ٢٩٥ و ٣٢٣ و ٣٦٠ ، تاريخ دمشق ٤٢ : ٣٠٢ .
١ . نحوه تاريخ دمشق ٤٢ : ٣٢٤ ، المناقب للخوارزمي : ٦٥ ح ٣٥ ، الرياض النضرة ٤ : ١٥٨ ح ١٥١٨ ،
مسند أبي يعلى ١ : ٤٢٦ ح ٥٦٥ ، مجمع الزوائد ٩ : ١١٨ وقال : « رواه أبو يعلى والبيزار ، وفيه الفضل بن
عميرة وثقه ابن حبان وضعفه غيره ، وبقية رجاله ثقات » .
وللشيء هذا الكلام ، وأن الأمة ستقلب على عليّ بن أبي طالب عليه السلام بعد وفاة النبي
صلى الله عليه وآله وسلم ما أخرجه الحاكم في المستدرک ٣ : ١٤٠٦ ح ٧٣٤ وأقرّ الذهبي بصحته قول علي
عليه السلام : « ما عهد إليّ النبي أن الأمة ستغدر بي بعده » .

السابقة أنه وقع فيهم أكثر مما وقع فينا ، فها هو قاييل يقتل أخاه هايبيل ظلماً وعدواناً ، وها هو نوح جدّ الأنبياء بعد ألف سنة من الجهاد لم يتبعه من قومه إلاّ القليل وكانت امرأته وابنه من الكافرين ، وها هو لوط لم يوجد في قريته غير بيت من المؤمنين ، وها هم الفراعنة الذين استكبروا في الأرض واستعبدوا الناس لم يكن فيهم غير مؤمن يكتم إيمانه .

وهاهم إخوة يوسف أبناء يعقوب ، وهم عصابة يتآمرون على قتل أخيهم الصغير بغير ذنب اقترفوه لكن حسداً له لأنّه أحبّ إلى أبيهم وها هم بنو إسرائيل الذين أنقذهم الله بموسى ، وفلق لهم البحر وأغرق أعداءهم فرعون وجنوده بدون أن يكلفهم عناء الحرب ، ما إن خرجوا من البحر ولم تحفّ أقدامهم ، فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا : ياموسى ، اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ! قال : إنكم قوم تجهلون .

ولمّا ذهب إلى ميقات ربّه ، واستخلف عليهم أخاه هارون تأمروا عليه وكادوا يقتلونه ،

وكفروا بالله ، وعبدوا العجلثم ، قتلوا أنبياء الله ، كَهَلَّمَ تَعَالَى : (وَأَفْكَمُ رَسُولٌ بِمِثْلِ مَا لَا

تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ ۚ اسْتَكْبَرُوا كَذَّبْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ ۖ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ) (١) .

وها هو سيدنا يحيى بن زكريا ، وهو نبي وحضور ومن الصالحين ، يقتل ويهدى رأسه إلى بغي من بغايا بني إسرائيل.

وها هم اليهود والنصارى يتآمرون على قتل وصلب سيدنا عيسى .
وها هي أمّة محمد تعد جيشاً قوامه ثلاثين ألفاً لقتل الحسين بن علي رسول الله وسيد شباب أهل الجنة ، ولم يكن معه غير سبعين من أصحابه ، فقتلوهم جميعاً بما في ذلك أطفاله الرضّع.

فأيّ غرابة بعد هذا؟!!

أيّ غرابة بعد قول الرسول لأصحابه : «تتبعون سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه» ، قالوا : أتراهم اليهود والنصارى؟ قال : « فمن؟ »^(١).

أيّ غرابة ونحن نقرأ في البخاري ومسلم قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « يؤتى بأصحابي يوم القيامة إلى ذات الشمال ، فأقول : إلى أين؟ فيقال إلى النار والله » ، فأقول : « يارب هؤلاء أصحابي » ، فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول : « حقا لمن بدّل بعدي ، ولا آراه يخلص منهم

١. صحيح البخاري ٨ : ١٥١ ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « لتتبعن سنن ... ».

إلا مثل همل النعم»^(١).

أيّ غرابه بعد قوله صلى الله عليه وآله وسلم : «تفترق أمّتي إلى ثلاث وسبعين فرقة كلّها في النار إلا فرقة واحدة»^(٢).

وصدق العليّ العظيم ربّ العزّة والجلالة العليم بذات الصدور إذ يقول :

وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (٣).

بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ (أَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ) (٤).

لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ (وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ) (٥).

أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ (وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) (٦).

يُرْضَوْنَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ (وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ) (٧).

١ . راجع حديث الحوض بألفاظه المختلفة : صحيح البخاري ٧ : ٢٠٩ ، كتاب الرقاق ، باب في الحوض ،

صحيح مسلم ٧ : ٦٥ ، كتاب الفضائل ، باب إثبات حوض نبينا .

٢ . المصنّف لعبد الرزاق ١٠ : ١٥٦ ح ١٨٦٧٥ ، وقد تقدّم تخريجه فيما مضى ، فراجع .

٣ . يوسف : ١٠٣ .

٤ . المؤمنون : ٧٠ .

٥ . الزخرف : ٧٨ .

٦ . يونس : ٥٥ .

٧ . التوبة : ٨ .

لَدُو فَضْلِ اللَّهِ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ^(١).
يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ^(٢).
وَلَقَدْ صَرَّفْنَا هُؤُلَاءِ بِآيَاتِنَا لَهُمْ لِيَدَكَّرُوا وَفِي آيَاتِنَا أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا^(٣).
مَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ^(٤).
بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فِيهِمْ مُعْرِضُونَ^(٥).
أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ^{*} وَتَحْسَبُونَ^{*} سَامِدُونَ^(٦).

١- يونس : ٦٠.

٢- النحل : ٨٣.

٣- الفرقان : ٥٠.

٤- يوسف : ١٠٦.

٥- الأنبياء : ٢٤.

٦- النجم : ٥٩ - ٦١.

حسرة وأسى

كيف لا أتأسّر؟ بل كيف لا يتحسّر كلّ مسلم عند قراءة مثل هذه الحقائق ، على ماخسره المسلمون بإقصاء الإمامّ علّ عن الخلافة التي نصّب به رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم فيها وحرمان الأمّة من قيادته الحكيمة ، وعلومه الكثيرة؟! وإذا ما نظر المسلم بغير تعصّب ولا عاطفة لوجده أعلم الناس بعد الرسول ، فالتاريخ يشهد أنّ علماء الصحابة استفتوه في كلّ ما أشكل عليهم ، وقول عمر بن الخطاب أكثر من سبعين مرّة « لولايي هلك عمر »^(١) ، في حين إنّه عليه السلام لم يسأل أحداً منهم أبداً .

كما أنّ التاريخ يعترف بأنّ عليّ بن أبي طالب أشجع الصحابة وأقواهم وقد فرّ الشجعان من الصحابة في مواقف عديدة من الزحف في حين ثبت هو عليه السلام في المواقف كلّها ، ويكفيه دليلاً للملذّي وسمّه به رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم عندما قال :

١ . المناقب للخوارزمي ٨١ ح ٦٥ ، نظم درر السمطين : ١٣٢ ، فيض القدير للمناوي ٤ : ٤٧٠ ، ذخائر العقبي : ٨٢ ، تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة : ١٥٢ .

«لأعطين غداً بيّاتي إليك رجلاً سوطه ويحبّه الله» ورسوله كرّاراً ليس فرّاراً امتحن الله قلبه للإيمان»^(١).

فتناول إليها الصحابة فدفعها إلى عليّ بن أبي طالب. وباختصار فإنّ موضوع العلم والقوّة والشجاعة التي يَخْتَصُّ بها الإمام عليّ موضوع معروف لدى الخاصّ والعامّ ولا يختلف فيه اثنان، وبقطع النظر عن النصوص الدالّة على إمامته بالتصريح والتلميح فإنّ القرآن الكريم لا يعترف بالقيادة والإمامة إلاّ للعالم الشجاع القوي قال الله سبحانه وتعالى في وجوب اتّباع العلماء:

أَفَمَنْ نُرِيهِ مَدْيَ إِلَى الْحَرِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ يَدِي فِيهِ فَهَذَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ^(٢).

وقال تعالى في وجوب قيادة العالم الشجاع قَلْبُورِيَانِي (يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْهِ مَا

نُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةَ مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّهُ لِلَّهِ مِصْرٌ حَفِيظٌ وَهُوَ بِسَطَةٌ فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي

١ - حديث الراية ورد بالفاظ وأسانيد مختلفة ، راجع :صحيح البخاري ٥ : ٧٦ ، كتاب فضائل الصحابة ، باب

مناقب علي بن أبي طالب وكتاب المغازي ، باب غزوة خيبر ، صحيح مسلم ٥ : ١٩٥ ، كتاب فضائل

الصحابة ، باب فضائل عليّ بن أبي طالب ، تاريخ دمشق ٤١ : ٢١٩ ، وغيرها من المصادر المعتمدة.

٢ - يونس : ٣٥ .

مُؤَلِّكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ» (١).

ولقد زاد الله سبحانه الإمام عليّ بالنسبة إلى كل الصحابة زاده بسطة في العلم ،
كفان بحقّ « باب مدينة العلم » وكان هو المرجع الوحيد للصحابة بعد وفاة رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم وكان الصحابة كلّما عجزوا عن حلّ يقولون : « معضلة وليس
لها إلاّ أبو الحسن » (٢).

وزاده بسطة في الجسّف فكان بحقّ أسد الله الغالب وأصبحت قوّته وشجاعته
مضرب الأمثال عبر الأجيال حقّ روى المؤرّخون فيها قصصاً تقارب المعجزات ، كإقتلاع
باب خيبر وقد عجز عن تحريكه فيما بعد عشرون صحابياً (٣) ، وإقتلاع الصنم الأكبر هبل
(٤) من فوق سطح الكعبة ، وتحويل الصخرة العظيمة التي عجز الجيش كلّها عن تحريكها (٥)
وغير ذلك من الروايات المشهورة.

وقد أشاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بـ ابن عمّه عليّ ، وأبان فضله وفضائله في

كلّ

١ . البقرة : ٢٤٧ .

٢ . راجع قول عمر في ذلك : أسد الغابة ٤ : ٢٣ ، الإصابة ٤ : ٤٦٧ ، فتح الباري ١٣ : ٢٨٦ ، فيض
القدير ٤ : ٤٧٠ ، الطبقات الكبرى ٢ : ٣٣٩ ، تاريخ دمشق ٤٢ : ٤٠٦ ، تحذیب الکمال للمزي ٢٠ :
٤٨٥ .

٣ . المناقب للخوارزمي ١٧٢ ح ٢٠٧ ، تاريخ بغداد ١١ : ٣٢٣ ح ٦١٤٢ ، كشف الخفاء للعجلوني ١ :
٢٣٢ ح ٧١٠ .

٤ . شرح النهج لابن أبي الحديد ١ : ١١١ المقدمة .

٥ . المصدر نفسه .

مناسبة وعرف بخصائصه ومزاياه :

فمرّة يقول : إنّ هذا أخي ووصيّي وخليفتي من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا»^(١).

ومرّة يقول لفت « مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبي بعدي »^(٢).

وأخرى يقول : « من أراد أن يحيا حياتي ، ويموت موتي ، ويسكن جنة الخلد التي وعدني ربي وولّيتعليّ بن أبي طالب ، فإنّه لن يخرجكم من هدى ، ولن يدخلكم في ضلالة »^(٣).

والأحاديث فيه فحسب بل إنّ أقواله تجسّدت في أعمالهلم يوم ر في حياته على عليّ أحداً من الصحابة بالرغم من تأميرهم على بعضهم البعض فقد أمرّ عليّ أبي بكر وعمر في غزوة ذات

١. تاريخ الطبري ٢ : ٦٣ ، تاريخ دمشق ٤٢ : ٤٩ ، الكامل لابن الأثير ٢ : ٦٣ .

٢. صحيح البخاري ٥ : ٥٧٦ كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب عليّ بن أبي طالب ، صحيح مسلم ٧ : ١٢٠ ، الموضوع نفسه .

٣ . نحوه في المعجم الكبير للطبراني ٥ : ١٩٤ ، المناقب للخوارزمي : ٧٥ ح ٥٥ ، حلية الأولياء ١ : ١٢٧ ، وأخرجه الطبري في الذيل المذيل . كما في منتخبه : ٨٣ . عن يحيى بن يعلى المحاربي من رجال الصحيحين ، وفي المستدرک للحاكم ٣ : ١٢٨ عن يحيى بن يعلى الأسلمي وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرّجاه » ، والأسلمي هذا أخرج له ابن حبان في صحيحه حديثاً في تزويج فاطمة عليها السلام .

السلاسل عمرو بن العاص^(١).
 كما أمر عليهم جميعاً شاباً صغيراً أسامة بن زيد ، وذلك في سرية أسامة قبل موته
 صلى الله عليه وآله وسلم.
 أمّ عليّ بن أبي طالب فلم يكن في بعث إلا وهو الأميحى إذنه
 صلى الله عليه وآله وسلم في مرّة بعثين ولهم عليّ بن زيد وخالد بن الوليد علي
 بعث وقالوا لطفرتهم فكل واحد على جيشه وإذا التقيتم فعلى على الجيش كله^(٢).
 تنتج من كل ما تقدم بأن عليّاً هو ولي المؤمنين بعد النبي
 صلى الله عليه وآله وسلم ولا ينبغي لأحد أن يتقدم عليه.
 ولكن مع الأسف الشديد فقد خسر المسلمون خسارة فادحة وهم يعانون حتى
 اليوم ويجنون ثمار ما غرسوا وقد عرف التالون غبّ ما أسسه الأولون.
 وهل يمكن لأحد أن يتصور خلافة راشدة كخلافة عليّ بن أبي طالب لو اتبعت
 هذه الأمة ما أخفا الله ورسوله؟ فعلى كان

١ . تاريخ الطبري : حوادث السنة الثامنة ، السيرة الحلبية ٣ : ٢٦٨ ، الطبقات الكبرى نمرية عمرو بن العاص
 إلى ذات السلاسل ، سير أعلام النبلاء للذهبي ٣ : ٥٩ ترجمة عمرو بن العاص .
 ٢ . السنن الكبرى للنسائي ٥ : ١٣٣ ح ٨٤٧٥ ، المعجم الأوسط للطبراني ٦ : ١٦٢ ، البداية والنهاية ٧ :
 ٣٨٠ .

يلفك أن يقود الأمة طول ثلاثين عاماً على نسق واحد، كما قادها رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلّم بدون أيّ تغيير، لأنّ أبا بكر وعمرًا غيرًا واجتهدا بأدائهما مقابل النصوص وأصبح لهما سنة متبعة ولمّا جاء عثمان للخلافة غيرًا أكثر حتى قيل: إنه خالف كتاب الله ﷺ وسنة رسوله وسنة أبي بكر وعمر، وأنكر عليه الصحابة ذلك، وقامت عليه ثورة شعبية عارمة أودت بحوائمه، بتفتنة كبرى في الأمة لم يندمل جرحها حتى الآن.

أمّا عليّ بن أبي طالب كان يتقيّد بكتاب الله ﷺ وسنة رسوله، لا يجيد عنهما قيد أملة وأكبر شاهد على ذلك أنّه رفض الخلافة عندما اشترطوا عليه أن يحكم مع كتاب الله ﷺ وسنة رسوله سنة الخليفتين.

ولسائل أن يسأل: يتقيّد عليّ بكتاب الله ﷺ وسنة رسوله بينما اضطرّ أبو بكر وعمر وعثمان للاجتهاد والتغيير؟

والجواب هو: عليّ ما عنده من العلم ما ليس عندهم أنّ رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلّم به بألف باب من العلم يفتح لكلّ باب ألف باب^(١) وقال له:

أنت «يا عليّ تبينّ لأمتي ما اختلفوا فيه بعدي»^(٢).

١. نظم درر السمطين: ١١٣، كنز العمال ١٣: ١١٤ ح ٣٦٣٧٢.

٢. المستدرک للحاکم ٣: ١٣٢ وقال: «هذا حديث صحيح على شرط

أمّا الخلفاء فكانوا لا يعلمون كثيراً من أحكام القرآن الظاهرية فضلاً عن تأويله ، فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما في باب التيمّم بأن رجلاً سأل عمر بن الخطاب أيام خلافته فقالا لأمير المؤمنين إنيّ أجنبتُ ولم أجد الماء فماذا أصنع؟ قال له عمر لا: تُصلّ!!^(١)

وكذلك لم يعرف حكم الكلاله حتى مات ، وهو يقولتُ لو سألتُ رسول الله عن الكلاله^(٢) بينما حكمها مذکور في القرآن الكريم ، وهكذا كان عمر الذي يقول عنه أهل السنّة والجماعة بأذنه من الملهمين على هذا المستوى العلمي ، فلا تسأل عن الآخرين الذين أدخلوا الميع في دين الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير سوى اجتهادات شخصية.

ولفائل أن يقولوا: الأمر كذلك فلماذا لم يُبين الإمام عليّ

الشيخين ولم يخرّجاه « ، تاريخ دمشق ٤٢ : ٣٨٧ ، المناقب للخوارزمي : ٨٥ ح ٧٥ ، حلية الأولياء ١ : ١٠٣ ح ١٩٢ .

١ . صحيح مسلم ١ : ٩٣ كتاب الحيض ، باب التيمّم ، وصحيح البخاري ١ : ٨٧ كتاب التيمّم ، باب ٣٣٨ ، وحذف منه قوله : « لا تصل » مع إثبات مسلم لها .

٢ . المصنّف لعبد الرزاق ١٠ : ٣٠٢ ح ١٩١٨٥ ، وفيه : « لأن أكون سألت النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ثلاثة أحبّ إليّ من حمر النعم : عن الكلاله » .

للأمة ما اختلفوا فيه بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

والجواب هُلف: الإمام عليّ لم يألُ هُجداً في تبيين ما أشكل على الأمة ، وكان مرجع الصحابة في كلِّ ما أشكل عليهم فكان يأتي ويوضِّح وينصح ، فكانوا يأخذون منه ما يُعجبهم وما لا يتعارض مع سياستهم ، ويدعون ما سوى ذلك ، والتاريخ أكبر شاهد على ما نقول.

والحقيقة هي لولا عليّ بن أبي طالب والأئمة من ولده لما عرف الناس معالم دينهم ، ولكنَّ الناس . كما أعلمنا القرآن . لا يجبُّون الحقَّ فاتبعوا أهواءهم ، واخترعوا مذاهب في مقابل الأئمة من أهل البيت الذين كانت الحكومات تحسبُ عليهم أنفاسهم ، ولا تترك لهم حرية التحرك والاتصال المباشر.

فكان عليّ يصعد على المنبر ويقول للناس : « سلوني قبل أن تفقدوني »^(١) ويكفي عليّ أن ترك نصح البلاغة والأئمة من أهل البيت سلام الله عليهم تركوا من العلم ما ملأ الخافقين وشهد لهم بذلك أئمة المسلمين سنة وشيعة.

وأعود للموضوع فأقول على هذا الألباقيند ر لعلِّي أن يقود الأمة ثلاثين عاماً على سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الإسلام ، ولتغلغت

١ . نصح البلاغة : الخطبة ٢ : ١٣٠ ، ١٨٩ ، وانظر : كنز العمال ١٣ : ١٦٥ ح ٣٦٥٠٢ ، تاريخ دمشق

العقيدة في قلوب الناس أكثر وأعمق ، ولما كانت فتنة صغرى ، ولا فتنة كبرى ، ولا كربلاء ولا عاشوراء .

ولو تصوّرنا قيادة الأئمة الأحد عشر بعد عليّ والذي نصّ عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والذين امتدت حياتهم عبر ثلاثة قروننا، بمقري في الأرض ديار لغير المسلمين ، ولكانت الأرض اليوم على غير مانشاهده اليوم ، ولكانت حياتنا إنسانية بمعناها الحقيقي ولكن قال الله تعالى :

أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُؤْتِيَهُمُ الْإِلَهَ نِعْمَةً كَثُورًا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (١)

وقد فشلت الأمة الإسلامية في الامتحان كما فشلت الأمم السابقة، كما نصّ على ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (٢) في العديد من المناسبات ، وكما أكدّ عليه القرآن الكريم في العديد من الآيات (٣).

١ . العنكبوت : ١ - ٢ .

٢ . كحديث « اتعاسنة اليهود والنصارى شيراً بشير وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » أخرجه البخاري ومسلم وسبقت الإشارة إليه ، وكحديث الحوض الذي يقول فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم » (المؤلف) .

أَقِيلَانُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : فَبَلِّغْ أَوْ بَلِّغْ أَعْقَابِكُمْ (آل عمران : ١٤٤ ، وكقوله سبحانه وتعالى :) وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا (الفرقان : ٣٠) (المؤلف) .

شواهد أخرى على ولاية عليّ

وكأنّ الله سبحانه وتعالى أراد أن تكون ولاية عليّ هي الاختبار للمسلمين فكلّ اختلاف وقع فيسببها، ولأنّ بحملنه لطيفٌ بعباده فلا يؤاخذ التالين بما فعل الأوّلون، فجذّبت حكمته، وحفّت تلك الحادثة بأحداث أخرى جليّة تشبه المعجزات حتّى تكون حافزاً للأمة فينقلها الحاضرون ويعتبر بها اللّا حقون ممسى أن يهتدوا للحقّ من طريق البحث.

الشاهد الأول: يتعلّق بعقوبة مكذّب بولاية عليّ .

وذلك أنّه بعد شيوع خبر غدِير خم وتنصيب الإمام عليّ خليفة على المسلمين، وقول الرسول لهم: « فليبلّغ الشاهد الغائب »؛ وصل الخبر إلى الحارث بن النعمان الفهري ولم يُعجبه ذلك^(١)، فأقبل على

١. يدلّنا على أنّ هناك من المألّ الذين يسكنون خارج المدينة يبغضون عليّ بن أبي طالب ولا يحبّوه، كما أنّهم لا يحبّون محمّداً، ولذا ترى هذا الجلف يدخل على النبي فلا يسلم ويناديه يا محمّد بنو اصدق الله أن يقول: (الأعراب أشدّ كُفراً و نفاقاً و أجدرُ ألا يعلموا حانئ ليلّة الله أعلّى رسه و ليه) (المؤلّف).

رسول الله ﷺ ، وأناخ راحلته أمام باب المسجد ، ودخل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا محمد! أمرتنا أن نشهد أن لا إله إلا الله ﷻ وأنك رسول الله ﷻ ، فقبلنا منك ذلك ، وأمرتنا أن نصلّي خمس صلوات في اليوم والليلة ، ونصوم رمضان ونحج البيت ، ونزكّي أموالنا ، فقبلنا مثمك لم ذلّض ، بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمك وفضّلته على الناس وقُلت : «ن كنتُ مولاة فعلي مولاة بهذا شيء منك أو من الله ﷻ ؟» فقال رسول الله ﷻ صلى الله عليه وآله وسلم احمرّت عيناه : والله الذي لا إله إلا هو إنّه من الله ﷻ وليس مني «قالها ثلاثاً .

فقام الحارث وهو يقول اللهم إن كان ما يقول محمد ﷺ حقاً ، فأرسل علينا حجارة من السماء ، أو ائتنا بعذاب أليم .
فقال الله ﷻ : ما بلغ ناقته حتى رماه الله ﷻ من السماء بحجر ، فوقع على هامته فخرج من دبره ومات وأنزل الله ﷻ تعالى : **(البل) بعذ البلكوا فاقربيع كئيس له دافع** ^(١) .
وهذه الحادثة نقلها جمع غفير من علماء أهل السنة غير الذين ذكرناهم ^(٢) ، فمن أراد مزيداً من المصادر فعليه بكتاب الغدير

١ . المعارج : ٢٠١ .

٢ . راجع بألفاظه المختلفة : شواهد التنزيل للحسكاني ٢ : ٣٨١ ، تفسير الثعلبي : سورة سأل سائل بعذاب واقع ، تفسير القرطبي ١٨ : ٢٧٨ أورده

للعلاّمة الأُميني^(١).

الشاهد الثاني يتعلّق بعقوبة من كَتَمَ الشهادة بحادثة الغدير ، وأصابته دعوة الإمام علي.

لوث عندما قام الإمام عليّ أيام خلافته في يوم مشهود إذ جمع الناس في الرحبة ونادى من فوق المنبر قائلاً :

أُنشد«الله كلّ إمري مسلم سمع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم يقول يوم غدير خم من كنتُ مولاه فعليّ مولاه» (إلاّ قام فشهد بما سمع ، ولا يقيم إلاّ من رآه بعينه وسمعه بأذنيه) .

فقام ثلاثون صحابياً منهم ستّة عشر بدراً ، فشهدوا إزّه صلّى الله عليه وآله وسلم أخذ بيده ، فقال للناس :

«تعلّمون أنيّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم»؟ قالوا : نعم ، فقال صلّى الله عليه وآله وسلم : «من كنتُ مولاه فهذا مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ...» الحديث.

ولكنّ بعض الصحابة ممّن حضروا واقعة الغدير أقعدهم الحسدُ أو

ضمن الأقوال في شأن نزولها ، وكذلك في السيرة الحلبية ٣ : ٣٨٥ ، ينابيع المودّة للقندوزي الحنفي ٢ : ٣٦٩ ح ٥٥ عن الثعلبي ، تذكرة الخواص لابن الجوزي : ٣٧ ، نظم درر السمطين : ٩٣ ، الفصول المهمة لابن الصباغ : ٤٢ ، نور الأبصار للشبلنجي : ١١٩ عن تفسير الثعلبي.

١ . الغدير ١ : ٤٦٠ .

البُغضُ للإمام ، فلم يقوموا للشهادة ومن هؤلاء : أنس بن مالك ، حيث نزل إليه الإمام علي من المنبر وقال لهالك «يا أنس لا تقوم مع أصحاب رسول الله ، فتشهد بما سمعتهُ منه يومئذ كما شهدوا»؟

فقال : يا أمير كلُّمُنيتُ سنيّ ونسيتُ .

فقال الإمام علي إن كنهَ كاذباً فضربك الله بيضاء لا توأربها العمامة ، فما قام حتى أبيضَ وجهه برصاً ، فكان بعد ذلك يبكي ويقول : أصابني دعوة العبد الصالح لأني كنتُ شهادته^(١) .

وهذه القصّة مشهورة ذكرها ابن قتيبة في كتاب المعارف^(٢) حيث عدّ أنساً من أصحاب العاهات في باب البرص ، وكذلك الإمام أحمد بن حنبل في مسنده^(٣) حيث قال : «فقاموا إلّا ثلاثة لم يقوموا فأصابتهم دعوته» .

وتجدر الإشارة هنا بأن نذكر هؤلاء الثلاثة الذين ذكرهم الإمام

١ . نحوه باختلاف شرح الأخبار للقاضي النعمان ١ : ٢٣٢ ، الارشاد للمفيد ١ : ٣٥١ ، شرح نوح البلاغة لابن أبي الحديد ٤ : ٧٤ .

٢ . كتاب المعارف لابن قتيبة الدينوري : ٥٨٠ ، باب البرص ، الغدير للأميني ١ : ٣٨٨ ، ويذكر أن التعليق الوارد بعضاً بعدم قبول الحديث ليس من أصل الكتاب بل هو مضاف إليه ، بدليل أن من نقل النصّ عن المعارف لم يذكر هذه الزيادة ، ومضافاً إلى أن السياق يأبأها .

٣ . مسند الإمام أحمد بن حنبل ١ : ١١٩ ، والروايتن عبد الله بن أحمد .

أحمد برواية البلاذري قال بعدما أورد مناقشة الإمام عليّ للشهادة : « وكان تحت المنبر أنس بن مالك ، والبراء بن عازب ، وجريير بن عبدالله البجلي ، فأعادها فلم يجبه منهم أحد ، فقال : « اللهم من كتم هذه الشهادة وهو يعرفها فلا تخرجه من التلذ حتى تجعل به آية يُعرف بها ». فقولوا : أنس بن مالك ، وعاصم البراء بن عازب ، ورجع جريير أعرابياً بعد هجرته ، فأتى الشراة فمات في بيت أمّه » (١).

وهذه القصّة مشهورة تناقلها جمع كبير من المؤرخين (٢).

فَاعْتَبِرْ (يَا أُولِي الْأَبْصَارِ) [الحشر : ٢] .

والمتّبع يعرف من خلال هذه الحادثة التي أحيها الإمام عليّ بعد مرور ربع قرن على هجرته ما كادت تُنسى ، يعرف ماهي قيمة

١ . أنساب الأشراف للبلاذري : ١٥٧ ح ١٦٩ .

٢ . راجع بألفاظها المختلفة تاريخ ابن عساكر المسمّى بتاريخ دمشق ٤٢ : ٢٠٨ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد تحقيق مُجد أبو الفضل ١٩ : ٢١٧ ، المعجم الكبير للطبراني ٥ : ١٧٥ ، مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي الشافعي : ٢٣ ، السيرة الحلبية ٣ : ٣٨٥ .

وهو مناقشة الإمام عليّ يوم الرحبة الصحابة ليشهدوا بحديث الغدير ، وقد روى هذه الحادثة جمع غفير من المحدّثين والمؤرخين سبق الإشارة إليهم ، أمثال : أحمد بن حنبل ، وابن عساكر ، وابن أبي الحديد ، وغيرهم (المؤلّف) .

الإمام عليّ وعظمته ومدى علو همّته وصفاء نفسه وهو في حين أعطى للصّبر أكثر من حقّه ، ونصح لأبي بكر وعمر وعثمان معلّم أنّ في نصحهم مصلحة الإسلام والمسلمين ، كان مع ذلك يحمّل في جنباته حادثة الغدير بكلّ معانيها وهي حاضرة في ضميره في كلّ لحظات حياته فما أن وجد فرصة سانحة لبعثها وإحيائها من جديد حتى حمل غيره للشّهادة بما على مسمع ومرأى من الناس .

وانظر كيف كانت طريقة إحياء هذه الذكرى المباركة ، وما فيها من الحكمة البالغة لإقامة الحجّة على المسلمين من حصر منهم الواقعة ومن لم يحضر ، فلو قال الإمام أيّها الناس لقد أوصى بي رسول الله في غدير خم على الخلافة ، لما كان لذلك وقعاً في نفوس الحاضرين ، ولا حتجوا عليه عن سكوته طوال تلك المدّة .

ولكنّه لم يقل: الله كلّ إمريّ مسلم سمع رسول الله يقول ما قال يوم غدير خم إلاّ قام فشهد فكانت الحادثة منقولة بحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على لسان ثلاثين صحابياً منهم ستة عشر بدرياً ، وبذلك قطع الإمام الطريق على المكذّبين والمشكّكين وعلى المحتجّين عن سكوته طوال تلك المدّة ، لأنّ في سكوت هؤلاء الثلاثين معه وهم من عظماء الصحابة لدليل كبير على خطورة الموقف ، وعلى أنّ السكوت فيه مصلحة الإسلام كما لا يخفى .

تعليق على الشورى

رأينا في ما سبق بأن الخلافة على قول اليغة هي باختيار الله سبحانه ، وتعيين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد وحي يوحى به إليه .
وهذا القول يتماشى تماماً مع فلسفة الإسلام في كل أحكامه وتشريعاته إن الله **يَخْلُقُ مَبَاحِلِينَ شَمَلَاءَ النَّبِيِّ (تَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَ رَةً)** (١) .
وبما أن الله سبحانه أراد أن تكون أمّة محمد مد خير أمّة أُخرجت للنّاس بفلابد لها من قيادة حكيمة ، رشيدة ، عالمة قويّة ، شجاعة ، تقية ، زاهدة ، في أعلى درجات الإيمان ، وهذا لا يتأتى إلا لمن اصطفاه الله سبحانه وتكليفه بميزات خاصة تؤهله للقيادة **اللَّهُ يُطَرِّقُ عِطْفَةَ قِيَامِ اللَّهِ (رُسُلًا وَمِنْ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ)** (٢) .

وكما أن الأنبياء اصطفاهم الله سبحانه فكذلك الأوصياء ، وقد

١ . القصص : ٦٨ .

٢ . الحج : ٧٥ .

قال رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم «صلى الله عليه وآله وسلم نبي» وصي ﷺ ، وأنا وصي ﷺ علي بن أبي طالب» (١).

وفي حديث آخر قال صلى الله عليه وآله وسلم : «أخاتم الأنبياء وعلي ﷺ خاتم الأوصياء» (٢).

وعلى هذا الأساس فإن الشيعة سلّموا أمرهم لله ﷻ ورسوله ولم يبق منهم من يدع الخلافه لنفسه أو يطمع فيها لا بالنص ولا بالاختيار :
أولاً لأنّ النصّ ينفي الاختيار والشورى.

وثانياً لأنّ النصّ قد وقع من رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم على أشخاص معدودين ومعينين بأسمائهم (٣) ، فلا يتناول إليها منهم متناول وإن فعل فهو فاسق خارج عن الدين.

أمّا الخلافه عند أهل السنّة والجماعة فهي بالاختيار والشورى ،

١ . تاريخ ابن عساکر الشافعي ٤٢ : ٣٩٢ ، المناقب للخوارزمي : ٨٣ ح ٧٤ ، ينابيع الموده ٢ : ٧٩ ح ٩٦ عن الديلمي ، الرياض النضرة ٤ : ١١٩ ح ١٣٧٣ عن البغوي في معجمه .

٢ . ينابيع الموده ٢ : ٧٣ ح ٣٥ عن الديلمي .

٣ روى العدد البخاري ومسلم ومضى تخريجه ، وروى العدد والأسماء صاحب ينابيع الموده ٣ : ٢٨١ الباب ٧٦ في بيان الأئمة الاثني عشر بأسمائهم .

وبذلك فتحوا الباب الذي لا يمكن غلقه على أيّ واحد من الأممّ وأطعموا فيها كلّ قاصّ ودان ، وكلّ غثّ وسميخيّّ تحوّلت من قريش إلى الموالي والعبيد ، وإلى الفرس والمماليك ، وإلى الأتراك والمغول.

وتبخّرت تلك القيم والشروط التي اشترطوها في الخليفة؛ لأنّ غير المعصوم بشر مليء بالعاطفة والغرائز وبمجرّد وصوله إلى الحكم لا يؤمن أن ينقلب ويكون أسوأ ممّا كان ، والتاريخ الإسلامي خير شاهد على ما نقول.

وأخشى أن يتصوّر بعض القرّاء بأنّني أبالغ بما عليهم إلّا أن يتصفّحوا تاريخ العجميين وزواجرهم حتّى يعرفوا بأنّ من تسهّمت سيّ أمير المؤمنين كان يتجاهر بشرب الخمر ويلعب القرود ويلبسهم الذهب مؤنّ (أمير المؤمنين ليس جاريتة لباسه لتصلّي بالمسلمين مؤنّ) أمير المؤمنين جاريتة حبّابة فيسلب عقله ، وأنّ (أمير المؤمنين) يطرب لشاعر فيقبل ذكره .

ولماذا نستغرق في هؤلاء الذين حكموا المسلمين بأنهم لا يمثّلون إلّا الملك العضوض ولا يمثّلون الخلافة ، وذلك للحديث الذي يروونه ، وهو قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : « الخلافة من بعدي ثلاثون

عاماً ثمّ تكون ملكاً عضوضاً»^(١).

وليس هذا موضوع بحثنا ، فمن أراد الاطلاع على ذلك فعليه مراجعة تاريخ الطبري ، وتاريخ ابن الأثير ، وأبي الفداء ، وابن قتيبة وغيرهم. وإنما أردتُ بيان مساوئ الاختيار وعقم النظرية من أساسها؛ لأنّ من نختاره اليوم قد ننقم عليه غلوّيين لنا بأننا أخطأنا ولم نُحسّن الاختيار، كما وقع ذلك لعبدالرحمن بن عوف نفسه عندما اختار للخلافة عثمان بن عفّان وندم بعد ذلك ولمكن ندمه لم يُفد الأُمَّة شيئاً بعد توريطها.

وإذا كان صحابي جليل من الرعيّل الأوّل ، وهو عثمان ، لا يفى بالعهد الذي أعطاه لعبدالرحمن بن عوف وإذا كان صحابي جليل من الرعيّل الأوّل ، وهو عبدالرحمن بن عوف لا يُحسّن الاختيار فلا يمكنُ لعاقل بعد ذلك أن يرتاح لهذه النظرية العقيمة ، والتي ماتولّد عنها إلاّ الاضطراب وعدم الاستقرار وإراقة الدماء. فإذا كانت بيعة أبي بكر فلتةً ، كما وصفها عمر بن الخطاب وقد وقى اللهّ المسلمين شرّها ، وقد خالف وتخلّف عنها جمع غفير من

١ . صحيح ابن حبان ١٥ : ٣٩٢ ، فتح الباري ٨ : ٦١ ، سير أعلام النبلاء ٣ : ١٥٧ ، البداية والنهاية ٣ : ٢٦٦ .

الصحابة وإذا كانت بيعة عليّ بن أبي طالب بعد ذلك على رؤوس الملائك ولكن بعض الصحابة نكث البيعة وانجرّ عن ذلك حرب الجمل ، وحرب صفين ، وحرب النهروان ، وزهقت فيها أرواح بريئة فكيف يرتاح العُدُتُلاّك لهذه القاعدة التي جرّبت وفشلت فشلاً ذريعاً من بدايتها وكانت وبالاً على المسلمين ، وبالخصوص إذا عرفنا أنّ هؤلاء الذين يقولون بالشورى يختارون الخليفة ، ولا يقدرّون بعد ذلك على تبديله أو عزله ، وقد حاول المسلمون جهدهم عزل عثمان فأبى قائلاً أنزل قميصاً قمّ صنّيه الله^(١)!

ومّا يزيدنا نفوراً من هذه النظرية ما نراه اليوم في دول الغرب المتحضّرة ، والتي تزعم الديمقراطية في اختيار رئيس الدولة يوترى الأحزاب المتعدّدة تتصارع وتتساوم وتتسابق للوصول إلى منصّة الحكم بأيّ ثمن ، وتصرف من أجل ذلك البلايين من الأموال التي تخصّص للدّعاية بكلّ وسائلها ، وتهدر طاقات كبيرة على حساب المستضعفين من الشعب المسكين الذي قد يكون في أشدّ الحاجة إليها يوماً إن يصل أحدُهم إلى الرئاسة حتى تأخذه العاطفة فيؤيول أنصاره وأعضاء حزبه وأصدقاءه وأقاربه في مناصب الوزراء والمسؤوليات العظمى والمراكز المهمّة في الإدارة ، ويبقى الآخرون

١ . تاريخ الطبري ٣ : ٤٠٥ .

يعملون في المعارضة مدّة رئاسته المتفق عليها أيضاً ، فيخلقون له المشاكل والعراقيل ،
ويحاولون جهدهم فضحه والإطاحة به وفي كل ذلك خسارة فادحة للشعب المغلوب على
أمره.

فكم من قيم إنسانية سقطتكم من رذائل شيطانية رُفعت باسم الحرية والديمقراطية
وتحت شعارات برّاقة فأصبح اللواط قانوناً مشروطيناً، بدلاً من الزواج تقدماً ورُقياً ،
وحدث في ذلك ولا حرج.

فما أعظم عقيدة الشيعة في القول بأنّ الخلافة أصل من أصول الدين ، وما أعظم
قولهم بأنّ هذا المنصب هو باختيار الله سبحانه فهو قولٌ سديدٌ ورأيٌ رشيد يقبله العقل
ويرتاح إليه الضمير وتؤيدّه النصوص من القرآن والسنة ورغم أنوف الجبابرة والمتسلّطين ،
والملوك والسلاطين ، ويفيض على المجتمع السكينة والاستقرار.

الاختلاف في الثقلين

عرفنا فيما سبق ومن خلال الأبحاث المتقدّمة رأي الشيعة وأهل السنّة في الخلافة ،
وما فعله الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم تجاه الأمّة على قول الفريقين .
فهل ترك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم شيئاً تعتمد عليه وترجع إليه في
ما قد يقع فيه الخلاف الذي لا بدّ منه والذي سجّله كتاب الله بقوله تعالى :

طِبِعُوا بِاللَّهِ أَيُّهُمُ (أَطَاعُوا الرَّأْسَ سِوَى اللَّهِ) أَوْ أُولِي الْأُمُورِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي
شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يُوَفِّقُ لِلنَّاسِ حُكْمَهُمْ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (سورة النساء : ٥٩)
!

نعم ، لا بدّ للرسول صلى الله عليه وآله وسلّم من أن يترك للأمّة قاعدة ترتكز عليها ،
فهو إنّما بُعث رحمة للعالمين فهو حريصٌ على أن تكون أمّة ته خير الأمم ولا تختلف بعده ،
ولهذا روى عنه أصحابه والمحدثون بأنّه قال :

تَرَكَتُ فِيكُمْ الثَّقَلِينَ ، مَا إِنْ تَمَسَّكُمْ بِمَا لَنْ تَضَلُّوا بَعْدِي أَبَدًا كَتَابَ اللَّهِ وَعَتَرْتِي أَهْلَ بَيْتِي ، وَلَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ ، فَانظُرُوا كَيْفَ تَخْلَفُونِي فِيهِمَا .»
وهذا الحديث صحيح ثابت أرجه المحدثون من الفريقين السنة والشيعه ، ورووه في مسانيدهم وفي صحاحهم عن طريق مايزيد على ثلاثين صحابياً .
وبما أنني وكالعاده لا أحتج بكتب الشيعة ولا بأقوال علمائهم فكان لزاماً عليّ أن أذكر فقط علماء السنّة الذين أخرجوا حديث الثقلين معترفين بصحته حتى يكون البحث دائماً موضوعياً يتصف بالعدل والإنصاف (وإن كان العدل والإنصاف يقتضي ذكر قول الشيعة أيضاً) .

وهذه قائمة وجيزة عن رواة هذا الحديث من علماء السنّة :

- ١ . صحيح مسلم، كتاب فضائل علي بن أبي طالب ٧ : ١٢٢ .
- ٢ . صحيح الترمذي ٥ : ٣٢٨ .
- ٣ . الإمام النسائي في خصائصه : ٢١ .
- ٤ . الإمام أحمد بن حنبل ٣ : ١٧ .
- ٥ . مستدرک الحاكم ٣ : ١٠٩ .
- ٦ . كنز العمّال ١ : ١٥٤ .

٧. الطبقات الكبرى لابن سعد ٢ : ١٩٤ .
٨. جامع الأصول لابن الأثير ١ : ١٨٧ .
٩. الجامع الصغير للسيوطي ١ : ٣٥٣ .
١٠. مجمع الزوائد للهيتمي ٩ : ١٦٣ .
١١. الفتح الكبير للنبهاني ١ : ٤٥١ .
١٢. أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ٢ : ١٢ .
١٣. تاريخ ابن عساكر ٥ : ٤٣٦ .
١٤. تفسير ابن كثير ٤ : ١١٣ .
١٥. التاج الجامع للأصول ٣ : ٣٠٨ .

أضف إلى هؤلاء ابن حجر الذي ذكره في كتابه الصواعق المحرقة معترفاً بصحته^(١) ،
والذهبي في تلخيصه معترفاً بصحته على شرط الشيخين^(٢) ، والخوارزمي الحنفي^(٣) ، وابن
المغازلي الشافعي^(٤) ، والطبراني في معجمه^(٥) ، وكذلك صاحب السيرة النبوية في هامش

١. الصواعق المحرقة ٢ : ٤٣٧ (الآية الرابعة من الآيات الواردة في فضلهم) .

٢. راجع المستدرک للحاکم مع تلخیص الذهبي ٣ : ١٠٩ ، کتاب معرفة الصحابة ، باب مناقب أهل بيت رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم .

٣. المناقب للخوارزمي : ١٥٤ ح ١٨٢ .

٤. المناقب لابن المغازلي : ٢٣٤ .

٥. المعجم الكبير ٣ : ٦٥ ح ٢٦٧٨ .

السيرة الحلبية ، وصاحب ينابيع المودة^(١) وغيرهم ...
فهل يجوز بعد هذا أن يدعي أحد أن حديث الثقلين «كتاب الله» وعترتي « لا يعرفه
أهل السنة ، وإنما هو من موضوعات الشيعة؟!
قاتل الله التعصب والجمود الفكري والحمية الجاهلية.
إذن ، فحديث الثقلين الذي أوصى فيه صلى الله عليه وآله وسلم بك كتاب
الله وعترته الطاهرة هو حديث صحيح عند أهل السنة كما مرّ علينا ، وعند الشيعة هو
أكثر تواتراً وسنداً عن الأئمة الطاهرين.
فلماذا يشكك البعض في هذا الحديث؟ لونه جهدهم أن يبدلوه بـ «كتاب الله»
وسنتي؟! ورغم أن صاحب كتاب «فتح كنوز السنة» يخرج في صفحة ٤٧٨ بعنوان «
وصيته (ص) بكتاب الله» وسنة رسوله «نقلاً عن البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه ،
غير أنك إذا بحثت في هذه الكتب الأربعة المذكورة فسوف لن تجد إشارة من قريب أو من
بعيد إلى هذا الحديث ، نعم قد تجد في البخاري « كتاب الاعتصام في الكتاب والسنة »
ولكنك لا تجد لهذا الحديث وجوداً !!

وغاية ما يوجد في صحيح البخاري وفي الكتب المذكورة

١. ينابيع المودة : ١ : ٩٩ ح ١٣ .

حديث يقول : «حدَّثنا طلحة بن مصرف قال سألت عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما : هل كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أوصى؟ فقال : لا ، فقل كيف كتب على الناس الوصية أو أمروا بالوصية؟ قالوا رضي بكتاب الله»^(١) .
ولا وجود لحديث لرسول الله يقول فيه تركه فيكم الثقلين كتاب الله وسنتي ، وحتى على فرض وجود هذا الحديث في بعض الكتب فلا عبرة به لأن الإجماع على خلافه كما تقدّم .
ثم لو بحثنا في حديث كتاب الله وسنتي «لوجدناه لا يستقيم مع الواقع ، لا نقلاً ولا عقلاً .

ولنا في ردّه بعض الوجوه :

الوجه الأول :

اتفق المؤرخون والمحدثون بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منع من كتابة أحاديثه ولم يدع أحد أذنه كان يكتب السنة النبوية في عهده صلى الله عليه وآله وسلم ،

١. صحيح البخاري ٣ : ١٨٦ ، كتاب الوصايا باب الوصايا ، وانظر : سنن الترمذي ٣ : ٢٩٣ ح ٢٢٠٢ ، سنن ابن ماجه ٢ : ٩٠٠ ح ٢٦٩٦ ، مسند أحمد ٤ : ٣٥٤ .
٢ . أورده العقيلي في الضعفاء الكبير ٢ : ٢٥١ رقم ٠٤ ترجمة عبد الله بن داهر ، وابن عدي في الكامل في الضعفاء ٤ : ٦٩ ترجمة صالح بن موسى الطلحي .

فقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم تركت فيكم كتاب الله وسنتي لا يستقيم.
أمّا بالنسبة لكتاب الله فهو مكتوب ومحفوظ في صدور الرجال وبإمكان أي صحابي الرجوع إلى المصحف ولو لم يكن من الحفاظ.
أمّا بالنسبة للسنة النبوية فليس هناك شيء مكتوب أو مجموع في عهده صلى الله عليه وآله وسلم كما هو معلوم ومتفق عليه كل ما قاله الرسول أو فعله أو أقره ، ومن معلوم أيضاً أن الرسول لم يكن يجمع أصحابه ليعلمهم السنة النبوية ، بل كان يتحدث في كل مناسبة يوقد يحضر بعضهم وقد لا يكون معه إلا واحداً من أصحابه ، فكيف يمكن للرسول والحال هذه أن يقول لهم تركت فيكم سنتي؟

الوجه الثاني :

لمّا اشتد برسول الله وجعه ، وذلك قبل وفاته بثلاثة أيام ، طلب منهم أن يأتيوه بالكثف والدواة ليكتب لهم كتاباً لا يضلوا بعده أبداً ، فقال عمر بن الخطاب : إن رسول الله ليهجر وحسبنا كتاب الله^(١)!

فلو كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد قال لهم من قبل تركت فيكم :

كتاب

١- مضى تخريجه فيما تقدم ، وذكرنا أن عمر هو الذي نسب النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الهجر نقلاً عن الغزالي وسبط ابن الجوزي وابن الأثير وابن تيمية والجوهري ، وتقدم في كتاب «ثم اهتديت» الرد على بعض الاعتراضات الواردة للتشكيك في هذه الحادثة.

الله ﷺ وسنتي» لما جاز لعمر بن الخطاب أن يقول جنباً لنا كتاب الله ﷻ! لأذنه بذلك يكون هو والصحابة الذين قالوا بمقالته رادين على رسول الله ﷺ ولا، أظن أن أهل السنة والجماعة يرضون بهذا.

ولذلك فهذا أن الحديث وضعه بعض المتأخرين الذين يعادون أهل البيت ، وخصوصاً بعد إقصائهم عن الخلافة، وكأن الذي وضع حديث كتاب الله ﷻ وسنتي» استغرب أن يكون الناس تمسكوا بكتاب الله ﷻ وتركوا العترة واقتدوا بغيرهم فظن أن ذلك باختلاق الحديث سيصحح مسيرتهم بعد النقد والتجريح عن الصحابة الذين خالفوا وصية رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم.

الوجه الثالث :

من المعروف أن أوّل حادثة اعترضت أبا بكر في أوائل خلافته هي قراره محاربة مانعي الزكاة ، رغم معارضة عمر بن الخطاب له واستشهاده بحديث رسول الله ﷻ صلى الله عليه وآله وسلم : « من قال لله: إلا الله ﷻ محمد ﷺ رسول الله ﷻ صعم مني ﷻ ماله ودمه إلا بحقها وحسابه على الله ﷻ »^(١).

فلو كانت سنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم معلومة ما كان أبو بكر يجهلها ، وهو أولى الناس بمعرفتها.

١ . مسند أحمد ١ : ٤٧ ، صحيح البخاري ٨ : ٥٠ ، كتاب استنابة المرتدّين ، باب قتل من أبي قبول الفرائض .

ولكنَّ عمر بعد ذلك اقتنع بتأويل أبي بكر للحديث الذي رواه، وقول أبي بكر بأنَّ الزكاة هي حقَّ المال ولكنَّهم غفلوا أو تغافلوا عن سنَّة الرسول الفعلية التي لا تقبل التأويل، وهي قصَّة ثعلبة الذي امتنع عن دفع الزكاة لرسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم ونزل فيه قرآن ولم يقاتله رسول الله ﷺ ولا أجبره على دفعها^(١).

وأين أبو بكر وعمر عن قصة أسامة بن زيد الذي بعثه رسول الله ﷺ في سويطة، ما غشى القوم وهزمهم لحق رجالاً منهم فلمَّا أدركه قال: لا إله إلاَّ الله! فقتله أسامة، ما بلغ النبي ذلك قال: «يا أسامة أقتلته بعدما قال لا إله إلاَّ الله»؟ قال كان متعوِّذاً. فما زال يكرِّرها حتى تمنيتُ أني ﷺ لم أكن أسلمتُ قبل ذلك اليوم^(٢).

ولكلَّ هذا لا يمكن أن نصدِّق بحديث كتاب الله ﷻ وسنَّتي لأنَّ الصحابة أوَّل من جهل السنَّة النبوية، فكيف بمن جاء بعدهم كيف بمن بعد مدَّ مسكنه عن المدينة؟

١ - تفسير ابن كثير ٢ : ٤٩٠ سورة التوبة ، آية ٧٥ ، الدر المنثور ٣ / ٤٦٧ ، التفسير الكبير ١٦ / ١٠٥ ، روح المعاني ١٠ / ٣٣٢ ، وغيرها من المصادر التي ذكرت سبب نزول الآية.

٢ - صحيح البخاري ٥ : ٨٨ باب قول الله ﷻ تعالى : (**من أحيائها**) ، وصحيح مسلم أيضاً ١ : ٦٨ ، كتاب الإيمان ، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلاَّ الله ﷻ .

الوجه الرابع :

من المعروف أيضاً أن كثيراً من أعمال الصحابة بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كانت مخالفة لسنة .

فأمّا أن يكون هؤلاء الصحابة يعرفون سنة صلى الله عليه وآله وسلم وخالفوها عمداً اجتهاداً منهم في مقابل نصّ نوح النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وهؤلاء ينطبق

عليهم قولنا **كَلِمَانٌ لِّلْجَاهِلِيَّةِ وَتَعَالَى : (لَا مُمْرِنَةٌ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ الْخَيْرَ رَأَىٰ مِنْ أَمْرِهِمْ يُوكِئُونَ يَعْصِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا) (١)**.

وإمّا أنهم كانوا يجهلون سنة صلى الله عليه وآله وسلم يحقّ لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والحال هذه أن يقول لهم تركت فيكم سنتي ، وهو يعلم أنّ أصحابه وأقرب الناس إليه لم يحيطوا بها علماً ، فكيف بمن يأتي بعدهم ولم يعرفوا ولم يشاهدوا النبي؟!!

الوجه الخامس :

من المعلوم أيضاً أنّه لم تدوّن السنة إلا في عهد الدولة العباسية لئلا يكتب في الحديث هو موطأ الإمام مالك ، وذلك بعد الفتنة الكبرى وبعد واقعة الحرّة واستباحة المدينة المنورة وقتل الصحابة فيها صبراً كيف يطمنّ الإنسان بعد ذلك إلى رواية تقرّبوا

١. الأحزاب : ٣٦ .

للسلطان لنيل الدين، لذلك اضطرت الأحاديث وتناقضت وانقسمت الأمة إلى مذاهب ،
فما ثبت عن هذا المذهب لم يثبت عند غيره وما صححه هذا يكذبه ذلك .
فكيف نصدق بأن رسول الله قال تركت كتاب الله وسنتي ، وهو الذي كان
يعلم بأن المنافقين والمنحرفين سوف يكذبون عليه ، وقد قال كثرت على الكذابة ، فمن
كذب على فليتبوأ مقعده من النار» (١) .

فإذا كانت الكذابة قد كثرت في فكيف يكلف أمته بإتباع سنته ، وليس لهم
معرفة بصحتها من سقيمها ، وغثها من سمينها؟!

الوجه السادس :

يروى أهل السنة والجماعة في صحاحهم بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
ترك ثقلين ، أو خليفين ، أو شيفين ، يروون كتاب الله وسنة رسوله وهرمة يروون
عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي (٢) ، ومعلوم بالضرورة أن الحديث التالي
يضيف إلى كتاب الله

١ . صحيح البخاري ١ : ٣٥ كتاب العلم ، باب اثم من كذب على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، مسند

أحمد ١ : ٧٨ ، سنن الدارمي ١ : ٧٦ ، باختلاف في الألفاظ ، ومن دون قوله : كثرت على الكذابة .

٢ . مسند أحمد ٤ : ١٢٦ ، سنن أبي داود ٤٦٠٧ ، سنن الترمذي ٤ : ١٤٩

وسنة رسوله سنة الخلفاء ، فتصبح مصادر التشريع ثلاثة بدلاً من اثنين وكل هذا يتنافى مع حديث الثقلين الصحيح والمتفق عليه من السنة والشيعه ، ألا وهو «كتاب الله وعترتي» والذي قدّمناه في ذكره أكثر من عشرين مصدراً من مصادر أهل السنة الموثوقة فضلاً عن مصادر الشيعة التي لم نذكرها.

الوجه السابع :

إذا كان رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم علم اليقين بأن أصحابه الذين نزل القرآن بلغتهم ولهجاتهم . كما يقولون . لم يعرفوا كثيراً من تفسيره ولا تأويله ، فكيف بمن يأتي بعدهم؟! وكيف بمن يعتنق الإسلام من الروم والفرس والحبس وكل الأعاجم الذين لا يفهمون العربية ولا يتكلمونها؟!!

وقد ثبت الأثر أن أبا بكر سئل عن قوله **وَعَالِقًا ذِي سُنْدَانٍ** (**مَّةٌ وَأَبَا**)^(١) فقال أيّ سماء تظللني ، أرض تقلني أن أقول في كتاب الله ما لا أعلم^(٢).

ح ٢٨١٦ وقال : « حديث حسن صحيح » ، وصححه ابن حبان ١٠٢ ، والحاكم ١ : ٩٥ ، ووافقه الذهبي .

١ . عبس : ٣١ .

٢ . المصنّف لابن أبي شيبة ٧ : ١٧٩ ح ٥ ، فتح الباري ١٣ : ٢٢٩ ، كنز العمال

كما أنَّ عمر بن الخطاب أيضاً لم يعرف هذا المعنى ، فعن أنس بن مالك قال : إنَّ عمر بن الخطاب قرأ على المنبر فأنبأ فيها حبَّاً وعنباً وقضباً وزيتوناً ونخللاً وحدائق غلباً وفاكهة وأباً .»

قال كلُّ هذا عرفناه بما الأب؟ ثمَّ قال هذا لعمر الله هو التكلّف ، فما عليك أن لا تدري ما الأتبعوا ما بُين لكُم هداة من الكتاب فاعملوا به ، وما لم تعرفوه فكلوه إلى ربّه .»^(١)

[الاختلاف في السنّة النبوية] :

وما يُقالُ في تفسير كتاب الله يُقالُ هناك في تفسير السنّة النبوية الشريفة ، فكم من حديث نبوي بقي موضع خلاف بين الصحابة ، وبين المذاهب ، وبين السنّة والشيعه ، سواء كان الخلاف ناتجاً عن تصحيح الحديث أو تضعيفه ، أم عن تفسير الحديث وفهمه .

٢ : ٢٢٧ تحت الرقم ٤١٥٠ و ٤١٥١ و ٤٦٨٨ ، جامع البيان ١ : ٥٥ ، تفسير القرطبي ١٩ : ٢٢٣ ، تفسير ابن كثير ١٤ : ٥٠٤ ، الدر المنثور ٥ : ٣٣ ، البرهان للزركشي ١ : ٢٦٥ ، فتح القدير ٥ : ٣٨٧ ، وغيرها من المصادر الأخرى .

١ . الطبقات لابن سعد ٣ : ٣٢٧ ، تفسير القرآن لعبد الرزاق ٣ : ٣٤٩ ، تفسير القرطبي ١٩ : ٢٢٣ ، فتح القدير ٥ : ٣٨٧ ، فتح الباري ١٣ : ٢٢٩ ، المستدرک للحاكم : (تفسير سورة عبس) صحّحه ، وتابعه الذهبي ، تفسير ابن كثير ٣ : ٦٠٨ سورة عبس وصحّحه ، البرهان للزركشي ١ : ٢٩٥ . وللمزيد راجع : الغدير ٦ : ٤٢ جهل الخليفة بمعنى الأب .

وللتوضيح أقدم للقارئ الكريم بعض الأمثلة عن ذلك :

١. الخلاف بين الصحابة في صحّة الحديث أو كذبه :

هذا ما وقع لأبي بكر في أوّل أيامه عندما جاءته فاطمة الزهراء تطالبه بتسليم فدك التي أخذها منها بعد وفاة أبيها ، فكذبها في ما ادّعت من أنّ أباه رسول الله ﷺ أنحلها إياها في حياته ، كما أنّها لما طالبت بميراث أبيها ، قال لها بأنّ رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم قال : « نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة » .
فكذّبتة هي الأخرى في نسبة هذا الحديث لأبيها وعارضته بكتاب الله ﷻ ، واشتدّ النزاع والخلاف حتى ماتت وهي غاضبة عليه ، مهاجرة له لا تكلمه ، كما ورد ذلك في صحيح البخاري ومسلم^(١) .

كذلك اختلاف عائشة أمّ المؤمنين مع أبي هريرة في الذي يصبح^١

١ . صحيح البخاري ٤ : ٤٢ ، كتاب فرض الخمس وفيه : « فضبت فاطمة بنت رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم فهجرت أبا بكر ، فلم تزل مهاجرة حتى توفيت » ، ونحوه في ٥ : ٨٣ كتاب المغازي ، باب غزوة خيبر ، وفي ٨ : ٣ كتاب الفرائض ، باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : لا نورث ... ، ولفظه : « فهجرت فاطمة فلم تكلمه حتى ماتت » .
وفي صحيح مسلم ٥ : ١٥٤ ، (كتاب الجهاد والسير ، باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : لا نورث ...) ، ولفظه : « فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك ، قال : فهجرت فلم تكلمه حتى توفيت » .

جنباً في رمضان ، فكانت ترى صحة ذلك ، بينما يرى أبو هريرة أن من أصبح جنباً أفطر ،
وإليك القصّة بالتفصيل :

أخرج الإمام مالك في الموطأ ، والبخاري في صحيحه عن عائشه وأم سلمه زوجي
النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّهما قالتا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
يصبح جنباً من جماع غير احتلام في رمضان ثم يصوم.

وعن أبي بكر بن عبدالرحمن قال : كنت أنا وأبي عند مروان بن الحكم وهو أمير
المدينة ، فذكر له أن أبا هريرة يقول : من أصبح جنباً أفطر ذلك اليوم ، فقال مروان :
أقسمت عليك يا عبدالرحمن لتذهبن إلى أم المؤمنين عائشة وأم سلمة فلتسألنهما عن ذلك ،
فذهب عبدالرحمن وذهبت معه حتى دخلنا على عائشة ، فسلم عليها ثم قال : يا أم المؤمنين
إننا كنا عند مروان بن الحكم ، فذكر له أن أبا هريرة يقول : من أصبح جنباً أفطر ذلك اليوم
، قالت عائشليهن كما قال أبو هريرة يا عبدالرحمن ، أترغب عمّا كان رسول الله يصنع؟
فقال عبدالرحمن لا والله ، قالت عائشة فأشهد على رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم كان يصبح جنباً من جماع غير احتلام ثم يصوم ذلك اليوم.
قال ثم خرجنا على أم سلمة فسألها عن ذلك ، فقالت مثلما قالت عائشة ، قال :
فخرجنا حتى جئنا مروان بن الحكم ، فذكر له عبدالرحمن ما قالتا ، فقال مروان : أقسمت
عليك يا أبا محمد لتركن

دابتي فإنها بالبالب ، فلتذهبن إلى أبي هريرة فإنّه بأرضه بالعقيق فلتخبرنه ذلك ، فركب
عبدالرحمن وركبت معه حتى أتينا أبا هريرة ، فتحدّث معه عبدالرحمن ساعة ، ثمّ ذكر له ذلك
، فقال له أبو هريرة : لا علم لي بذلك إنّما أخبرنيّه مخبر^(١).

انظر أخي القارئ إلى صحابي مثل أبي هريرة الذي هو عند أهل السنّة راوية الإسلام
، كيف يفتي بأحكام دينية على الظنّ ينسبها إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو
لا يعلمُ حتىّ من أخبره بها^(٢).

١ . الموطأ لمالك ١ : ١٩٠ كتاب الصيام ، باب ما جاء في صيم الذي يصبح جنباً في رمضان ، صحيح
البخاري ٢ : ٢٣٣ ، كتاب الصوم ، باب الصائم يصبح جنباً .
وفي سير أعلام النبلاء ٢ : ٦٠٨ ترجمة أبي هريرة) : « قال يزيد بن هارون : سمعت شعبة يقول : كان
أبو هريرة يدلس .»

قال الحافظ ابن كثير في البداية ٨ : ١٠٩ : «وكأنّ شعبة يشير بهذا إلى حديث : «من أصبح جنباً فلا
صيلم فإلّه» لمّا حقّق عليه قال أخبرنيّه مخبر ، ولم يسمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
.»

وقد حاول الذهبي ترقية هذا الفتق . وهو تدليس أبي هريرة . فقال في المصدر المتقدم م : «تدليس الصحابة
كثير ، ولا عيب فيه .»

فاقرأ واعجب لمباني القوم وأعدارهم!!

٢ كما مرّ في رواية الموطأ ، أمّا في سائر الصحاح والمسانيد فقد اضطربت الآثار ، فإنّ أبا هريرة تارة ينسبه إلى
النبي ويقول : إنّ رسول الله كان يأمر

قصة أخرى لأبي هريرة يتناقض فيها مع نفسه

روى عبد الله بن محمد، حدثنا هشام بن يوسف، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن أبي مسلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: « لا عدوى ولا صفر ولا هامة » فقال أعيان رسول الله: فما بال الإبل تكون في الرمحل كأنها الطباء فيخالطها الأجرى فيجرها؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « فمن أعدى الأول »^(١).

بالفطر...»، وتارة يقول: « كنت حدثتكم ممن أصبح جنباً فقد أفطر، فإنما ذلك من كيس أبي هريرة، فمن أصبح جنباً فلا يفطر ثم إنّه مرّة أحاطه بليل الفضل بن العباس، ومرّة إلى أسامة بن زيد، ومرّة قال: « أخبرنيته مخبر»، ومرّة قال أيضاً: « حدثني فلان وفلان يتبعاً لهذا الاضطراب اضطربت كلمة شرّاح الحديث في تبرير موقف أبي هريرة.

انظر على سبيل المثال: فتح المالك بتبويب التمهيد لابن عبد البر على موطن مالك ٨ : ١٣٥ كتاب

الصيام، وفتح الباري لابن حجر ٤ : ٢١٤.

ومن حُصِّلَ أن مروان أراد التثبت من هذا الحديث فاتضح بسببه خطأ أبي هريرة، وإلا لضلّ الناس بسبب فتواه وعملوا على غير سنة النبي اعتماداً على أبي هريرة، ولا ندري كم من الأحاديث التي رواها أبو هريرة خطأ ولم يكن من يرشده ويبين خطأه.

١. صحيح البخاري ٧ : ١٩، كتاب الطب، باب ٥٣ لا هامة، صحيح مسلم ٧ : ٣١، كتاب السلام،

باب لا عدوى ولا طيرة، فتح الباري ١٠ : ٢٠٧، هدي الساري ١٢ : ٥٧٥، المفهم ٣ : ٢٧٦.

وعن أبي سلمة سمع أبا هريرة بعدُ يقولُ : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « لا يوردنَّ ممرضٌ على مٌصحٍ » وأنكر أبو هريرة حديثه الأوَّل ، المُقلِّدُ أنَّه لا عدوٌّ وى ، فرطنَ بالحِشْيَةِ ، قال أبو سلمة : فما رأيتُه نسي حديثاً غيره ...^(١) .
فهذه أيُّها القاري اللبيب سنة الرُّسُولِ ، ملوياً نَسْبُ للرَّسُولِ ، فمرَّة يقول أبو هريرة عليه السلام بحدِيثه الأوَّل وإثماً أخيره مخُبرٌ ، ومرَّة أُخرى عندما يجاهوه بتناقضه لا يجيبهم بشي ، وإثماً يَرطَنُ بالحِشْيَةِ حتَّى لا يفهمه أحد .

خلاف عائشة وابن عمر :

روى ابن جريج قتلعتُ عطاءَ يَحْبُرُ قال : أخبرني عروةُ بن الزبير ، قال بكننتُ أنا وابن عمرَ مستندين إلى حجرة عائشة ، وإنا لنسمع ضربها بالسواك تستنُّ ، قال : فقلت : يا أبا عبد الرحمن اعتمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم في رجب؟ قال نعم ، فقلت لعائشة أتني أمَّتاه ألا تسمعين ما يقولُ أبو عبد الرحمن قالت : وما يقولُ ؟ قلت : يقول : اعتمر

وانظر في المصادر المتقدِّمة ل ترى الاضطراب في تفسير الحديثين والجمع بينهما .
وبعد كلياً الاختلاف والاضطراب من قبل أبي هريرة في رواياته ، والتي يقرُّ بما شرَّاح الحديث من علماء أهل السنة ؛ يكون كلام صاحب كتاب (منهج أهل البيت في مفهوم المذاهب الإسلامية) فاقدًا للاعتبار وناشئًا عن قلة الاطلاع .
١ . نفس المصدر السابق .

النبي ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم في رجب ، فقالت : يغفر الله ﷻ لأبي عبد الرحمن ، لعمرى ما اعتمر في رجب ، وما اعتمر من عمرة إلا وإنه لم يعُدَّ بها عن عمرى يسمة مع ، فما قال لا ولا نعم سكت^(١).

٢. اختلاف المذاهب في السنّة النبوية :

فإذا كان عمر وأبو بكر يختلفان في سنّة النبي صلى الله عليه وآله وسلم^(٢) ، وإذا كان أبو بكر يختلف مع فاطمة في السنّة النبوية^(٣) ، وإذا كان أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم يختلفن في سنّة النبي صلى الله عليه وآله وسلم^(٤) ، وإذا كان أبو هريرة

١ . صحيح مسلم ٤ : ٤ كتاب الحج ، باب بيان عدد عمرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، صحيح البخاري ٢ : ١١٩ ، كتاب العمرة ، باب كم اعتمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم .
٢ . إشارة الى اختلافهما في محاربة مانعي الزكاة ، وقد أشرنا الى المصادر فارجع إليها (المؤلف) .
٣ . إشارة الى قصة فدك وحديث نحن معاشر الأنبياء لا نورث ، أشرنا الى المصادر (المؤلف) .
٤ إشارة الى قصة رضاعة الكبير التي روتها عائشة وخالف عنها أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم (المؤلف) .

انظر : صحيح مسلم ٤ : ١٦٩ ، كتاب الرضاع ، باب رضاعة الكبير .

يتناقض ويختلف مع عائشة في السنّة النبوية^(١) ، إذا كان ابن عمر يختلف مع عائشة في سنّة النبي^(٢)، وإذا كان عبدالله بن عباس وابن الزبير يختلفان في السنّة النبوية^(٣) ، وإذا كان علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان يختلفان في السنّة النبوية^(٤).

وإذا كان الصحابة يختلفون فيما بينهم في السنّة النبوية^(٥) حتى كان للتابعين من بعدهم أكثر من سبعين مذهباً ، فكان ابن مسعود صاحب مذهب ، وكذلك ابن عمر ، وابن عباس ، وابن الزبير ، وابن عيينة ، وابن جريج ، والحسن البصري ، وسفيان الثوري ، ومالك ، وأبوجنيفة ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وغيرهم كثير ، ولكن المتغيرّات السياسية قضت على الجميع ولم تبقى إلاّ المذاهب الأربعة المعروفة

- ١ . إشارة إلى رواية «يصبح النبي جنباً ويصوم» والذي كذّبه عائشة (المؤلف).
- ٢ . إشارة إلى رواية «اعتمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أربعاً إحداهن في رجب» وكذّبه عائشة (المؤلف).
- ٣ . إشارة إلى اختلافهما في حلّية المتعة وتحريمها (المؤلف).
- انظر : صحيح مسلم ٤ : ١٣٠ ، كتاب النكاح ، باب نكاح المتعة.
- ٤ . إشارة إلى اختلافهما في متعة الحج (المؤلف).
- انظر : البخاري ٢ : ١٥٣ (كتاب الحج ، باب التمتع والاقران).
- ٥ . في البسملة وفي الوضوء وفي صلاة المسافر وفي الكثير من المسائل الفقهية التي لا يمكن حصرها (المؤلف).

عند أهل السنة والجماعة.

ورغم قلّة عدد المذاهب ، إلاّ أنّهم يختلفون في أغلب المسائل الفقهية ، وذلك من أجل اختلافهم في السنة النبوية ، فقد بيني أحدهم حكمه في مسألة طبق ما صحّحه من حديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، بينما يجتهد غيره برأيه ، أو يقيس على مسألة أخرى لفقدان النصّ والحديث.

٣ اختلاف السنة والشيعه في السنة النبوية :

أمّا اختلاف السنة والشيعه في هذه المسألة فقد يكون لسببين رئيسين :
أحدهما : عدم صحة الحديث عند الشيعة إذا كان أحد الرواة من المطعون في عدالته ولو كان من الصحابة ، إذ أنّ الشيعة لا يقولون بعدالة الصحابة أجمعين ، كما هو الحال عند أهل السنة والجماعة.
أضف إلى ذلك أنّهم يرفضون الحديث إذا تعارض مع رواية الأئمة من أهل البيت ، فهلمّ ميّون رواية هؤلاء على غيرهم مهما علّت مرتبتهم ، ولهم في ذلك أدلّة من القرآن والسنة ثابتة حتى عند خصومهم ، وقد سبق الإشارة إلى بعضها.
أمّا السبب الثاني في الاختلاف بينهما فهو ناتج عن مفهوم الحديث نفسه ، إذ قد يفسّره أهل السنة والجماعة على غير تفسير

الشيعة ، كالحديث الذي سبق أن أشرنا إليه وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم : «
اختلاف أمتي رحمة»^(١).

إذ يفسرّه أهل السنّة والجماعة بأنّ في اختلاف المذاهب الأربعة في الأمور الفقهية
رحمة للمسلمين.

بينما سيفرّه الشيعة بالسفر إلى بعضهم البعض ، والاعتناء بأخذ العلم ، ونحوه من
الفوائد.

أو قد يكون الاختلاف بين أهل الشيعة وأهل السنّة ليس في مفهوم الحديث النبوي ،
وإنّما في الشخص أو الأشخاص المعنيين بهذا الحديث ، وذلك كقول الرسول
صلى الله عليه وآله وسلم : «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي»^(٢).

هؤلاء السنّة يعنون به الخلفاء الأربعة ، أمّا الشيعة فيعنون به الأئمة الإثني عشر ،
ابتداء من علي بن أبي طالب وانتهاء بالمهدي محمد بن الحسن العسكري عليه السلام.

أو كقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «الخلفاء من بعدي إثنا عشر كلّهم من قريش

».

فالشيعة يعنون به الأئمة الإثني عشر من أهل البيت عليهم السلام ، بينما لا يجد

أهل السنّة والجماعة تفسيراً شافياً لهذا الحديث ، وقد اختلفوا

١. تقدم تخرجه فيما تقدّم.

٢. تقدم تخرجه فيما تقدّم.

حتى في الأحداث التاريخية التي تتعلّقُ بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، كما هو الحال في يوم مولده الشريف ، إذ يحتفل أهل السنّة بالمولد النبوي الشريف يوم الثاني عشر من ربيع الأول ، في حين يحتفل الشيعة في السابع عشر من نفس الشهر!!
ولعمري إنّ هذا الاختلاف في السنّة النبويّة أمر طبيعي لا مفرّ منه ، إذا لم يكن هناك مرجعٌ مرجعٌ إليه الجميع ويكون حكمه نافذاً ، ورأيه مقبولاً لدى الجميع كما كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حيث كان يقطع دابر الخلاف ، ويجسمُ النزاع ، ويحكم بما أراه الله ، فيسلّمون ولو كان في أنفسهم حرج.

وإنّ وجعل هذا الشخص ضروريّاً في حياة الأمّة وعلى طول مداها! هكذا يحكم العقل ولا يمكن أن يغفل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك ، فهو يعلم بأنّ أمّة ستتمّ بالله كلاماً بعده ، فكان لزاماً عليه أن يُضّرّها معلماً قادراً ليقودها إلى الجادّة إذالفتحاً الانحراف عن الصراط المستقيم ، وقد هيّأ بالفعل لأمّته قائداً عظيماً بذل كلّ جهوده في تربيته وتعليمه منذ ولد إلى أن بلغ الكمال ، وصار منه بمنزلة هارون من موسى ، فأوكل إليه هذه المهمّة النبيلة بقوله : ألا أقاتلهم على تنزيل القرآن وأنت

تقاتلهم على تأويله «^(١).

١ . ينياع المودة ٢ : ٢٣٥ ح ٦٥٨ عن مسند الفردوس ، وفي تاريخ دمشق ٤٢ : ٤٥٣ ومسند أحمد ٣ : ٣٣ بلفظ : «إن منكم من يقاتل على تأويله كما قاتلت على تنزيله ، قال : فقام أبو بكر وعمر ، فقال : لا ، ولكن خاصف النعل ، وعليّ يخصف نعله » ، وقال الشيخ أحمد شاكر محقق كتاب مسند أحمد ١٠ : ١٠٨ : « اسناده صحيح ١٠ : ١٠٨ ، ونحوه في المستدرک ٣ : ١٢٣ وقال : «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرّجناه » ، وفي مجمع الزوائد ٥ : ١٨٦ وقال : « رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح » ، وفي ٩ : ١٣٣ رواه بلفظ أحمد وقال : « رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير فطر بن خليفة وهو ثقة » ، وأخرج الحديث الشيخ الألباني في صحيحته وأشار إلى مصادر الحديث وطرقه المتعددة ، وقال بعد ذلك : « وقد روى الحديث بلفظ آخر من طريق محمد بن جعفر الفيدي ... عن ربعي بن خراش قال : سمعت علياً يقول وهو بالمدائن : جاء سهيل بن عمرو إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : إنه قد خرج إليك ناس من أرقائنا ليس بهم الدين تعبداً ، فارددهم علينا ، فقال له أبو بكر وعمير بن عبد مناف يا رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لن تنتهوا يا معشر قريش جفث الله عليكم رجالا امتحن الله قلبه بالإيمان يضرب أعناقكم وأنتم مجفلون عنه إجنال النعم ، فقال أبو بكر أنا هو يا رسول الله ؟ قال : لا ، قال له عمر أنا هو يا رسول الله ؟ قال : لا ، ولكنه خاصف النعل ، قولني كف عليّ نعل يخصفها لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . قلت : وإسناده حسن ... »

الصحيحة : ٥ : ٦٣٩ . ٦٤٣ ح ٢٤٨٧ .

ومن الملاحظ في هذا الحديث أنّ عبقرية عمر ظهر وهنها وخالفت الوحيدة أنّ هذا الذي وافقه ربّه في

عدّة مواطن . كما يزعمون . لم يوافق ربّه في

وقولت: يعلني تين لأمتي ما اختلفوا فيه من بعدي»^(١).
فإذا كان القرآن وهو كتاب الله العزيز يتطلب من يقاتل في سبيل تفسيره وتوضيحه ،
لأنه كتاب صامت لا ينطق وهو حمّال أوجه متعدّدة ، وفيه الظاهر والباطن ، فكيف
بالأحاديث النبوية!؟

وإذا كان الأمر كذلك في الكتاب والسنة فممكن للرسول
صلى الله عليه وآله وليه أن لا يتورّع الذين في قلوبهم
زيغ أن يتأوّلوا لغرض ، ويطعنوا ما تشابه منهما ابتغاء الفتنة وابتغاء الدنيا ، ويكونوا سبباً
لضلالة من يأتي بعدهم لأنهم أحسنوا الظنّ بهم واعتقدوا بعدالتهم ، ويوم القيامة يندمون
فيصدق فيهم قوله تعالى :

وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ وَقَالُوا رَبَّنَا
إِنَّا أَطَعْنَا مَا دَنَا وَكَبُرْنَا فَأَضَلُّونَا السُّيُوفَ وَالرِّبَاطَ لَقِمْ الْعَصْدِيقَ وَالْعَنْدَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا)
(٢)

مَّة لَعَنَتْ أَخِيَّهُمْ (حَدَّثَنَا لِكْفُ الْإِثَارِ كُؤَا فِيهِ مَا جَمَعَ قَالَتْ أَخْرَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا
هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَأَتَهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ

هذا الموطن ، وصدّق المشركين ، وشمله كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم إن الله سيبيح رجالاً يضرب أعناق
قريش.

١. مضي تخريجه فيما تقدّم.

٢. الأحزاب : ٦٦ - ٦٨.

لِكُلِّ ضِعْفٌ وَ لَكِنَّ لَا تَعْلَمُونَ (١).

وهل كانت الضلالة إلا من ذلك فلجناك أمّة لم يبعث الله فيهم رسولا أوضح لهم السبيل وأنار لهم كطريق بعد نبيهم راحوا يجرّون ويتأولون ويدّعون كلام الله! فهل يتصور عاقل أن رسول الله عيسى عليه السلام للنصارى بأذنه إله؟ حاشا ما وَكَلَّتْ لَهُمْ إِلَّا مَا آمَنَ بِهِ تَبِيهِ لَكِنَّ الْأَهْوَاءَ وَالْأَطْمَاعَ وَحِبَّ الدُّنْيَا هُوَ الَّذِي جَرَّ النِّصَارَى لِلْمَلِيشَاءِ رَهْمَ عَيْسَى بِمَحْمَدٍ وَمَنْ قَبْلَهُ مُوسَى كَذَلِكَ؟ وَلَكِنَّهُمْ تَأَوَّلُوا اسْمَ مُحَمَّدٍ وَأَحْمَدٍ «بِالْمَقْدُومِ» حَتَّى الْآنَ يَنْتَظِرُونَهُ!

وهل كانت أمّة محمد صلى الله عليه وآله وسلم على مذاهب و فرق متعدّدة إلى ثلاث وسبعين كلّها في النار إلا فرقة واحدة «إلا بسبب التأويل؟ ولها نحن نعيش اليوم بين هذه الفرق هل هناك فرقة واحدة تنسب لنفسها الضلالة؟ أو بتعبير آخر: هل هناك فرقة مدّ وطجّلتهتا خالفت كتاب الله وسنة رسوله؟ بل بالعكس كلّ فرقة تقول بأنّها هي المستمسكة بالكتاب والسنة فما هو الحلّ إذا؟

أكان يغيب الحلّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالأحرى عن الله؟

١. الأعراف : ٣٨ .

٢. المائدة : ١١٧ .

استغفر الله ٥ إذنه لطيف بعباده ويحب ٥ لهم الخير ، فلا بد أن يضع لهم حلاً ، ليهلك من هلك على بينة . وليس من شأنه سبحانه إهمال مخلوقاته وتركهم بدون هداية ، اللهم إلا إذا اعتقدنا بأنه هو الذي أراد لهم الاختلاف والفرقة والضلالة ليزج بهم في ناره ، وهو اعتقاد باطل فاسد ، استغفره وأتوب إليه من هذا القول الذي لا يليق بجلال الله ٥ وحكمته وعدالته .
 فقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كتاب الله ٥ وسنة نبيه ٥ ليس هو الحل ٥ المعقول لقضية تنابيل يزيدنا تعقيداً وتأويلاً ولا يقطع دابر المشاغبين والمنحرفين ، ألا تراهم عندما خرجوا على إمامهم رفعوا شعاراً : ليس الحكم لك يا علي وإنما الحكم لله ٥ «إذنه شعار بر ٥ اق ٥ يأخذ بلب ٥ السفلي» القائل به حريصاً على تطبيق أحكام الله ٥ ، ورافضاً لأحكام غيره من البشر لكن الحقيقة ليست كذلك .

وَمِنْ النَّاسِ مَنْ قَالَ قُلُوبِي فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَبَلَّغَنِي إِلَى مَا فِي قَلْبِي
 وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (١) .

كثيراً نلعمها نعتراً بالشعارات البراقة ولا نعرف ماذا تخفي وراءها أولئك الإمام علياً يعرف ذلك لأنه باب مدينة العلم ،

١ . البقرة : ٢٠٤ .

فأجابهم: «كلمة حَقٌّ يُراد بها باطل» (١).

كفيرة هي كلماتُ الحقِّ التي يُراد بها الباطل، كيف ذلك؟ عندما يقول الخوارج للإمام عليّ الحكم لله ليس لك يا عليّ فهل سيظهر الله على الأرض ويفصل بينهم فيما اختلفوا فيه؟ أم أنّهم يعلمون أنّ حكم الله في القولكن، عليّاً تأوَّ له حسب رأيه؟ فما هي حججُهم ومن يقول بأنّهم هم الذين تأوَّ لو حكم الله، والحال أنّّه أعلم منهم وأصدق وأسبق للإسلام، وهل الإسلام غيره؟

إذاً هو شعار برّاقٌ ليموّ هوا به على بسطاء العقول، فيكسبوا تأييدهم ليستعينوا بهم على حربه وكسب المعركة لصالحهم، كما يقع اليوم، فالزمان زمان، والرجال رجال، والدهاء والمكر لا ينقطع بل يزداد وينمّوئناً دهاة هذا العصر يستفيدون من تجارب الأوّلين فكم من كلمة حقٍّ يراد بها باطل في يومنا هذا؟

شعارات برّاقة كالذي يرفعها الوهابيون في وجه المسلمين وهو «التوحيد وعدم الشرك» فمن من المسلمين لا يوافق عليه؟ وكتسمية فرقة من المسلمين أنفسهم «بأهل السنّة والجماعة» من المسلمين لا يوافق أن يكون مع الجماعة التي تتبع سنّة النبي؟ وكشعار البعثين «آية عربية واحدة ذات رسالة خالدة» فمن من

١. نهج البلاغة ١ : ٨٤ ، الخطبة ٣٥ .

المسلمين لا يغترّ بهذا الشعار قبل أن يعرف خفايا حزب البعث ومؤسّسه النصراني ميشال عفلق؟

لك الله يا عليّ بن أبيإفطالحكمتك بقرية وستبقى مدوية على مسمع الدهر فكلم من كلمة حقّ يراد بها الباطل. عد أحد العلماء إلى منصّة الخطابة وصاح بأعلى صوته بمن قال بأنني شيعي نقول له أنت كافر ومن قال بأنني سني نقول له : أنت كافر نحن لا نريد شيعة ولا سنة يؤثما نريد إسلاماً فقط.

إنها كلمة حقّ يراد بها باطل فأىّ إسلام يريد هذا العالم ، وفي عالمنا اليوم إسلام متعدّد دبل وحتىّ في القرن الأول كان الإسلام متعدّد دأ؟!!

فهنالك إسلام عليّ وإسلام معاوية كلاهما له أتباع ومؤيّدون حتىّ وصل الأمر إلى القتال.

وهناك إسلام الحسين وإسلام يزيد الذي قتل أهل البيت باسم الإسلام وادّعى أنّ الحسين خرج عن الإسلام بخروجه عليه.

وهناك إسلام أئمة أهل البيت وشيعتهم ، وإسلام الحكّام وشعوبهم وعلى مرّ التاريخ نجد اختلافاً بين المسلمين.

وهناك إسلام متسامح كما يسمّيه الغرب لأنّ أتباعه ألقوا بالموذّة لليهود والنصارى ، وأصبحوا يركعون للقوتين العظيمتين ، وهناك

إسلام متشدّد يُسمّيه الغرب إسلام التعصّب والتحجّر أو مجانين الله .
وبعد كلّ هذا لم يبق معنا مجالٌ للتصديق بحديث كتاب الله وسنّتي « للأسباب التي
ذُكرتُ .

تبقى الحقيقة ناصعة جليّة في الحديث الثاني الذي أجمع عليه المسلمون وهو : «
كتاب الله وعترتي أهل بيّتي» هذا الحديث يحلّ كلّ المشكلات ، فلا يبقى اختلاف في
تأويل أيّة آية من القرآن أو في تصحيح وتفسير أي حديث نبوي شريف إذا مارجعنا إلى أهل
البيت الذين أمرنا بالرجوع إليهم خصوصاً إذا علمنا بأن هؤلاء الذين عيّنهم رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم أهلٌ لذلك ولا يشكّ أحدٌ من المسلمين في غزارة علمهم ،
وفي زهدهم وتقواهم أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم ، وأورثهم علم الكتاب ، فلا
يخالفونه ولا يختلفون فيه بل لا يفارقونه حتى قيام الساعة قال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم :

إني تارك فيكم خليفتين ، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل
بيتي ، فإنّهما لم يفترقا حتى يردّ أعلّى الحوض «^(١).

١ . ولذا قال صاحب الصواعق ٢ : ٤٤٢ : « وفي أحاديث الحث على التمسك بأهل البيت إشارة إلى عدم
انقطاع متأهل منهم للتمسك به إلى يوم القيامة

ولأكون مع الصادقين يجبُ علىَّ طُوبى الحقِّ ، لا تأخذني في ذلك لومة لائم ، وهدى في رضى الله سبحانه وإرضاء ضميري قبل رضى الناس عني .

والحقيقة في هذا البحث هي في جانب الشيعة الذين اتَّبَعُوا وصيَّة رسول الله في عترته ، وقد موهم على أنفسهم جعلوهم أئمتهم يتقرُّون إلى الله بحبِّهم والافتداء بهم ، فهنيئاً لهم بالفوز في الدنيا وفي الآخرة حيث يُشر المرء مع من أحبَّ فكيف بمن أحبَّهم واقتدى بهديهم .

قال الزمخشري في هذا الصدد :

ثُمَّ الشكُّ والاختلاف وكلُّ يدعي أنَّه الصراط السوي
سكتُ بلا إله إلا اللهُ سيُّ لأحمد وعليَّ
كلبٌ بحبِّ أصحاب كهف ف أشقى بحبِّ آل النبي^(١)

كما أنَّ الكتاب العزيز كذلك ، ولهذا كانوا أماناً لأهل الأرض .. .»

وقال المناوي في فيض القدير ٣ : ٢٠ بعد شرحه لحديث الثقلين : « تنبيه : قال الشريف : هذا الخبر يفهم وجود من يكون أهلاً للتمسك به ملهً البيت والعترة الطاهرة في كلِّ زمن إلى قيام الساعة ، حتى يتوجه الحث المذكور إلى التمسك به ، كما أنَّ الكتاب كذلك ، فلذلك كانوا أماناً لأهل الأرض ، فإذا ذهبوا ذهب أهل الأرض .»

١ . ذكرها الشيخ عباس القمي في الكنى والألقاب : ٢٩٩ .

اللّهم اجعلنا من المتسمكين بحبل ولائهم ، والسائرين على منهاجهم ، والراكبين
سفينتهم ، والقائلين بإمامتهم ، والمحشورين في زمرةم ، إذك تهدي من تشاء إلى صراط
مستقيم.

القضاء والقدر عند أهل السنة والشريعة

القضاء والقدر عند أهل السنة

كان موضوع القضاء والقدر لغزاً عويصاً فيما مضى من حياتي ، إذ لم أجد فيه تفسيراً شافياً ولا كافياً يريح فكري ويقنع قلبي بيقينٍ مُحتاراً بين ما تعلمته في مدرسة أهل السنة من أن الإنسان مسيرٌ في كلِّ أفعاله بما يوكلُفَّقُ : «يسرُّ لما خلقَ له»^(١) وأئنَّ الله سبحانه

١. واتهم صاحب كتاب كشف الجاني : ١٥٦ المؤلف بالافتراء على أهل السنة في هذا الكلام وأنهم لا يقولون بهذا الكلام الذي ذكره ، ولكن عند تصفحنا لمصادر أهل السنة نجد أن كلام المؤلف تام ولا غبار عليه ، وأن عقيدة أهل السنة في القضاء والقدر هي التسيير وليست التخيير ، وإليك كلمات بعض علمائهم :
أ . قال القسطلاني : «وقال أهل السنَّة : الله سبحانه وتعالى قدَّر الأشياء ، أي علم مقاديرها وأحوالها وألَّها قبل إيجادها ، ثمَّ أوجد منها ، ما سبقه في علمه ، فلا يحدث في العالم العلوي والسفلي إلَّا وهو صادر عن علمه تعالى

وقدرته وإرادته ، وأنَّ الخَلْقَ ليس لهم فيها إلَّا نوع اكتساب ومحاولة ونسبة وإضافة ، وأنَّ ذلك كلُّه إمَّا حصل بتيسير اللهَّ وقُدرة اللهَّ والهامة ... » هدي الساري ١٤ : ٣ (كتاب القدر) .

ب . وقال في البحر الرائق ٨ : ٣٣١ : « وقال (صاحب الحاوي) : قال الشيخ الإمام أبو بكر محمد بن أحمد القاطينيَّ اللهُ تعالى خلق أفعال العباد وأفعالهم بقضاء اللهَّ تعالى ومشيتته . »

ج . وقال ابن حزم في المحلى ١ : ٣٧ : « مسألة : وجميع أفعال العباد خيرها وشرها كل ذلك مخلوقة ، خلقه اللهَّ عزَّ وجلَّ . »

د . وقال البيهقي : « ... فثبت أنَّ الأفعال كلُّها خيرها وشرها صادرة عن خلقه وإحداثه إياها .. »

الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد : ٢٤٥ .

وغيرها من الكلمات الكثيرة التي تنصَّ على أنَّ اللهَّ سبحانه وتعالى هو الخالق لأفعال العباد ، بل نجد ابن أبي العزَّ نفسه يصرِّح بذلك ، وإن حاول عثمان الخميس نقل عبارته مبنوية حتى لا تنكشف حقيقة عقيدته .

قال ابن أبي العزَّ الدمشقي : « قال أهل الحقَّ : أفعال العباد بما صاروا مطيعين وعصاة ، وهي مخلوقة

للهَّ تعالى ، والحقَّ سبحانه وتعالى منفرد بخلق المخلوقات لا خالق لها سواه » شرح العقيدة الطحاوية ٢ : ٦٤٠ .

وعبارة ابن يثيمة التي نقلها صاحب كتاب كشف الجاني متناقضة في نفسها ، لأنَّ العباد إذا كانوا فاعلين

حقيقة فكيف ليكُون الخالق لأفعالهم ، وإذا كان اللهَّ هو الخالق لأفعالهم ، فما معنى أنَّ اللهَّ خالقهم وخالق

قدرتهم وإرادتهم ، إذ لا معنى لخلق القدرة والإرادة بعد أن كان خلقاً لأفعالهم !؟

والنتيجة إنَّ عقيدة أهل السنة مضطربة في القضاء والقدر ، والروايات التي

يبعث إلى الجنين في بطن أمه ملكين من الملائكة فيكتبان أجله ورزقه وعمله وإن كان شقيماً أو سعيداً^(١) ، وبين ما يمليه عقلي وضميري من عدالة الله سبحانه وتعالى وعدم ظلمه لمخلوقاته، إذ كيف يجبرهم على أفعال ثم يحاسبهم عليها، ويعذبهم من أجل جرم كتبه هو عليهم وأجرهم عليه.

فكنت كغيري من شباب المسلمين أعيش تلك التناقضات الفكرية في تصويري بأن الله سبحانه هو القوي الجبار الذي لا يسأل عمّا يفعل وهم يسألون^(٢) ، وهو فعال لما يريد^(٣) ، وقد خلق الخلق وجعل قسماً منهم في الجنة وقسماً آخر في الجحيم ثم هو رحمن رحيم عباده لا يظلمون **مَتَقَالِ رِذْوَانِي بِظُلَامِ لَيْلٍ يَدِ** (٤). (إنَّ

رووها وكلمات علمائهم تنصّ على أنّ الإنسان مسيرٌ في خلقه ولأفعل ليس مخيرٌ أ .
وما ذكره المؤلف من لغزية موضوع القضاء والقدر عند أهل السنة صحيح لا غبار عليه ولا مجال للطعن عليه بالافك والافتراء والتزوير.

١. صحيح البخاري ٦ : ٥٣ ، كتاب التوحيد ، باب **قَلِيلٌ تَعْلِيلٌ سُرٌّ (نَا الْقُرْآنَ لِمَلَذِّ كُرٍ)** .

٢ . الأنبياء : ٢٣ .

٣ . البروج : ١٦ .

٤ . فصلت : ٤٦ .

اللَّهُ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ^(١)، ثمَّ هُوَ حَنَّ عَلَيْهِمْ مِنَ الْمَرْأَةِ عَلَى وَلَدِهَا، كَمَا جَاءَ ذَلِكَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ^(٢).

وكثيراً ما يترأى هذا التناقض في فهمي لآيات القرآن الكريم مرةً أفهم بأنَّ الإنسان

على نفسه بصيرة ، وهو المسؤول عما لوحيده **يَعْمَلُ لَهُ** : **(مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ***

وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ)^(٣).

ومرَّةً أفهم بأنَّه مسيرٌ وليس له حول ولا قوَّة ، ولا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً ولا رزقاً)

وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ يُلْهِمُ لَهُ^(٤)، (يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ)^(٥).

نعم لستٌ وحدي بل أغلب المسلمين يعيش هذه التناقضات الفكرية ، ولذلك تجد

أغلب الشيوخ والعلماء إذا ما سألتهم عن موضوع القضاء والقدر لا يجدون جواباً يقنعون به

أنفسهم قبل إقناع

١ - يونس : ٤٤ .

٢ - صحيح البخاري ٧ : ٧٥ ، كتاب الأدب ، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته ، الحديث السادس .

٣ - الزلزلة : ٧ - ٨ .

٤ - الإنسان : ٣٠ .

٥ - فاطر : ٨ .

غيرهم ، فيقولون : هذا موضوع يجب الخوض فيه ، وبعضهم يجرّم الخوض فيه ويقول :
يجب على المسلم أن يؤمن بالقضاء والقدر وشرّ توائمه من عند الله .
وإذا ما سألهم معانكيفن يجبر الله عبده على ارتكاب جريمة ثمّ يزجّ به في نار
جهنم؟ اتهموه بالكفر والزندقة والخروج عن الدين إلى غير ذلك من التهم الباردة.
فجمدت العقول وتحجرت، وأصبح الإيمان بأنّ الزواج بالمكتوب ، والطلاق بالمكتوب
، وحتى الزنا فهو مكتوب ، إذ يقولون مكتوب على كلّ فرج اسم ناكحه ، وكذلك شرب
الخمير ، وقتل النفس ، وحتى الأكل والشرب فلا تأكل ولا تشرب إلاّ ما كتب الله لك!
قلدّبعض علمائنا بعد استعراض كلّ هذه المسائل إنّ القرآن يكذب هذه المزاعم ،
ولا يمكن للحديث أن يناقض القرآن! قال تعالى في شأن **الْوَالِدَاتُ لِآبَائِكُنَّ** (وَأُمَّهَاتِكُنَّ لَكُمْ
مِنْ أَلْفِ مَاءٍ) (لهذا يدلّ على حرمة الاختيار.
وفي شأن **الطَّلَاقِ إِذَا تَعَنَّيْتُمْ فُوفُوا أَوْ تَسْرِعُوا بِأَحْسَنِ** (٢) وهو
أيضاً اختيار.

١. النساء : ٣ .

٢. البقرة : ٢٢٩ .

وَلَا تَقْرُوبِيهِ الْوُطَا أَفْوَالًا نَا (إِنَّهُ كَمَا نَفَّحَ شَيْئَةً وَسَمَاءَ سَبِيلًا) ^(١)، وهو أيضاً دليل الاختيار.

يَدُ الشَّمْسِيِّ طَاغُتُ الْمُنْزِلِ قَالُوا قَاتِلْ مَا يَمُرُّ بِكُمْ الْعِدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ مَرٍ مَرٍ وَيَصُدُّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ^(٢) وهي أيضاً تنهى بمعنى الاختيار.

أما قتل النفس فقد نُزِلَ فِيهَا سَبْرٌ (لَا تَنْتَقِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ) ^(٣) وقال عَمَّ إِذَا فَجَّرَ نَوْمَ لَيْلٍ هِيَ جَهَنَّمُ لَكُمْ مَوْجٌ مَلَأَ مَفْطِيحَهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا عَظِيمًا ^(٤)، فهذه أيضاً تفيد الاختيار في القتل.

وحق بخصوص الأكل والشرب، فقد رسم لنا حدوداً وَفَعَلُوا: (أَشْرَبُوا وَ لَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) ^(٥)، فهذه أيضاً بالاختيار.

فكيف ياسبى لدي بعد هذه الأدلة القرآنية بأن كل شيء من الله والعبد مسير في كل أفعاله؟

١. الإسراء : ٣٢ .

٢. المائدة : ٩١ .

٣. الأنعام : ١٥١ .

٤. النساء : ٩٣ .

٥. الأعراف : ٣١ .

أجابني: الله سبحانه هو وحده الذي يتصرف في الكون، واستدل بقوله: (قُلِ
اللَّهُمَّ مَا لَكَ الْمَلِكُ تُوِّبِي الْمَلِكَ هَمِّنِي تَشَاءُ وَوَتَنْزِعِ الْمُلْنَ تَشَاءُ وَتُدَلُّ مَنْ تَشَاءُ
بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلِيمٌ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (١).

قلت لا خلاف بيننا في مشيئة الله سبحانه وإذا شاء الله أن يفعل شيئاً فليس
بإمكان الإنس والجن ولا سائر المخلوقات أن يعارضوا مشيئته، وإنما اختلافنا في أفعال العباد
هل هي منهم أم من الله؟

أجابني: لكم دينكم ولي ديني، وأغلق باب النقاش بذلك.

هذه هي في أغلب الأحيان حجة علماءنا وأذكر أنني رجعت إليه بعد يومين وقلت
إله كان اعتقادك أن الله هو الذي يفعل كل شيء وليس للعباد أن يفعلوا أي شيء،
فلماذا لا تقول في الخلافة نفس القولين الله سبحانه هو الذي يخلق ما يشاء ويختار ما
كان لهم الخيرة؟

فقال: نعم أقول بذلك لأن الله هو الذي اختار أبا بكر ثم عمر ثم عثمان ثم
علي ولو شاء الله أن يكون علي هو الخليفة الأول ما كلفنا الجن والإنس بقاديرين على منع
ذلك.

قلت: الآن وقعت؟

١. آل عمران: ٢٦.

وكذلك سيّدنا الحسين قد علم رسول الله ﷺ بمقتله في كربلاء وجدّث أمّ سلمة بذلك،
كما علم بأنّ سيّدنا الحسن سيصلح الله ﷻ به فرقتين عظيمتين من المسلمين فكلّ شيء
مسطر ومكتوب في الأزل وليس للإنسان مفرّ ، وبهذا أنت الذي وقعت لا أنا.
سكتُ قليلاً أنظر إليه وهو مزهو بهذا الكلام ظنّ أنّه أفحمني بالدليل؛ كيف لي
أن أقنعه بأنّ علم الله ﷻ بالشيء لا يفيد حتماً بأنّه هو الذي قدّره وأجبر الناس عليه ، وأنا أعلم
مسبقاً بأنّ فكره لا يستوعب مثل هذه النظرية.
سألته من جديد إذاً: فكلّ الرؤساء والملوك قديماً وحديثاً والذين يحاربون الإسلام
والمسلمين نصّ بهم الله ﷻ .
قال : نهج بدون شكّ .

قلت حتى الاستعمار الفرنسي على تونس والجزائر والمغرب هو من الله ﷻ ؟ قال : بلى
لم ، ما جاء الوقت المعلوم خرجت فرنسا من تلك الأقطار.
قلت سبّحانه الله فكيف كنت تدافع سابقاً عن نظرية أهل السنّة بأنّ رسول الله ﷺ
صلى الله عليه وآله وسلم مات وترك الأمر شورى بين المسلمين ليختاروا من يشاءون؟
قال : نعم ولا زلت على ذلك وسأبقى على ذلك إن شاء الله ﷻ !

قلت : فكيف توفّق بين القولين اختيار الله ، واختيار الناس بالشورى؟
قال: أنّ المسلمين اختاروا أبا بكر فقد اختاره الله !
قلت : أنزل عليهم الوحي في السقيفة يدلّهم على اختيار الخليفة؟
قال أنستغفر الله ليس هناك وحي بعد محمّد كما يعتقد الشيعة! (والشيعة كما هو
معروف لا يعتقدون بهذا ، وإنما هي تهمة ألصقتها بهم أعداؤهم)^(١).

١ . أتهم صاحب كتاب كشف الجاني : ١٥٨ الشيعة بأنهم تؤمن بوجود الوحي بعد النبي
صلى الله عليه وآله وسلم ، وأخذ يستهزئ بما ذكره المؤلف من أنّ الشيعة لا تؤمن بوجود وحي بعد النبي
صلى الله عليه وآله وسلم.

ولإيضاح المسألة للقارئ نقلت الأمانة الإسلامية بجميع طوائفها شيعة وسنة على أن رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين ، وأنّ شريعته ودينه خاتم الأديان والشرائع ، وأدّاه لا وحي
بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

قال الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة : الخطبة ١٢٩ : « أرسله على حين فترة من الرسل
وتنازع من الألسن ، فقضى به الرسل ، وختم به الوحي ».

وقال عليه السلام كما في خطبته الأولى من النهج إلى أن بعث الله محمّداً لإنجاز عدته وإتمام
نبوته .»

إلى غير ذلك من النصوص الكثيرة المؤكّدة لهذا الأمر .

وهناك أمر آخر لا بدّ من بيانه ، وهو : إنّ الوحي ينزل بالرسالة السماوية وهو جبرائيل
عليه السلام يختلف عن رؤية الملائكة أو الموجودات السماوية

الملكوية ، فليجاء الرسالة لا ينزل ولا يأتي إلاّ للأنبياء المرسلين المأمورين بتبليغ شرائع الله ، وما أنّ آخر الأنبياء نبيّنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقد ختمت رسالته جميع الرسائل ، فلا يوجد وحى بعدها ولا تأتي رسالة سماوية أخرى ، ولكلك عباد صالحون وأئمة مطهرون معصومون يرون الملائكة ويحدّثونهم ويتعلّمون منهم ، وهذا شيء لا ربط له لواحى الخاصّ الذي ينزل بالرسالة السماوية ، والقرآن شاهد على ذلك ، فهذه مريم عليها السلام ملكاً ييشّرها بعيسى عليه السلام هي ليست نبيّة ، ورأت زوجة إبراهيم عليه السلام الملك وبشّرها بإسحاق ويعقوب ، ورأت زوجة لوط الملائكة وأخبرت قومها بهم ، ورأى السامري الملك وأخذ قبضة من أثره ، مع أنّ هؤلاء جميعاً ليسوا أنبياء .

وجاء في صحيح مسلم ٧ : ٧٢ ، كتاب الفضائل ، باب قتال جبريل وميكائيل عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد : « عن سعد بن أبي وقاص قال رأيت عن يمين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض ما رأيتهما قبل ولا بعد ، يعني جبرئيل وميكائيل عليهما السلام . »

قال النووي : وفيه فضيلة الثياب البيض ، وأنّ رؤية الملائكة لا تختصّ بالأنبياء ، بل يراهم الصحابة والأولياء ، وفيه منقبة لسعد ابن أبي وقاص الذي رأى الملائكة « ١ : ٦٦ .

وجاء في صحيح البخاري ٤ : ٢٠ كتاب المناقب ، باب مناقب عمر عن أبي هريرة قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس محدّثون ، فإن يك في أمتي أحد فإنّه عمر . »

قال ابن حجر في شرحه للرواية : « قوله بمحدّثون ، بفتح الدال ... قالوا

المحدّث بالفتح هو الرجل الصادق الظنّ ، وهو من أُلقي في روعه شيء من قبل الملائكة الأعلى ... وقيل مكلمّ ، أي تكلمه الملائكة بغير نبوة ، وهذا ورد في حديث أبي سعيد الخدري ... ولفظه : قبيلا يزسول الله وكيف يحدث؟ قال : تتكلم الملائكة على لسانه ، رويناه في فوائده الجوهرية « فتح الباري ٧ : ٦٢ كتاب فضائل أصحاب النبي ، في مناقب عمر .

وذكر القسطلاني في إرشاد الساري ٨ : ٢٠٤ نحوه وقال : « وليس قوله : فإن يكن ، للترديد ، بل للتأكيد ، كقولك : إن يكن لي صديق ففلان ، إذ المراد اختصاصه بكمال الصداقة لا نفي الأصدقاء ، وإذا ثبت أنّ هذا وجد في غير هذه الأمة المفضولة فوجوده في هذه الأمة الفاضلة أخرى .»

وقال المناوي : ٦٠٩٧ : « وقد كان فيما مضى قبلكم من الأمم ... أناس محدّثون ، قال القرطبي : الرواية بفتح الدال اسم مفعول جمع محدّث بالفتح ، شيء على وجه الإلهام والمكاشفة من الملائكة الأعلى ... أو تكلمه الملائكة بلا نبوة . ومعنى هذا الخبر قد تحقق ووجد في عمر قطعاً ، وإن كان النبي لم يجزم بالوقوع ، دلّ على وقوعه لعمر أشياء كثيرة » فيض القدير في شرح الجامع الصغير ٦ : ٦٦٤ .

إلى غير ذلك من الروايات الكثيرة وكلمات علماء السنة التي تصرّح بأنّ عمر بن الخطاب محدّث ، تحدّثه الملائكة ، لا أنّه يراها فقط .

فإذا كان الهذروايات عند أهل السنة تصرّح بذلك ، فلا معنى لإلقاء التهم على الشيعة والطعن فيهم والتحامل عليهم بأنهم لا يؤمنون بانقطاع الوحي ، فإن كان تحديث الملائكة لشخص يعني عدم الإيمان بانقطاع الوحي ، فهذا مشترك بين السنة والشيعة ؛ لأنّه كما توجد روايات عند الشيعة بتحديث

قلت : دعنا من الشيعة وأباطيلهم ، واقنعنا بما عندك كيف علمت بأنَّ الله َّ اختار أبا

بكر؟

قللو أراد الله َّ خلاف ذلك لما تمكَّن المسلمون ولا العالمون خلاف ما يريد الله َّ

تعالى؟

عرفت َّ حينئذ أن هؤلاء لا يفكِّرون ولا يتدبِّرون القرآن ، وعلى رأيهم سوف لن تستقيم أيَّة نظرية فلسفية أو علمية .

وهذا يذكرني بقصة أخرى كنت أمشي مع صديق في حديقة كان بها نخل كثير ، وكنت أحدُّته في القضاء والقدر ، فسقطت فوق رأسي ثمرة ناضجة أخذتها من فوق الحشائش لأكلها وضعتها في َّ .

تعجَّب صديقي قائلاً : لا تأكل إلا ما كتبه الله َّ لك ! هذه التمرة سقطت باسمك .

الملائكة لأئمة أهل البيت ، فكذلك توجد روايات عند أهل السنة بتحديث الملائكة لعمر ، وإن كان تحديث الملائكة لشخص يختلف عن معنى الوحي والرسالة فهذا ما تؤمن به الشيعة أيضاً من أن الوحي والرسالة شيء وهو قد ختم بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، والتحديث شيء آخر يختلف عنه ، فلا داعي للتشنيع على الشيعة بأمر هو موجود على أهل السنة ومروي في أصح كتبهم ، بل تجاوز أهل السنة الحدَّ في ذلك حيث جعلوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم خير عالم بأنَّ عمر بن الخطاب محدَّث من قبل الملائكة ، ولذا أخبر على نحو التعليق لا الجزم!!

قلت : ما دمت تؤمن بأنها مكتوبة فسوف لن أكلها ، ولفظتها.
قال سبحانه الله إذا كان الشيء غير مكتوب لك يُرجه الله حتى من بطنك.
قليلًا نساكلها والتقطتها من جديد لأثبت بأبي محير في أكلها أو تركها ، بقي
صديقي يرقبني حتى مضغتها وابتلعها ، عند ذلك قال هي والله كاتبة لك (يقصد كتبها
الله إليك) وانتصر علي بتلك الطريقة؛ لأنه لا يمكن لي بعد ، أن أخرج التمرة من جوفي.
نعم ، هذه عقيدة أهل السنة في خصوص القضاء والقدر ، أو قل : هذه عقيدتي
عندما كنتُ سنياً .

وم الطبيعي أن أعيش بهذه العقيدة مشوش الفكر بين المتناقضات ، ومن الطبيعي
أن نبقى في جمود دائم ومنتظر أن يغير الله ما بنا عوض أن نغير نحن ما بأنفسنا لكي يغير الله
ما بفلتهر ب من المسؤولية التي تحم لناها ونلقي بها عليه سبحانه ، فإذا قلت للزاني أو
للسارق أو حتى للمجرم الذي اغتصب فتاة قاصرة وقتلها بعد شهوته فسيجيبك الله غالب
قله ربي سبحانه هذا الرب الذي يأمر الإنسان بدفن ابنته ثم يسأله بأي ذنب قتلت؟!
سبحانك إن هذا إلا بختان عظيم!

ومن الطبيعي أن يزدري بنا علماء الغرب ويضحكون لسخافة

عقولنا ، بل وينزوننا بالألقاب فيسمونه «مكتوب العرب» ويجعلونه سبياً رئيسياً لجهلنا وتخلّفنا.

ومن الطبيعي أيضاً أن يعرف الباحثون بأنّ هذا الاعتقاد نشأ من حكّام الدولة الأموية الذين كانوا يروّجون بأنّ الله سبحانه هو الذي أعطاهم الملك وأمّرهم على رقاب الناس ، نجيب على الناس إطاعتهم وعدم التمرد عليهم أنّ مطيعهم مطيع لله ، والخارج عليهم هو متمرد على الله يجب قتله ، ولنا في ذلك شواهد عديدة من التاريخ الإسلامي :

فهذا عثمان بن عفّان عندما يطلبون منه أن يعتزل يرفض ويقول : لا أخلع قميصاً قمّصنيه الله^(١) ، فعلى رأيه الخلافة هي لباس له وقد ألبسه الله إياه ، فلا ينبغي لأحد من الناس أن ينزعه عنه إلاّ الله سبحانه ، يعني بالوفاء.

وهذا معاوية أيضاً يقول إني لم أقاتلكم لتصوموا ولتتركوا وإنما قاتلتكم لأنتم ر عليكم وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون^(٢).

فهذا ينهب شوطاً أبعد من عثمان أنّه يتّهم ربّ العزة والجلالة

١. تاريخ الطبري ٣ : ٤٠٥ .

٢. المصنّف لابن أبي شيبة ٧ : ٢٥١ ح ٢٣ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦ : ٤٦ ، تاريخ دمشق ٥٩

: ١٥٠ ، البداية والنهاية ٨ : ١٤٠ .

بأذنه أعانه على قتل للملّمين ليتأمّر عليهم ، وخطبة معاوية مشهورة .
وحتى في اختياره ليزيد ابنه وتوّلّيه على الناس رغم أنوفهم ، فقد ادّعى معاوية أن الله
هو الذي استخلف ابنه يزيداً على الناس ، وفللولّه المورّثون وعندما كتب بـيعته إلى
الآفاق ، وكان عامله على المدينة مروان بن الحكم فكتب إليه يذكر الذي قضى الله به
على لسانه من بيعة يزيد^(١) .

وكذلك فعل ابن زياد الفاسق عندما أدخلوا عليه عليّاً زين العابدين مكبّاً بالأغلال ،
فسأل قائلاً : من هذا؟ فقالوا عليّ بن الحسين! فألم يقتل الله عليّ بن الحسين ،
فأجابته زينب عمّ بملّ: قتله أعداء الله وأعداء رسوله .

فقال لها ابن زيا كيف رأيت فعل الله بأهل بيتك .

قالت ما رأيت إلا جملاً ، قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم ،
وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاجّ وتخاصم ، فانظر لمن الفلج يومئذ ثكلتك أمّك يا ابن
مرجانة^(٢) .

وهكذا تفشّى هذا الاعتقاد من بني أمية وأعوانهم وسرى في

١ . الإمامة والسياسة ١ : ٢١٠ (في قدوم معاوية المدينة) .

٢ . صدر الحديث في مقاتل الطالبين : ٨٠ عن يزيد ، وذيله في مثير الأحرار لابن نما : ٧١ ، البحار ٤٥ :

١١٥ عن ابن زياد .

الأُمَّةَ الإسلاميَّةَ ، عدا شيعة أهل البيت.

عقيدة الشيعة في القضاء والقدر :

وما إن عرفتُ علماء الشيعة أنَّ كتبهم حتى اكتشفتُ علماً جديداً في القضاء والقدر.

وقد أوضحه الإمام علي عليه السلام بأوضح بيان وأشمله ، إذ قال لمن سأله عن القضاء والقدر :

« ولعلَّكَ ظننتَ قضاءً لازماً وقدرًا حاتماً ، ولو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب ، وسقط الوعد والوعيد.

إن الله سبحانه أمر عباده تخييراً ، ونهاهم تحذيراً ، وكلف يسيراً ، ولم يكلف عسيراً ، وأعطى على القليل كثيراً ، ولم يُعصَ مغلوباً ، ولم يُطعْ مُكرهاً ، ولم يرسل الأنبياء لعباً ، ولم ينزل الكتب للعباد عبثاً ، ولا خلق السماوات والأرض وما بينهما بظلالٍ. (ظَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَفَرُوا وَأَفْوَى يَوْمَ يَلُوكُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ النَّارِ ...)^(٢).

فما أوضحه من بيان ، وما قرأت في الموضوع كلاماً أبلغ منه ،

١ . كالسليقر لمصدر طيب الله ثراه الذي أفادني كثيراً في هذا الموضوع ، وكالسيد الخوئي والسيد محمد علي الطباطبائي والسيد الحكيم وغيرهم (المؤلف).

٢ . نهج البلاغة ٤ : ١٧ ، الخطبة ٧٨.

وبرهاناً أدل على الحقيقة منه ، فالمسلم يقتنع بأن أعماله هي من محض إرادته واختياره ، لأن الله سبحانه أمرنا بترك لنا حرية الاختيار ، وهو قول الإمام : إن الله أمر عباده تخييراً .»

كما أنه سبحانه نهانا وحذرنا عقاب مخالفته فدل كلامه على أن للإنسان حرية التصرف وبإمكانه أن يخالف أوامر الله ، وفي هذه الحالة يستوجب العقاب ، وهو قول الإمام : «ونهاهم تحذيراً» .

وزاد الإمام علي عليه السلام توضيحاً للمسألة فقال بأن الله سبحانه لم «عص مغلوباً على ذلك بأن الله لو أراد جبراً عباده وإرغامهم على شيء لم يكن بمقدورهم جميعاً أن يغلبوه على أمردل ذلك على أنه ترك لهم حرية الاختيار في الطاعة والمعصية ، **وَقُلِ الْحَقُّ مِمِّصِدَاقِي بَلَقِيكُمْ عَالِمًا: (نُ شَاءَ فَلْيُؤْمِنُ وَ مَنُ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ) (١)** .

ثم بعد ذلك يخاطب الإمام علي ضمير الإنسان ليصل إلى أعماق وجدانه ، فيأتي بالدليل القاطع على أنه لو كان الإنسان مجبوراً على أفعاله . كما يعتقد البعض . لكان إرسال الأنبياء وإنزال الكتب ضرباً من اللعب والعبث الذي ينتزه الله جل جلاله عنه؛ لأن دور الأنبياء سلام الله عليهم أجمعين وإنزال الكتب هو لإصلاح الناس ،

١ . الكهف : ٢٩ .

وإخراجهم من الظلمات إلى النور ، وإعطائهم العلاج النافع لأمراضهم النفسية ، وتوضيح الطريقة المثلى للحياة السعيدة ، قال تعالى : **(إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ)** (١) .
ويجتم الإمام عليّ بيانه بأنّ الاعتقاد بالجبر هو نفس الاعتقاد بخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً وهو كفرٌ توعّد الله القائلين به بالنار .

وإذا محّصنا قول الشيعة في القضاء والقدر وجدناه قولاً سديداً ورأياً رشيداً ، فبينما فرّط طائفة فقالت بالجبر ، وأفرطت أخرى فقالت بالتفويض ، جاء أئمة أهل البيت سلام الله عليهم ليصحّحوا المفاهيم والمعتقدات ، ويرجعوا بهؤلاء وأولئك ، فقالوا : « لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين » (٢) .

وقد ضرب الإمام جعفر الصادق لذلك مثلاً ميسّطاً يفهمه كلّ الناس وعلى قدر عقولهم ، فقال للسائل عندما سأله : ما معنى قولك : « لا جبر ولا تفويض ولكن رأياً بين أمرين »؟ أجابه عليه السلام : « ليس مشيئتك على الأرض كسقوطك عليها » .
ومعنى ذلك أنّنا نمشي على الأرض باختيارنا ، ولكننا عندما

١ . الإسراء : ٩ .

٢ . الكافي : ١ : ١٦٠ ح ١٣ ، التوحيد للصدوق : ٣٦٢ ح ٨ .

نسقط على الأرض فهو بغير اختيار فنظرنا من أي جانب السقوط الذي سبب كسر بعض الأعضاء من جسمنا فنصبح معاقين.

فيكون القضاء والقدر أمراً بين أمرين ، أي قسم هو من عندنا وباختيارنا ونحن نفعله بمحض إرادتنا ، وقسم ثان هو خارج عن إرادتنا ونحن خاضعون له ، ولا نقدر على دفعه ، فدحاسب على الأول ، ولولا نحاسب على الثاني.

والإنسان في هذه الحالة مخير ومسيّر في نفس الوقت :
أ. مخير في أفعاله التي تصدر منه بعد تفكير ورويّة إذ يمرّ بمرحلة التخيير والصراع بين الإقدام والإحجام وينتهي به الأمر إما بالفعل أو الترك ، وهذا ما أشار إليه سبحانه بقوله
وَنَفْسٍ (وَفَأَلَّامَهُ هَاهُنَا فُلُجٌ وَرَهَامًا وَتَقَوُّدَاهَا أَفْلَحٌ مِّنْ وَرَقْدَاهَا خَابٌ مِّنْ دَسَاهَا
(^١).

فالتزكية للنفس والدس لها هما نتيجة اختيار الضمير في كل إنسان . كما أن الفلاح والخيبة هما نتيجة حتمية وعادلة لذلك الاختيار.

سبب ريم بكل ما يحيط به من نواميس الكون وحركته الخاضعة كلها لمشية الله سبحانه بكل أجزائها ومركباتها وأجرامها وذراتها ،

١. الشمس : ٧ . ١٠ .

فالإنسان ليس له أن يختار جنسه من ذكورة وأنوثة ، ولا أن يختار لونه ، فضلاً عن اختيار أوبئه ليكون في أحضان أبوين موسرين بدلاً من أن يكونوا فقراء ، ولا أن يختار حتى طول قامته وشكل جسده.

فهو خاضع لعدّة عوامل قاهرة (كالأمرض الوراثية مثلاً) ولعدّة نوااميس طبيعيّة تعمل لفائدته بدون أن يتكلّف ، فهو ينام عندما يتعب ، ويستيقظ عندما يرتاح ، ويأكل عندما يجوع ، ويشرب عندما يعطش ، ويضحك وينشرح عندما يفرح ، ويبكي وينقبض عندما يحزن وفي داخله معامل ومصانع تصنع الهرمونات والخلايا الحيّة والنطفة القابلة للتحوّل وتبني في نفس الوقت جسمه في توازن منسّق عجيب وهو في كلّ ذلك غافل لا يدري بالنعناية الإلهيّة محيطة به في كلّ لحظة من لحظات حياته بل وحتى بعد مماته! يقول الله عزّ وجلّ في هذا المعنى :

أَيُّسَابُ الْإِنْسَانِ أَنْ يُظْمِرَ لَكَ نُطْفَةً مِنْ مَنِّيَ يَمْثُلُ كَمَا نَافَعَلَقَةً فَخَلَقَ
فَسَفَحُوهُ قَوْلُ جَمِينَهُ الَّذِي كَيْسَ وَذَلَالَتِي بِقَادِرِ عَلِيٍّ أَنْ يُجِيِبِي الْمَوْتِي (١).
سيحللني ويحمدك ربّنا الأعلى أنت الذي خلقت فسوّيت وأنت الذي
قدّرت وفهّيت الذي أمّنت ثمّ أحّيت بيتاً ، تباركت

١. القيامة : ٣٦ - ٤٠.

وتعاليت ، فتعساً وبعداً لمن خالفك ونأى عنك ولم يقدرك حقّ قدرك.
ولنختّم هذا البحث بما قاله الإمام علي بن موسى الرضا ، وهو الإمام الثامن من أئمة
أهل البيت عليهم السلام ، وقد اشتهر بالعلم في عهد المأمون ، ولم يبلغ الرابعة عشر من
عمره حتىّ كان أعلم أهل زمانه.
سأله سائل عن معنى قول جدّه الإمام الصادق : « لا جبر ولا تفويض بل أمرٌ بين
أمرين » فأجابه الإمام الرضا :
«هم أن الله يفعل أفعالنا ثمّ يعذبنا عليها فقد قال بالجبر ، ومن زعم أن الله
فوض أمر الخلق والرزق إلى حُججه . أي الأئمة . فقد قال بـالتفويض ، والقائل بالجبر كافرٌ ،
والقائل بالتفويض مشركٌ .
أمّا معنى الأمر بين الأمرين فهو وجود السبيل إلى إتيان ما أمر الله به ، وترك ما نهى
عنه إنّ الله سبحانه أقدره على فعل الشرّ وتركه ، كما أقدره على فعل الخير وتركه ،
وأمره بهذا ونهاه عن ذلك »^(١) .
وهذا لعمري بيان كافٍ وشافٍ على مستوى العقول ويفهمه كلّ الناس من المثقفين
وغير المثقفين .

وصدق رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم إذ قال في حقّهم :

١ . عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢ : ١١٤ ح ١٧ ، الاحتجاج للطبرسي ٢ : ١٩٨ .

«لا تتقدّموهم فتهلكوا ، ولا تقصروا عنهم فتهلكوا ، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم
»^(١).

تعليقة على الخلافة ضمن القضاء والقدر :

الطريف في هذا الموضوع أنّ أهل السنّة والجماعة رغم اعتقادهم بالقضاء والقدر
الحقّينيّ الله سبحانه هو الذي يسيّر عبادَه في أعمالهم ، وليس لهم الخيرة في شيء ،
ولكنّهم في أمر الخلافة يقولون بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مات وترك الأمر
شورى بين الناس ليختاروا لأنفسهم.

والشيعة على العكس تماغرّم اعتقادهم بأنّ الإنسان محيّر في أعماله ، وأنّ عباد
الله يفعلون ماشاؤوا (ضمن مقولة لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين) إلاّ أنّهم في
أمر الخلافة يقولون بأنّه لا حقّ لهم في الاختيار!
ويبدو هذا وكأنّه تناقض من الطرفين السنّة والشيعة لأوّال وهلة ولكنّ الحقيقة
ليست كذلك.

فالسنّة عندما يقولون بأنّ الله سبحانه هو الذي يسيّر عبادَه في أعمالهم يتناقضون مع
الواقع إنّ الله سبحانه (عندهم هو) المخير

١. مضيّ تحريجه فيما تقدّم.

الفعلي ، ولكنه يترك لهم الخيار الوهمي ، إذ أن الذي اختار أبا بكر يوم السقيفة هو عمر ثم بعض الصحابة ولكن في الحقيقة منفذون لأمر الله الذي جلهم واسطة ليس إلا ، على حساب هذا الزعم.

وأما الشيعة عندما يقولون بأن الله سبحانه خير عباده في أفعالهم ، فلا يتناقضون مع قولهم بأن والخلافة هي بالخيار ما الله يشاءه (وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ) (١) ؛ لأن الخلافة كالنبوة ليست هي من أعمال العباد ولا موكلة إليهم كما أن الله يصطفي رسوله من بين الناس ويعتبه فيهم ، فكذلك بالنسبة لخليفة الرسول ، وللناس أن يطيعوا أمر الله ولهم أن يعصوه، كما وقع بالفعل في حياة الأنبياء وعلى مر العصور ، فيكون العباد أحراراً فيوحي اختيار الله فالمؤمن الصالح يقبل ما اختاره الله والكافر بنعمة ربه يرفض ما اختاره الله له ويتمرد عليه ، قال تعالى :

فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْغَبُ ۗ وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ مَا نَبَّإْتُهُ لَعْنَةُ اللَّهِ الْكٰفِرِيْنَ ۗ
وَلَا يَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ۗ فَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَا مَسْجِدَ لَهُمْ لِمَا ظَلَمُوا ۗ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضَلَّلُونَ ۗ
آيَاتِنَا فَنَسِيْتَهَا وَكَذٰلِكَ الْيَوْمَ تُنٰسَىٰ (٢)

١. القصص : ٦٨ .

٢. طه : ١٢٣ - ١٢٦ .

ثمّ انظر إلى نظرية أهل السنّة والجماعة في هذه المسألة بالذات فسوف لن تُلقي باللّوم على أحلّائنا كلّ ما وقع ويقع بسبب الخلافة وكلّ الدماء التي أريقّت والمحارم التي هُتكت كلّ ذلك من الله ، حيث عقب بعض من يدعي العلم منهم بقوله تعالى **وَ (لَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلْنَاهُ) (١)**.

أمّا نظريّةنا فهي تحمّل المسؤولية كلّ من تسبّب بالانحراف وكلّ من عصى أمر الله ، وكلّ على قدر وزره ووزر من تبع بدعته إلى يوم القيامة «كلّكم راع وكلّكم مسؤول عن رعيته» **(٢) وَقَلْبِ فُتُوهِمْ: (إِنَّهُمْ مَسْؤُورُونَ) (٣)**.

١. الأنعام : ١١٢ .

٢ . بحار الأنوار ٧٢ : ٣٨ ، صحيح البخاري ١ : ٢١٥ ، كتاب الحجّة ، باب ما يقرأ في صلاة الضحى ، صحيح مسلم ٦ : ٨ ، كتاب الامارة ، باب فضيلة الإمام .

٣ . الصافات : ٢٤ .

الخمس

وهو أيضاً من المواضيع الذي يختلف فيه الشيعة والسنة ، وقبل الحكم لهم أو عليهم

لابد لنا من بحث موجز في موضوع الخمس : ولنبدأ بالقرآن الكريم. قال تعالى: **(عَلِّمُوا**

ءَ فَاِنَّ لِلّٰهِ خُمُّهُمَّ بِمِغْرَمِهِمْ لِيُؤْتِيَهُمْ مِّنْهُ مَوْلًىٰ ذُوًۢا لِّدِي الْقُرْبٰى وَ الْيَتٰى مٰمٰى وَ الْمَسٰىكِيْنِ وَ اٰبِىۡنَ السَّبِيْلِ ..
(^١) .

وقد قال رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم :

«أمركم بأربع الإيمان بالله ﷻ ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصيام رمضان ، وأن

تؤدوا لله ﷻ خمس ما غنمتم» (^٢) .

فالشيعة امتثالاً لأمر رسول الله ﷻ صلى الله عليه وآله وسلم رجّون خمس ما حصلوا

عليه من أموال طيلة سنتهم ويفسّرون معنى غلّيمة بكلّ ما يكسبه الإنسان من أرباح

بصفة عامّة .

أمّا أهل السنة والجماعة فقد أجمعوا على تخصيص الخمس

١ . الأنفال : ٤١ .

٢ . صحيح البخاري ٢ : ٤٤ ، كتاب فرض الخمس ، باب أداء الخمس من الدين .

بغنائم الحرب فقط ونفسه^١ روا قوله وسبلحائه وقولنا ما فؤدنا تم من شبيء) يعني ما حصه لتم خلال الحرب.

هذه خلاصة أقوال الفريقين في الخمس موقد كتب علماء الفريقين عدة مقالات في

المسألة.

ولست أدري كيف أقدم نفسي أو غيري بآراء أهل السنة التي اعتمدت . على ما أظن
- أقوال الحكماء من بئمة ، وعلى رأسهم معاوية بن أبي سفيان الذي استأثر بأموال
المسلمين يخص نفسه وحاشيته بكل صفراء وبيضاء.

فلا غرابة في تأويلهم لآية الخمس على أنها خاصة بدار الحرب؛ لأن سياق الآية
الكريمة جاء ضمن آيات الحرب والقتال ، وهم من تأويل للآيات على سياق ما قبلها أو
مابعدا.

هم فيقولون مثلاً آية إذهاب الرجس والتطهير على أنها خاصة بنساء النبي؛ لأن
ما قبلها وما بعدها يتكلم عن نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَكُونُونَ عِدَاؤَ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَكُونُونَ عِدَاؤَ اللَّهِ
فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (لغلى أنها خاصة في أهل الكتاب.

وقصة أبي ذر الغفاري (رضي الله عنه) مع معاوية وعثمان بن عفان ونفيه إلى

١. التوبة : ٣٤.

الريذة من أجل ذلك مشهوراً إذ أنه عاب عليهم كنزهم الذهب والفضة وكان يحتج بهذه الآية عليهم لكن عثمان استشار كعب الأحبار عنها فقال له بأنها خاصة بأهل الكتاب ، فشتمه أبو ذر الغفاري وقائلكك أم لك يا ابن اليهودية أو تعلمنا ديننا؟ فغضب لذلك عثمان ثم نفاه إلى الريذة بعدما تعاضم انزعاجه منه ، فمات هناك وحلياً طريداً لم تجد ابنته حتى من يغسل له ويكفنه^(١).

وأهل السنة والجماعة لهم في تأويل الآيات القرآنية والأحاديث النبوية فن معروف وفقه مشهور ذلك اقتداء بما تأو له الخلفاء الأ ولون ، والصحابة المشهورون في خصوص النصوص الصريحة من الكتاب والسنة^(٢).

ولمونا استقصاء ذلك لاستوجب كتاباً خاصاً ، ويكفي الباحث

١ . نحوه باختلاف في مسند أحمد ١ : ٤٣ و صححه محقق الكتاب الشيخ أحمد شاكر وقال : « وذكره الهيئمي في مجمع الزوائد ١٠ : ٢٣٩ ولم يعله إلا بابن لهيعة ، وابن لهيعة ثقة . ولأبي ذر حديث آخر في معناه سيأتي في مسنده ٥ : ١٤٩ ، وهو في مجمع الزوائد ٣ : ١٢٠ و ١ : ٢٢٥ . »
وراجع : البحار ٣١ : ٢٧٣ .

٢ . جمع السيف في الدين في كتابه النص والاجتهاد أكثر من مائة مورد تأو لها فيها النصوص الصريحة ، فعلى الباحثين قراءة هذا الكتاب لأنه ما جمع إلا ما أخرجه علماء السنة معترفين بصحته (المؤلف) .

أن يرجع إلى كتاب «النص» والاجتهاد لمعرفة كيف يتلاعب المتأولون بأحكام الله سبحانه.

وأنا كباحث ليس لي أن أتأول الآيات القرآنية والأحاديث النبوية حسب ما أهوى ، أو حسب ما يميل عليه المذهب الذي أميل إليه. ولكن ما حيلتي إذا كان أهل السنة والجماعة هم الذين أخرجوا في صحاحهم فرض الخمس في غير دار الحرب ، ونقضوا في ذلك تأويلهم ومذهبهم.

فقد جاء في صحيح البخاري في باب «في الركاز الخمس» : وقال مالك وابن إدريس الركازُ دفنُ الجاهلية ، في قليله وكثيره الخمس ، وليس المعدنُ بركاز ، وقد قال رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم في المعدن : «بار» وفي الركاز الخمس»^(١). وجاء في باب ما يستخرج من البحر وقال ابن عباس رضي الله عنهما ليس العنبرُ بركاز شيء دسره البحرُ وقال الحسنُ في العنبرِ واللؤلؤِ الخميلاً فما جعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الركاز الخمس ليس في الذي يصابُ في الماء^(٢). والباحثُ يفهم من خلال هذه الأحاديث بأن مفهوم الغنيمة التي

١. صحيح البخاري ٢ : ١٣٦ ، كتاب الزكاة ، باب في الركاز الخمس.

٢. صحيح البخاري ٢ : ١٣٦ ، كتاب الزكاة ، باب ما يستخرج من البحر.

أوجب الله فيها الخمس لا تختص بدار الحرب لأن الركاك الذي هو كنز يستخرج من باطن الأرض ، وهو ملك لمن استخرجه ولكن يجب عليه دفع الخمس منه لأنه غنيمة، كما أن الذي يستخرج العنبر واللؤلؤ من البحر يجب عليه إخراج الخمس؛ لأنه غنيمة.

وبما أخرجه البخاري في صحيحه يتبين لنا أن الخمس لا يختص بغنائم الحرب.

فرأى الشيعة يبقى دائماً مصداق الحقيقة التي لا تناقض فيها ولا اختلاف ، وذلك لأنهم يرجعون في كل أحكامهم وعقائدهم إلى أئمة الهدى الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً بالذين هم عدل الكيتاب، بل من تمسك بهم ، ويأمن من لجأ إليهم.

على أنه لا يمكن لنا أن نعتمد على الحروب لإقامة دولة الإسلام ، وذلك يخالف سماحة الإسلام ودعوته للسلم فالإسلام ليس دولة استعمارية تقوم على استغلال الشعوب ونهب خيراتها، ما يحاول الغربيون إلصاقه بنا عندما يتكلمون عن نبي الإسلام بكل ازدراء ، ويقولون توسع بالقوة والقهر وبالسيف لاستغلال الشعوب!!

وبما أن المال هو عصب الحياة ، وخصوصاً إذا كانت نظرية الاقتصاد الإسلامي تقتضي إيجاد ما يسمي اليوم بالضمان

الاجتماعي لتضمن للمعوزين والعاجزين معاشهم بكرامة وشهامتاً لا يمكن لدولة الإسلام أن تعتمد على ما يخرجهم أهل السنة والجماعة من الزكاة ، وهي تمثل في أحسن الأحوال اثنين ونصف بالمائة وهي نسبة ضعيفة لا تقوم بحاجة الدولة من إعداد القوّّة ، ومن بناء المدارس والمستشفيات ، وتعبيد الطرق فضلاً عن أن تضمن لكل فرد دخلاً يكفي معاشه ويضمن حياته، كما لا يمكن لدولة الإسلام أن تعتمد على الحروب الدامية وقتال الناس؛ لتضمن بقاءها وتطور مؤسساتها على حساب المقتولين الذين لم يرغبوا في الإسلام.

فأئمة أهل البيت سلام الله عليهم كانوا أعلم بمقاصد القرآن، كيف لا وهم ترجمانه ، وكانوا يرسمون للدولة الإسلامية معالم الاقتصاد ، ومعالم الاجتماع لو كان لهم رأى يطاع. ولكن للأسف الشديد كانت السلطة والقيادة في يد غيرهم الذين اغتصبوا الخلافة بالقوّة والقهر ، وبقتل الصلحاء من الصحابة واغتيالهم ، كما فعل ذلك معاوية بوبدّ لوأحكام الله بما اقتضته مصالحهم السياسية والدنيوية بفضّلوا وأضلّوا ، وتركوا هذه الأمة تحت الحضيض لم تقم لها قائمة حتى يومنا هذا.

فبقيت تعاليم أهل البيت مجرد أفكار ونظريات يؤمن بها الشيعة

ولم يجدوا لتطبيقها من سبيل ، إذ أنهم كانوا مطاردين في مشارق الأرض ومغاربها ، وقد تتبّعهم الأمويون والعبّاسيون عبر العصور .

وما أن انقضت الدولتان وأوجد الشيعة مجتمعاً عملوا بأداء الخمس الذي كانوا يؤدّونه للأئمة سلام الله عليهم خُفية وهم الآن يؤدّونه إلى المرجع الذي يقلّدونه ، نيابة عن الإمام المهدي عليه السلام ، وهؤلاء يقومون بصرفه في أبوابه المشروعة ، من تأسيس حوزات علمية وممرّات خيرية ، ومكتبات عمومية ، ودور أيتام ، وغير ذلك من أعمال جليلة ، كدفع رواتب شهرية لطلبة العلوم الدينية والعلمية وغيرها .

ويكفي أن نستنتج من هذان علماء الشيعة مستقلّون عن السلطة الحاكمة؛ لأنّ الخمس يفي بحاجاتهم ويقومون بإعطاء كلّ ذي حقّ حقه .

أمّا علماء أهل السنّة والجماعة فهم عالية على الحكّام ، وموظفون لدى السلطة الحاكمة في البلاول للحاكم أن يقرّب من شاء منهم أو يبعّد ، حسب تعامله معه وإفنائهم فأطبع الخلع المـُ بذلك أقرب إلى الحاكم منه إلى مجرد عالم ! هذه بعض الآثار الوخيمة التي ترتّبت على ترك العمل بفريضة الخمس بمعناها الذي فهمه أهل البيت عليهم السلام .

التقليد

يقول الشيعة أهمّ ما فروع الدين ، وهي أحكام الشريعة المتعلقة بالأعمال العبادية :
كالصلاة ، والصيام ، والزكاة ، والحج ، فالواجب في أحكامها أحد الأمور الثلاثة :
أ . أن يجتهد وينظر الإنسان في أدلّة الأحكام إذا كان أهلاً لذلك .
ب . أو أن يحتاط في أعماله إذا كان يسعه الاحتياط .
ت . أو أن يقلّد المجتهد الجامع للشرائط ، بأن يكون يقلّده حيناً عاقلاً ، عادلاً ،
علماً ، صائناً لنفسه ، حافظاً لدينه ، مخالفاً لهواه ، مطيعاً لأمر مولاه .
والاجتهاد في الأحكام الفرعية واجب كفائي على جميع المسلمين ، فإذا تخض به من
اجتمعت فيه الشروط سقط عن باقي المسلمين ، فيجوز لهم تقليده والرجوع إليه في فروع
دينهم؛ لأنّ رتبة الاجتهاد ليست من الأمور الميسورة ولا هي في متناول الجميع ، بل تحتاج
إلى كثير من الوقت والعلوم والمعارف والاطّلاع وهذا لا يتهيأ إلا لمن جدّد وكدّ وأمضى
عمره في البحث والتعلّم ، ولا ينال

الاجتهاد إلاّ ذو حظّ عظيم.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «أرد الله به خيراً ففقهه في الدين»^(١).

وقول الشيعة هذا لا يختلف عن قول أهل السنة والجماعة، إلاّ في شرط حياة المجتهد. غير أنّ الخلاف الواضح بينهم هو في العمل بالتقليد إذ أنّ الشيعة يعتقدون بأنّ المجتهد الجامع للشروط المذكورة هو نائب للإمام عليه السلام في حال غيبته، فهو الحاكم والرئيس المطلق له ما للإمام في الفصل في القضاء والحكومة بين الناس والرادّ عليه رادّ على الإمام.

فليس المجتهد الجامع للشروط عند الشيعة مرجعاً يرجع إليه في الفتيا فحسب، بل إنّ له الولاية العامّة على مقلّديه، فيرجعون إليه في الأحكام والفصل بينهم فيما اختلفوا فيه من القضاء بويعطونه الزكاة وخمس أموالهم يتصرّف بها كما تفرضه عليه الشريعة نيابة عن إمام الزمان عليه السلام.

أمّا عند أهل السنة والجماعة فليس للمجتهد هذه المرتبة، ولكنّهم يرجعون في المسائل الفقهية لأحد الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب، وهم: أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد بن حنبل.

والمعاصرون من أهل السنة قد لا يلتزمون بتقليد واحد من

١. الأمامي للمفيد: ١٥٨ ح ٩، سنن الترمذي ٤: ١٣٧ ح ٢٧٨٣.

هؤلاء على سبيل التعيين ، فقد يأخذون بعض المسائل من أحدهم والبعض الآخر من غيره حسبما تقتضيه حاجتهم، فعل ذلك السيد سابق الذي ألفَ فِقْهًا مأخوذاً من الأربعة؛ لأنَّ أهل السنَّة والجماعة يعتقدون بأنَّ الرحمة في اختلافهم فللمالك مثلاً أن يأخذُ برأي أبي حنيفة إذا وجدَ حلاً لمشكلته قد لا يجده عند مالك^(١).

١. اختلفت أقوال أهل السنَّة في هذا الأمر :

قال النووي في المجموع ١ : ٨٨ المسألة الثالثة من آداب المستفتي : هل يجوز للعامي أن يتخيرَّ ويقلِّد أي مذهب شاء؟ قال الشيخ : ينظر إن كان منتسباً إلى مذهب بنينا على وجهين . حكاهما القاضي حسين : في أنَّ العامي هل له مذهب أم لا؟ . أحدهما : لا مذهب له لأنَّ المذهب لعارف الأدلة فعلى هذا له أن يستفتي من شاء من حنفي وشافعي وغيرهما ، والثاني : . وهو الأصح عند القفال . له مذهب فلا يجوز له مخالفته ... وإن لم يكن منتسباً ، بني على وجهين . حكاهما ابن برهان في أنَّ العامي هل يلزمه أن يتذهب بمذهب معينَّ يأخذ برخصة وعزائمه؟ . أحدهما : لا يلزمه ... فعلى هذا هل له أن يستفتي من شاء ، أم يجب عليه البحث عن أشدَّ المذاهب وأصحَّها أصلاً ليقلد أهله؟ فيه وجهان ... والثاني يلزمه ، وبه قطع أبو الحسن الكيّس ، وهو جار في كلِّ من لم يبلغ رتبة الاجتهاد من الفقهاء وأصحاب سائر العلوم .»
فالمسألة إذاً خلافية بينهم ، هذا من حيث النظر والتأمل ، أمّا من حيث العمل

وأضربُ لذلك مثلاً حتى يتبين للقارئ فيفهم المقصود : كان عندنا

فهم كما قال الشاطبي في الموافقات ٤ : ٧٧ : «وقد أدّى إغفال هذا الأصل [أي أنّ الشريعة كلّها ترجع إلى قول واحد في فروعها وان كثر الخلاف كما أنّها في أصولها كذلك] إلى أن صار كثير من مقلّدة الفقهاء يفتي قريبه أو صديقه بما لا يفتي به غيره من الأقوال إتباعاً لغرضه وشهوته ، أو لغرض ذلك القريب وذلك الصديق ، ولقد وجد هنا في الأزمنة السالفة فضلاً عن زماننا ، كما وجد فيه تتبع رخص المذاهب إتباعاً للغرض والشهوة ... » .
ثمّ ذكر عدّة حكايات تتعلّق بالموضوع إلى أن قال :

« وذكر ابن باجي في كتاب التبيين لسنن المهتمدين ... وربما زعم بعضهم أنّ النظر والاستدلال الأخذ من أقوال مالك وأصحابه بأيّ شاء دون أن يخرج عنها ولا يميل إلى ما مال منها لوجه يوجب له ذلك ، فيقضي في قضيتهم مالك ، وإذا تكرّرت تلك القضية كان له أن يقضي فيها بقول ابن القاسم مخالفاً للقول الأول لا لرأي تجدّد له ... وأخبرني رجل عكبر من فقهاء هذا الصنف مشهور بالحفظ والتقدّم أنّه كان يقول معلناً غير مستتر أنّ الذي لصديقي عليّ إذا وقعت له حكومة أن أفتيه بالرواية التي توافقه ... » .
والغرض من هذا العرض السريع إنّما هو بيان الاختلاف والاضطراب الذي وقعوا فيه ، وليس ذلك إلاّ للبعد عن هدي الثقلين .

فما ذكره في كشف الجاني : ٥٩ ناشئ من قلّة الاطلاع والمجادلة بغير حقّ . أضف إلى أن المؤلّف لم يقل بأنّي الخلفيّ له الأخذ بمذهب الحنفي حتى لو كان لديه حلّ لمشكلته عند المذهب المالكي ، وإنّما قيّد بقوله : (إذا وجد حلاً لمشكلته قد لا يجده عند مالك) ، وعليه فالمؤلّف عبارته سلمية وواضحة جداً ، لا كما حاول هئان الحميس إيهام القارئ بأنّ المؤلّف افترى هذا الكلام على أهل السنّة وأخذ بنقل عبارات لا ربط لها بالموضوع .

في تونس (في وقت المحاكم القبطية) أحبّت رجلاً وأرادت الزواج منه ، ولكن أباهما رفض أن يزوجهما من هذا الشاب لسبب الله أعلم به ، فهربت الفتاة من بيت أبيها وتزوَّجت ذلك الشاب بدون إذن أبيها ورفع الأب شكوى ضدّ الزوج .
ولما حضرّت الفتاة وزوجها لدى القاضي ، وسألهما عن السبب في الهروب من البيت والزواج بدون إذن وليّها قالت نسيّدي ، أنا عمري خمسة وعشرون عاماً وأحبّبت الزواج من هذا الرجل على سنة الله ورسوله لأنّ أبي يريد أن يزوّجني بمن أكفّرتوَّجت على رأي أبي حنيفة الذي يعطيني حقّ الزواج بمن أحبّ لأنني بالغة .

يقول القاضي رحمة الله عليه (روى لي بنفسه هنا لفصحة) : « فجننا في المسألة فوجدناها على حقّ ، وأعتقد بأنّ أحد العلماء المطلّعين هو الذي لقّنها ماذا تقول . » يقول هذا القاضي ددت دعوة الأب وأمضيت الزواج بفخرج الأب غاضباً يضرب يديه على بعضها ويقولون «ت الكلبة » أي إن ابنته تركت مالها تبعت أبا حنيفة ، وكلمة الكلبة فيها إهانة لابنته التي قال فيما بعد بأنّه يتبرأ منها .

والمسألة هي اختلاف في اجتهاد المذاهب فينما يرى مالك إنّ الفتاة البكر لا يصحّ زواجها إلاّ بإذن ولي الأمر وحتى إذا كانت ثيباً ، فهو شريكها في الزواج فلا تنفرد به وحدها ولا بدّ من موافقته ، يرى

أبو حنيفة: البالغة بكرة كانت أم ثيباً ، لها أن تنفرد باختيار الزوج ، وأن تنشئ العقد بنفسها^(١).

فهذه المسألة الفقهية فرقت بين الأب وابنته حتى تبرأ منها، وكثيراً ما كان الآباء يتبرؤون من بناتهم لعدة أسباب ، منها توليها من البيت مع رجُل تحبُّ الزواج منه. ولهذا التبرؤ عواقب وخيمة ، إذ أن الأب يلجأ في أغلب الأحيان إلى حرمان ابنته من الميراث وتبقى الفتاة عدوة للإخوة الذين يتبرؤون ودورهم من أختهم التي جلبت لهم العار. فليست القضية. إذن. كما يقول أهل السنة بأن في اختلافهم رحمة أو على الأقل ليست الرحمة في كل القضايا الخلافية.

ويبقى بعد هذا خلاف آخر بينهما ألا وهو تقليد الميِّت فأهل السنة يقلدون أئمة ماتوا منذ قرون ، وأغلق عندهم باب الاجتهاد من ذلك العهد وكل من جاء بعدهم من العلماء اقتصر على الشروع والمناات شعراً ونثراً لفقهاء المذاهب الأربعة ، وقد تعالت أصوات المنادين من بعض المعاصرين بفتح الباب والرجوع للاجتهاد ، لما تقتضيه مصلحة الزمان ولما استجد من أمور كانت مجهولة في زمن الأئمة الأربعة.

١. راجع كتاب الفقه على المذاهب الأربعة للجزيري ٤ : ٣٤ .

أمّا الشيعة فلا يجوزون تقليد الميّت ويرجعون في كلِّ أحكامهم إلى المجتهد الحي الجامع للشروط التي ذكرناها سابقاً ، وذلك بعد غيبة الإمام المعصوم ، والذي كلّفهم بالرجوع إلى العلماء العدول في زمن غيبته وحتى ظهوره .

فالسنيّ المالكي مثلاً يقول : هذا حلال وهذا حرام على قول الإمام مالك ، وهو ميّت منذ أكثر من اثني عشر قرناً وكذلك يقول السنيّ الحنفي والشافعي والحنبلي ؛ لأنّ الأئمة عاشوا في عصر واحد وتلمذ بعضهم على بعض .

كما لا يعتقد السنيّ في عصمة هؤلاء الأئمة الذين لم يدعوا لأنفسهم بل جوسوا عليهم الخطأ والصواب ويقولون بأنهم مأجورون في كلِّ اجتهاداتهم ، فلهم أجران إن أصابوا ولهم أجرٌ واحد إذا أخطأوا .

والشيعي الإمامي مثلاً عنده مرحلتان في التقليد .

المرحلة الأولى : وهي زمن الأئمة الاثني عشر ، وقد امتدت هذه المرحلة ثلاثة قرون ونصف تقريباً ، وفيها كان الشيعي يقلد الإمام المعصوم الذي لا يقول برأيه واجتهاده ، وإنما بعلم وروايات توارثها عن جدّه رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم فيقول في المسألة : روى أبي عن جدّي ، عن عجليل ، عزّ وجلّ .

المرحلة الثانية : وهي زمن الغيبة التي امتدت حتى اليوم ، فالشيعة يقول : هذا حلال وهذا حرام على رأي السيد الخوئي أو السيد الخميني مثلاً وكلاهما حتى مورأيهما لا يتعدى الاجتهاد في استنباط الأحكام من نصوص القرآن والسنة على روايات أئمة أهل البيت أولاً ثم الصحابة العدول ثانياً .

وهم عندما يبحثون في روايات أئمة أهل البيت بالدرجة الأولى ، ذلك لأن هؤلاء الأئمة يرفضون استعمال الرأي في الشريعة ويقولون ما من شيء إلا والله فيه حكم ، فإذا ما فقدنا حكماً في مسألة ما فليس ذلك يعني أن الله سبحانه وتعالى لم يورنا وجهاً لنا لم يصلنا بنا إلى معرفة الحكم ، فالجهل بالشيء وعدم معرفته ليس دليلاً على عدمه ، والدليل على ذلك قوله سبحانه وتعالى في (الكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ)^(١).

١. الأنعام : ٣٨ .

العقائد التي يُشنع بها أهل السنة على الشيعة

ومن العقائد التي يُشنع بها أهل السنة على الشيعة ما هو من محض الشغب المقيت الذي أولده الأمويّون والعباسيون في صدر الإسلام بما كانوا يحقدون على الإمام عليّ ويغضون حتىّ لعنوه على المنابر أربعين عاماً .

فلا غرابة أن يشتموا كلّ من تشيّع له ويرموه بكلّ عار وشنار ، حتى وصل الأمر بهم أن يقال لأحدهم يهودي أحبّ إليه من أن يقال له شيعي ودأب أتباعهم على ذلك في كلّ عصر ومصر وأصبح الشيعي مسبّة عند أهل السنة والجماعة؛ لأنّه يخالفهم في معتقداتهم وخارج عن جماعتهم ، فهم يقذفونه بما شاءوا ويومونه بكلّ التّهّم ويمنبزونه بشتّى الألقاب ، ويخالفونه في كلّ أقواله وأفعاله .

ألا ترى بأنّ بعض علماء أهل السنة المشهورين يقولون : «بأنّ لبس الخاتم في اليد اليمنى هو سنة نبوية ، ولكن يجب تركه لأنّ الشيعة اتخذوا ذلك شعاراً لهم .» وهذا حجّة الإسلام أبو حامد الغزالي يقول : إنّ تسطيح القبور هو

المشروع في الدين، لكن لما جعلته الرافضة شعاراً لهم عدلنا عنه إلى التسنيم^(١). وهذا ابن تيمية الموصوف بالمصلح المجدد عند بعضهم يقول : ومن هنا ذهب من ذهب من الفقهاء إلى ترك بعض المستحبات إذ صارت شعاراً لهم . أى للشيعية . فإنه وإن لم يكن الترك واجباً لذلك، في إظهار ذلك مشابهة لهم فلا يتميّز السنيّ من الرافضيّ ، ومصالحة التمييز عنهم لأجل هجرانهم ومخالفتهم أعظم من مصلحة هذا المستحب^(٢) . وقال الحافظ العراقي عندما تساءل عن كيفية إسدال العمامة بأر ما يدلّ على تعيين الأيمن إلاّ في حديث ضعيف عند الطبراني ، وبتقدير ثبوته فلعله كان يرخيها من الجانب الأيمن ثمّ يردّها إلى الجانب الأيسر كما يفعله بعطلهم أنّه صار شعاراً للإمامية فينبغي تحذبه لترك التشبه بهم^(٣) .

سبحان اللولاء لحوول ولا قوة إلا بالله ! انظر أخي القارئ إلى هذا

١ . راجع كتاب الصراط المستقيم للبيضاوي ٣ : ٢٠٦ ، وكتاب الغدير للأميني ١٠ : ٢١٠ .
٢ . منهاج السنة لابن تيمية ٤ : ٤٤ في الردّ على الوجه الخامس للعلامة الحلبيّ في بيان وجوب اتباع مذهب الحقّ .

٣ . شرح المواهب للزرقاني ٥ : ١٣ .

عطلتَّ ب الأعمى كيف يُؤيز لهؤلاء « العلماء » أن يخالفوا سنة النبي
صلى الله عليه وآله في سبب الخبيعة تمسكت بتلك السنن حتى صارت شعاراً لهم ثم هم
لا يتحرَّجون من الاعتراف بذلك صراحة.

وأنا أفجله لله الذي أظهر الحقَّ لذي عينين ولكلِّ مخلص يبحث عن الحقيقة ،
الحمد لله الذي أظهر الشليعة لهم الذين يتبعون سنة رسول الله وذلك بشهادتكم أنتم !
كما شهدتم على أنفسكم بأنكم تركتم سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عمداً
لتخالفوا بذلك أئمة أهل البيت وشيعتهم المخلصين ، واتبعتم سنة معاوية بن أبي سفيان ،
كما شهد بذلك الإمام الزمخشر عندما أثبت إن أوّل من تختم باليسار خلاف السنة النبوية
هو معاوية بن أبي سفيان^(١).

واتبعتم سنة عمر في بدعته للتراويح خِلافاً للسنة النبوية التي أمرت المسلمين بصلاة
النافلة في بيوتهم فُرادي لا جماعة، كما أثبت ذلك البخاري في صحيحه^(٢) وكما اعترف
عمزفسه بأنّها بدعة ابتدعها مع أنّه لم يصلها لأنّه لا يؤمن بها.
فقد جاء في البخاري عن عبدالرحمن بن عبدالقاري أنّه قال :

١ . الزمخشري في كتاب ربيع الأبرار ٤ : ٢٤ .

٢ . صحيح البخاري ٧ : ٩٨ ، كتاب الأدب ، باب ٧٥ ما يجوز من الغضب والشدة لله لأمر عز وجل .

خرجتُ مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة في رمضان إلى المسجد فإذا الناسُ أوزاع متفرِّقون يصلِّي الرجلُ لفيفي الرجلُ فيُصَلِّي بصلاته الرهطُ ، فقال عمر إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثلَّ ، عَزَمَ فجمعهم على أبي بن كعب ، ثمَّ خرجتُ معه ليلة أُخرى والناس يصلُّون بصلاة قارئهم قلل عمرُ : نعم البدعةُ هذه ... (١).

ومن المستغرب عدّها نعمة بعد نهي الرسول عنها!! وذلك عندما رفعوا أصواتهم وَحَصَبُوا بِأَبِهِ لِيَصَلِّي بِهِمْ نافلة رمضان ، فخرج إليهم مغضباً فقال لهم صلى الله عليه وآله وسلم :

أزال بكم صنيعكم حتى ظننتُ أنَّهُ سيكتبُ عليكم ، فعليكم في الصلاة في بيوتكم فإنَّ خير صلاة المرء في بيته إلا الصلاة المكتوبة » (٢).

كما أتبعتم سنة عثمان بن عفان وهي إتمام صلاة السفر خلافاً لسنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم التي صلاها تضرّاً (٣).

١. صحيح البخاري ٢ : ٢٥٢ ، كتاب صلاة التراويح ، باب فضل ليلة القدر .

٢. صحيح البخاري ٧ : ٩٨ ، كتاب الأدب ، باب ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله عزَّ وجل .

٣. صحيح البخاري ٢ : ٣٤ ، كتاب تقصير الصلاة ، باب الصلاة بمنى ، وفي لباب الخامس أيضاً من نفس الكتاب : «أنَّ عائشة أتمت الصلاة في السفر كما أتمها عثمان ، وقد خالفنا بذلك سنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .»

ولو أردت أن أحصي ما خالفتم به سنة رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم لاستوجب ذلك كتاباً خاصاً ، ولكن تكفي شهادتكم في ما أقررتم به على أنفسكم ، وتكفي شهادتكم أيضاً بإقراركم بأن الشيعة الروافض هم الذين اتخذوا سنة النبي شعاراً لهم .
أبعد هذا يبقى دليل على قول الجهلة الذين يدعون بأن الشيعة اتبعوا علي بن أبي طالب ، أهل السنة فإنهم اتبعوا رسول الله ﷺ ؟ هل هؤلاء أن يثبتوا بأن علياً خالف رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم ديناً جديداً ؟ كبرُت كلمة تخرج من أفواههم فعلي هو محض السنة النبوية مفسرُها والقائم عليها وقد قال فيه رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم :

علي «مني بمنزلة من ربي»^(١).

أي كما أن محمداً هو الوحيد الذي يُبلِّغ عن ربي فعلي هو الوحيد الذي يبليغ عن رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم ذنب علي هو إنّه لم يعترف بخلافة من قبله ، وذنّبُ شيعته أنهم اتبعوه في ذلك ، فرفضوا أن

١ . المناقب للخوارزمي : ٢٩٧ ح ٢٩٢ ، ذخائر العقبى : ٦٤ ، وورد بلفظ علي «مني بمنزلة رأسي من بدني» ، وفي تاريخ بغداد ٧ : ١٣ ، والجامع الصغير ٢ : ١٧٧ ، وكنز العمال ١١ : ٦٠٣ ح ٣٢٩١٤ ، والصواعق المحرقة ٢ : ٣٦٦ (في فضائل علي عليه السلام) .

يَنْضَوُ وَ تَحْتَ خِلافةِ أَبِي بَكْرٍ وَعَمْرٍ وَعِثْمَانُ ، وَلِذَلِكَ سَمَّوَهُمُ « الرِّواضِ » .
فَإِذَا أَنْكَرَ هَؤُلاءِ السَّنَّةَ عَلَيَّ مَعْتَقَداتِ الشَّيعَةِ وَأَقْوالِهِمْ فَهُوَ لَسَبِّينَ :
أَوْ هَمَلِ الْعَداءِ الَّذِي أَجَجَ نارَهُ حُكَّامِ بَنِي أُمَيَّةَ بِالْأَكْاذِيبِ وَالِدَعائياتِ وَاخْتِلاقِ
الرِّواياتِ المَزوَّرةِ .

وَثانِيهِما : لِأَنَّ مَعْتَقَداتِ الشَّيعَةِ تَتناقى وَما ذَهَبوا إِلَيهِ مِنْ تَأْيِيدِ الخِلفاءِ ، وَتَصْحيحِ
أَخْطائِهِمْ وَاجْتِهادِ تَمامِ مَقابِلِ النِّصوصِ خِصوصاً حُكَّامِ بَنِي أُمَيَّةَ وَعَلَيَّ رَأْسِهِمْ مَعاوِيَةَ ابْنَ
أَبِي سَفِيانِ .

وَمن هَنا يَجِدُ الباحِثُ المَتَّبِعُ أَنَّ الخِلافَ بَينَ الشَّيعَةِ وَأَهْلِ السَّنَّةِ نَشأَ يَومَ السَّقِيفَةِ
وَتَفاقَمَ كُلُّ خِلافٍ جِاءَ بَعْدَهُ فَهُوَ عِيالٌ عَلَيهِ ، وَأَكْبَرُ دَليلُ عَلَيَّ ذَلِكَ أَنَّ العَقائِدَ الَّتِي
يُشَدِّعُ أَهْلُ السَّنَّةِ عَلَيَّ إِخْوانِهِمْ مِنَ الشَّيعَةِ تَرْتَبِطُ ارْتِباطاً وَثيقاً بِمَوْضوعِ الخِلافةِ وَتَتَفَرَّعُ مِنْهُ ،
كَعَدَدِ الأئمَّةِ ، وَالنِّصِّ عَلَيَّ الإِمامِ ، وَالعِصْمَةِ ، وَعِلْمِ الأئمَّةِ ، وَالبداءِ ، وَالتَّقِيَّةِ ، وَالْمَهْديِ
الْمُنْتَظَرِ ، وَغَيرِ ذَلِكَ .

وَنحنُ إِذا بَحَثنا فِي أَقْوالِ الطَّرَفِينِ مَجْرَّ دِينِ مِنَ العاطِفِ فَسَوفُ لا نَجِدُ بَعْدَ شاسِعاً بَينَ
مَعْتَقَداتِهِمْ نَجْدُ مُبَرِّراً لِهَذَا التَّهْويلِ وَهَذَا التَّشْبيهِ لِأَنَّكَ عَندَما تَقْرَأُ كِتابَ السَّنَّةِ الَّذِي
يَشْتَمونَ الشَّيعَةَ يَخيلُ

إليك بأن الشيعة ناقضوا الإسلام ، وخالفوه في مبادئه وتشريعه ، وابتدعوا ديناً آخر! بينما يجد الباحث في كل عقائد الشيعة أصلاً ثابتاً في القرآن والسنة وهاجتي في كتب من يُخالفهم في تلك العقائد ويُسَنِّعُ بِهِ ما عليهم.

ثمّ ليس هناك في تلك العقائد ما يخالف العقل أو النقل أو الأخلاق وليتبيّن لك أيها القارئ اللبيب صحّة ما أدّعيه سأستعرض معك تلك العقائد.

العصمة

يقول الشيعة^١ أن الإمام كالنبي يجب أن يكون معصوماً من جميع الرذائل والفواحش ما ظهر منها وما بطن من سنن الطفولة إلى الموت عمداً وسهواً .
كما يجب أن يكون معصوماً من السهو والخطأ والنسيان؛ لأن الأئمة حفظة الشرع والقوامين عليه ، حالهم في ذلك حال النبي ، والدليل الذي اقتضانا أن نعتقد بعصمة الأنبياء هو نفسه يقتضينا أن نعتقد بعصمة الأئمة بلا فرق^(١).

نعم ، هذا كما نرى هو رأي الشيعة في موضوع العصمة ، فهل فيه ما ينافي القرآن والسنة؟ أو ما يقول العقل باستحالته؟ أو ما يشين الإسلام ويُسئ إليه؟ إن نقص قدر النبي أو الإمام؟

حاشا وكلام نجد في هذا القول إلا التأييد لكتاب الله وسنة نبيه ، وما يتماشى مع العقل السليم ولا يناقضه ، وما يرفع من قيمة

١ . عقائد الإمامية للمظفر : ٧٥ (العقيدة رقم ٢٤) .

النبي والإمام ويشرّ فيه.

ولنبداً بحثنا في استقراء القرآن الكريم.

إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ قَاعَ تَعَلُّكُمْ: (الرَّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَ كُفْرَكُمْ تَطْهِيراً) (١).

فإذا كان إذهاب الرجس الذي يشمل كلَّ الخبائث والتطهير من كلِّ الذنوب لا

يفيد العصمة ، فما هو المعنى إذن؟

يقول الله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَا سَأَهُمْ (طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ) (٢).

فإذا كان المؤمن التقي يعصمه الله من مكاييد الشيطان إذا حاول استفزازه وإضلاله ،

فيتذكر ويصير الحقّ فية بعه ، فما بالك بجم اصطفاهم الله سبحانه وأذهب عنهم الرجس

وطهّرهم تطهيراً؟

ثُمَّ أَوْرَثْنَا قُلُوبَنَا تَعَلُّكًا: (الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنُ عِبَادِنَا) (٣) والذي يصطفيه الله

سبحانه يكون بلا شكّ معصوماً من الخطأ وهذه الآية بالذات هي التي احتجّ بها الإمام

الرضا من أئمة أهل البيت عليهم السلا على العلماء الذين جمعهم الخليفة العبّاسي المأمون

ابن هارون

١. الأحزاب : ٣٣ .

٢. الأعراف : ٢٠١ .

٣. فاطر : ٣٢ .

الرشيد ،وأثبت لهم بأنهم (أي أئمة أهل البيت) هم المقصودون بهذه الآيتويأنَّ الله اصطفاهم وأورثهم علم الكتاب ، واعترفوا له بذلك^(١).

١. راجع عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق ٢ : ٢٠٨ ح ١ ، والأمامي : ٦١٥ ح ٨٤٣ .

ولا يخفى أن كلمة الاصطفاء استعملت في القرآن بعدة معاني :

منها : ما لا يدل على العصمة .

ومنها : ما يدل عليها .

فمما لقسمة الأوقوله تعالى حكاية عن نبيّه **فِي أَنْحَلِهِ تَطْلُوْا طِفْلَنَا (عَلِمَ كُمْ وَزَادَهُ بِسَطَّةً**

فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَمْلُكَةً مِّنْ يَشَاءُ) [البقرة : ٢٤٧] ، فالاصطفاء هنا بمعنى الاختيار للملك ، والمملك

لا يحتاج العصمة ، بل **لِحُجَّتِهِ** ، أم لا العصمة فهي خاصّة بمن يريد إبلاغ شيء عن الله تعالى ، أم لا

الملوك فهم حكّام وليسوا برسول ولا أنبياء ، والآية جاءت ردّاً لقول المعترضين حيث قالوا: **(كَيُونُ لَهُ الْمَلِكُ**

عَلِمَ نَدَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمَلِكِ مِنْهُ ...).

ومن القسم الثاني : أي الاصطفاء الدالّ على العصمة قوله تعالى: **إِلَىٰ اصْطَفَيْتُكَ عَلَيَّ النَّاسِ**

بِرِسَالَتِي وَبِكَلَامِي ...) [البقرة: ١١٧] **الْمَسْخُوفِي تَعَالَى :** (**نُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ**

عَلَيَّ اللَّهُ بَيْنَ) [آل عمران : ٣٣] ، كما قد استدللّ الفخر الرازي في كتابه على عصمة الأنبياء ص ٣٠ بهذه

الآيات على وجوب عصمة الأنبياء ، ثمّ قال : « لا يقال الاصطفاء لا يمنع من فعل الذنب ، بدليل قوله تعالى :

ثُمَّ أَوْرَثْنَا لِكُلِّمٍ ظَلَمَ الْأَنْدِيَةَ سَاهِ طُوفِيهِ نِنَاهُ عَيْنِ فَادِقًا صَفِيْدًا وَمِنْهُمْ سَابِقُ بِالْخَيْرِ رَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ)

قسّم المصطفين إلى الظالم والمقتصد والسابق ، لأنّ نقول الضمير في قولهم: **(وَهُمْ)** عائد إلى قوله: **(مِنْ**

عِبَادِنَا) لا إلى قوله: **بِإِذْنِ اللَّهِ)** ، لأنّ عود الضمير إلى أقرب المذكورين واجب .»

وقال الطباطبائي في تفسير الميزان ١٧ : ٤٥ بعد ذكر الأقوال في الآية: **(أَوْرَثْنَا**

الكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا () قال : « وقيل : وهو المأثور عن الصادقين عليهما السلام في روايات كثيرة مستفيضة أن المراد بهم ذرية النبي صلى الله عليه وآله من أولاد فاطمة عليها السلام ..وقد نصَّ النبي صلى الله عليه وآله على علمهم بالقرآن وإصابة نظرهم فيه وملازمتهم إياه بقوله في الحديث المتواتر المتفق عليه : إني تارك فليتكلموا كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتى يرث عليَّ الحوض ، وعلى هذا فالمعنى : بعدما أوحينا إليك القرآن . ثم للتراخي الرتي . أورثنا ذريتك إياه ، وهم الذين اصطفينا من عبادنا ... » .

والذي يؤيد ذلك كون الآية بالتفسير الشيعي اضطراب أهل السنة في تفسيرها؛ لأنهم أرجعوا ضمير (فمنهم) إلى الوارثين من جانب آخر فسَّـر الظالم لنفسه بالكافر ، فيكون الكافر وارثاً للكتاب ، وهذا لا يمكن الأخذ به ، ولأجل ذلك قال القرطبي في تفسيره بعد أن ذكره الآية : « فيه أربع مسائل : الأولى هذه الآية مشكلة؛ لأنه قال عزَّـصَهُ وَطَهَّرَهُ (مِنْ عِبَادِنَا نَفْسَهُ لَمْ يَهْتَلْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ) ، وقد تكلم العلماء فيها من الصحابة والتابعين ... قال النحاس : فمن أصح ما روي في ذلك ؛ ما روي عَنْ أَبِي عَمَّاسٍ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ () قال : الكافر .. « الجامع لأحكام القرآن ١٤ : ٢٢١ .

هذه بعض الأمثلة مما جاء في القرآن الكريم وهناك آيات^١ أخرى تفيد العصمة للأئمة **اَكْتَفَوْهُ بِإِذْنِنَا** (١) وغيرها ولكن نكتفي بهذا القدر روماً للاختصار دائماً .

وبعد القرآن الكريم فإليك ماورد في السنة النبوية

قال رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم يا أيها الناس إني تارك فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتّاب الله ﷻ وعترتي أهل بيتي ﷻ» (٢) .
وهو كما ترى صريح بأن الأئمة من أهل البيت معصومون أو لأن كتّاب الله ﷻ معصوم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهو لا اله ﷻ ومن شك ﷻ فيه كفر .
ثانياً لأن المتمسك بكهما « الكتاب والعترة يؤمن من الضلالة فدل هذا الحديث على أن الكتاب والعترة لا يجوز فيهما الخطأ .

وقال رسول الله ﷻ صلى الله عليه وآله وسلم : «إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة

ونما الكافر لا يمكن أن يكون وارثاً للكتاب؛ لأنّه يجحد وينكره ، فلا بدّ من أن تكون الورثة لأناس مطهرين من الله ﷻ سبحانه وتعالى ، وأولئك هم أهل البيت عترة النبي صلى الله عليه وآله .
وبعد ما عرضنا من الإيضاح للآية المباركة ، يكون ما ذكره في كشف الجاني : ١٦٠ مجانباً للصواب وبعيداً عن الأسس العلمية الرصينة .

١ . الأنبياء : ٧٣ .

٢ . مضي تخرجه فيما تقدّم .

نوح ، من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق »^(١).

وهو كما ترى صريح في أن الأئمة من أهل البيت عليهم السلام معصومون عن الخطأ ولذلك يأمل وينجوا كل من ركب سفينتهم كل من تأخر عن ركوب سفينتهم غرق في الضلالة.

وقال رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم من «أحَبَّ أن يحيا حياتي ، ويموت موتي حل الجنة التي وعدني ربي ، وهي جنَّة الخلد ، فليتولَّ عليّاً وذريته من بعده ، فإنهم لن يخرجوكم من باب هدى ، ولن يدخلوكم في باب ضلالة »^(٢).

وهو كما ترى صريح في أن الأئمة من أهل البيت . وهم عليٌّ وذريته . معصومون عن الخطأ فهم لن يدخلوا الناس الذين يتبعوهم في باب ضلالة ، ومن البديهي أن الذي يجوز عليه الخطأ لا يمكن له هداية الناس.

وقال رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم : «المبذرُ وعلىُّ الهادي ، وبك يا عليُّ يهتدي المهتدون من بعدي »^(٣).

١. مضى تخريجه فيما تقدّم .

٢. مضى تخريجه فيما تقدّم .

٣. تفسير الطبري ١٣ : ١٤٢ في تفسير قوله تعالى : (ولكلِّ قوم هاد) ، عنه فتح الباري ٨ : ٢٨٥ وقال : « أخرج الطبري باسناد حسن » ، كنز العمال ١١ :

وهذا الحديث هو الآخر صريح في عصمة الإمام، كما لا يخفى على أولي الأبواب.
والإمام عليّ نفسه أثبت العصمة لنفسه وللأئمة من ولده عندما قال: «فأين تذهبون وأنى تؤفكون؟ والأعلام قائمة والآيات واضحة، والمنار منبؤفأين يتاه بكم، بل كيف تعوضه وبينكم عترة نبيكم، وهم أئمة الحق، وأعلام الدين، وألسنة الصدق؟ فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن، وردوهم ورود الهيم العطاش.
أيها الناس خذوها من خاتم النبيّين صلى الله عليه وآله وسلم: إنه يموت من مات منّا وليس بميت يهلك من بلي منّا وليس ببال، فلا تقولوا بما لا تعرفون، فإن أكثر الحقّ فيما تنكرون، واعذروا من لا حجّة لكم عليه وأنا هو، ألم أعمل فيكم بالثقل الأكبر وأترك فيكم الثقل الأصغر، وركزت فيكم راية الإيمان...»^(١).

٦٢٠ ح ٣٣٠١٢ عن الديلمي، شواهد التنزيل للحسكاني ١ : ٣٨١، نظم درر السمطين : ٩٠، تاريخ دمشق ٤٢ : ٣٥٩، الدر المنثور للسيوطي ٤ : ٤٥ عن ابن جرير وابن مردويه وأبي نعيم والديلمي وابن عساکر وابن النجار، وفي المستدرک، باب فضائل أمير المؤمنين عليه السالحن عليّ بلفظ: «سول الله المنذر وأنا الهادي» وقال: «صحيح الاسناد ولم يخرجاه».

١. نهج البلاغة : الخطبة ٨٧.

وقد علّق الشيخ محمّد عبده في شرحه لهذه الخطبة بقوله: «لأنّه يموت الميت

وبعد هذا البيان من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، وأقوال الإمام عليّ الدالة
كلّها على عصمتهم سلام الله عليهم؛ يرفض العقلُ عصمة من يصطفيه الله سبحانه
للهداية؟

والجواب : كلاً ، لا يرفض ذلك ، بل العكس ، العقل يقول بوجود تلك العصمة؛
لأنّ من توكّل عليه مهمّة القيادة وهداية البشرية لا يمكنُ أن يكون إنساناً عادياً يعتره الخطأ
والنسيان ، وتثقل ظهره الذنوب والأوزار ، فيكون عرضة لانتقاص الناس ونقدهم ، بل العقل
فرضه أن يكون أعلم الناس في زمانه وأعدلهم وأشجعهم وأتقاهم ، وهي صفات تُرفعُ من
شأن القائد وتُعظّمه في أعين الناس ، وتجلب له احترام الجميع وتقديرهم ، وبالتالي طاعتهم له
بدون تحفّظ ولا تملّق.

وإذا كان الأمر كذلك ، لماذا كلُّ هذا التشنيع والتهويل على من يعتقد بذلك؟
ويجيّلُ إليك وأنت تسمع وتقرأ انتقاد أهل السنة على موضوع العصمة بأنّ الشيعة هم
الذين يقلّدون وسام العصمة لمن أحبّوا ، أو أنّ القائل بالعصمة يكون مُنكراً وكفراً!! فلا هذا
ولإتّالك العصمة عند الشيعة هي أن يكون المعصوم مُحاطاً بعناية إلهيّة ورعاية ربّانية ،

من أئمة أهل البيت وهو في الحقيقة غير ميت ، لبقاء روحه ساطعة النور في عالم الظهور (المؤلّف).

فلا يتمكن الشيطان من إغوائه ، ولا تتمكن النفس الأمّارة بالسوء من التغلب على عقله فتجرّبه للمعصية ، وهذا الأمر لم يحرم الله منه عباده المتّقين كما تقدّم **﴿إِنَّ آيَةَ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَا سَأَهُمُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُكْفِرُوا بِآيَاتِهِمْ إِذَا مَا كَفَرُوا فَذَارُواهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا﴾** (١).

وهذه العصمة الموقوتة لعباد الله في حالة معيّنة ، قد تزول لفقد سببها ألا وهي التقوى ، فالعبد إذا كان بعيداً عن تقوى الله لا يعصمه الله ، أمّا الإمام الذي اصطفاه الله سبحانه فلا يجرد ولا يتزحج عن التقوى وخشية الله سبحانه وتعالى.

وقد جاء في القرآن الحكيم حكاية عن سيّدنا يوسف عليه السلام **﴿وَلَمَّا كَانَتْ بِهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ وَنُوحِيَ إِلَيْهِ بِالْحَقِّ لَوْ أَنَّهُ لَوَاعِظٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾** (٢) أي برهان ربه أن ربه لا يضلّهم بل يهديهم للحقّ والهدى ، والفساد والشرّ ، إنّهم من عباده الذين اصطفاهم من عباده.

ولأنّ سيّدنا يوسف لم يهجم بالزنا ، كما فسّره بعض المفسّرين ، فحاشا أنبياء الله من هذا القلب الفاسد ، ولكنّه همّ بدفعها وضربها إذا اقتضت الحال ، ولكن الله سبحانه وعصمه من ارتكاب مثل هذا الخطأ ، لو فعله لكان سبباً في اتّهامه بالفاحشة ، وتكون حججها قويّة ضدّه ، فيلحقه منهم عند ذلك السوء.

١. الأعراف : ٢٠١ .

٢. يوسف : ٢٤ .

عدد الأئمة الاثني عشر

يقول الشيعة بأنّ عدد الأئمة المعصومين بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو اثنا عشر إماماً ، لا يزيدون ولا ينقصون ، وقد ذكرهم رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم بأسمائهم وعددهم^(١) وهم :

١. الإمام عليّ ﷺ بن أبي طالب.
٢. الإمام الحسن عليّ ﷺ .
٣. الإمام الحسين بن عليّ ﷺ .
٤. الإمام عليّ ﷺ بن الحسين (زين العابدين).
٥. الإمام محمد ﷺ بن علي (الباقر).
٦. الإمام جعفر بن محمد ﷺ (الصادق).
٧. الإمام موسى بن جعفر (الكاظم).
٨. الإمام عليّ ﷺ بن موسى (الرضا).
٩. الإمام محمد ﷺ بن علي (الجواد).

١. ينابيع المودّة للقندوزي الحنفي ٣ : ٢٨١ .

. الإمام عليّ بن محمّد (الهادي).

١. الإمام الحسن بن عليّ (العسكري).

٢. الإمام محمّد بن الحسن (المهدي المنتظر).

فهؤلاء هم الأئمة الاثنا عشر الذين تقول الشيعة بعصمتهم ، حتى لا ينطلي المكر على بعض المسلمين.

فالشيعة لا يعترفون قديماً ولا حديثاً بالعصمة إلاّ لهؤلاء الأئمة الذين سمّاهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليدوا بعد ، وقد أخرج بعض علماء السنّة أسماءهم كما مرّ علينا ، وأخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما حديث الأئمة بعددهم ، وهم اثنا عشر كلّهم من قريش^(١).

هذه والأحاديث لا تصحّ ولا تستقيم إلاّ إذا فسّرتناها على أئمة أهل البيت الذين تقول بهم الشيعة الإمامية ، وأهل السنّة والجماعة هم المطالبون بحلّ هذا اللّغز ، إذ إنّ عدد الأئمة الاثني عشر الذي أخرجوه في صحاحهم بقى حتى الآن لغزاً لا يجدون له جواباً .

١. مضي تخريجه فيما تقدّم .

علم الأئمة

وَمَا يَشْنَعُ بِهِ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَلَى الشَّيْعَةِ قَوْلُهُمْ: بِأَنَّ الْأُمَّةَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ
سَلَامَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ قَدْ خَصَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِعِلْمٍ لَمْ يَشَارِكْهُمْ فِيهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ ، وَمِنْ أَنَّ الْإِمَامَ
يَكُونُ أَعْلَمُ أَهْلَ زَمَانِهِ ، فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يُسْأَلَ أَحَدٌ فَيُعْجِزَ عَنِ الْجَوَابِ!

فهل لهذا الادعاء من دليل؟

ولنبداً كما هي عادتنا في كلِّ بحث بالقرآن الكريم.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿لَوْ فِى رِجَالِكُمْ نَبِيٌّ مِّنْكُمْ لَقَدْ أَخْبَرَكُمْ مِمَّا خَشَاكُمْ﴾ (البقرة: 129)
﴿عِبَادِ نَا﴾ (الآية تدلُّ دلالة واضحة بأنَّ الله سبحانه اصطفى عبداً من بين الناس وأورثهم
علم الكتاب ، فهل لنا أن نعرف هؤلاء العباد المصطفين؟

ذكرنا فيما تقدّم بأنَّ الإمام الثامن من أئمة أهل البيت علي بن موسى الرضا استدلَّ
بنزول هذه الآية فيهم ، وذلك لما جمع له

المأمون أربعين قاضياً من مشاهير القضاة ، وأعدّ له كل واحد منهم أربعين مسألة ، فأجاب عليها وأفحمهم وأقرّوا له بالأعلمية.

وإذا كان هذا الإمام الثامن ، ولم يبلغ من العمر أربعة عشر عاماً عندما وقعت هذه المحاورة بينه وبينهؤلاء الذين أقرّوا له بالأعلمية ، فكيف يستغرب بعدها قول الشيعة بأعلميتهم ، مادام أن علماء السنة وأئمتهم يعترفون لهم بذلك؟!!

أم إذا أردنا تفسير القرآن بالقرآن ، فسوف نجد العديد من الآيات ترمي إلى معنى واحد ، وتبين بأنّه سبحانه وحكمته بالغة اختص الأئمة أهل البيت النبوي بعلم من لدنّه موهوب حتى يكونوا أئمة الهدى ومصابيح الدجى .

الحِكْمَةُ مَنْ يَشَاءُ وَهَلَنْ تَعَالَى يُؤْتِي الْحِكْمَةَ فَمَنْ فَقَدَ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (١)

وقال أيضاً: (فَبَلَاوَا قَوْلَهُ الْغُسُومُ * لَوْ تَعَلَّمُونَ عَظِيمًا لَقُرْآنًا

كَبِيرًا * تَابَ مَا كَلَّوْا بِهِ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ) (٢)

أقسم سبحانه في هذه الآية بقسم عظيم بأن القرآن الكريم له

١. البقرة : ٢٦٩ .

٢. الواقعة : ٧٥ . ٧٩ .

أسرار ولفظ باطنية مكنونة ، لا يدرك معانيها وحقائقها إلا المطهرون ، وهم أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .
دللت الآية أيضاً على أن القرآن باطناً اختص الله سبحانه به أئمة أهل البيت ، ولا يمكن لغيرهم معرفتها إلا عن طريقهم.
ولذلك أشار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى هذه الحقيقة فقال :
« لا تتقدموهم فتهلكوا ، ولا تقصروا عنهم فتهلكوا ، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم »^(١).

وكما قال الإمام علي نفسه : «أين الذين زعموا أنهم الراسخون بالعلم دوننا كنبأ وبغيبينظلمان رفعا الله ووضعهم ، وأعطانا وحرّمهم ، وأدخلنا وأخرجهم ، بنايُستعطي الهدى ، ويُستجلى العمى ... إن الأئمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم ، لا تصلح على سواهم ، ولا تصلح الولاية من غيرهم »^(٢).
وقال **تغلبنا أهلنا إنا لنكذبكم لا تعلمون** ^(٣) وهذه الآية نزلت في أهل البيت عليهم السلام^(٤).

١. مضي تخريجه فيما تقدّم.

٢. نهج البلاغة : الخطبة ١٤٣.

٣. النحل : ٤٣.

٤. مضي تخريجه فيما تقدّم.

وتفيد بأن الأُمَّة لا بدَّ لها بعد فقد نبيِّها أن ترجع إلى الأئمة من أهل البيت لمعرفة الحقائق ، وقد رجع الصحابة رضي الله تعالى عنهم إلى الإمام عليّ بن أبي طالب ليبيِّن لهم ما لُكِّلَ عليهم ، كما رجع الناس على مرَّ السنين إلى الأئمة من أهل البيت لمعرفة الحلال والحرام ، ولينهلوا من معارفهم وعلومهم وأخلاقهم.

وإذا كان أبو حنيفة يقول : « لولا الستتان هلك النعمان » ^(١) يقصد بذلك العامين الذين قضاهما في التعلُّم من الإمام جعفر الصادق.

وإذا كان الإمام مالك بن أنس يقول بمملاتٍ عينٌ ولا سمعتٌ أذنٌ ، ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر الصادق فضلاً وعلماً

١ . اعترف للعلوي بأن علماء أهل السنَّة ورؤساءهم كالزهري وأبي حنيفة ومالك تتلمذوا على أئمة أهل البيت عليهم السلام التحفة الاثني عشرية : ٩٣ و ٤٦٧ ، ومختصرها للآلوسي : ٣٤ و ١٩٣ .

وجاء في مختصر التحفة الاثني عشرية للآلوسي : « وهذا أبو حنيفة ... كان يفتخر ويقول بأفصح لسان : لولا الستتان هلك النعمان ، يريد الستين اللتين صحب فيهما لأخذ العلم الإمام جعفر الصادق ، وقال غير واحد إنَّه أخذ العلم والطريقة من هذا ومن أبيه الإمام محمد بن الباقر ... » التحفة الاثني عشرية : ١٤٣ ، ومختصرها : ٨ .

واعترف محمد بن أبو زهرة بأن أئمة السنَّة الذين عاصروا الإمام الصادق عليه السلام أخذوا عنه ، كمالك وأبي حنيفة انظر : الإمام الصادق لأبي زهرة : ٥٣ .

وعبادة وورعاً» (١).

إذا كان الأمر كذلك باعتراف أهل السنة والجماعة ، فلماذا كل هذا

١ هذا النصّ في المناقب لابن شهر آشوب ٣ : ٤٧٢ وجاء في كتاب التوسّيل والوسيلة لابن تيمية ص : ٩٢ بلفظ : «ولقد اختلفت إليه زماناً فما كنت أراه إلاّ على ثلاث خصال: ا مصلياً وإما صامتاً وإما يقرأ القرآن ، ولا يتكلم فيما لا يعنيه ، وكان من العلماء والعباد الذين يخشون الله » ، ونحوه في تهذيب التهذيب لابن حجر ، ٢ : ١٠٤ .

ومن الملاحظ أنّ علماء الرجال يفرّقون بين العابد الزاهد التقي وبين الثقة الضبط أو الصدوق ، فلا يوجد تلازم بين أن يكلل شخص زاهداً عابداً تقياً وأن يكون ثقة يروى عنه ، فقد يكون زاهداً وعابداً لكن لا يروى عنه لعدم كونه ثقة أو غيرابط أو غير ذلك ، وقد يكون ثقة وليس زاهداً عابداً تقياً ، ولهذا الأمران أمثلة كثيرة في كتب الرجال ، والرجالي عمله الأولي أن يكون الراوي ثقة ولا ربط له بأمر آخر .

بعد هذا الإيضاح نرجع إلى ما ذكره في كشف الجاني : ١٦١ ، حيث إنّ المؤلّف ذكر عبارة عن الإمام مالك فيها شهادة بقبول زاهده وعبادته ، بينما عثمان الخميس ردّ على المؤلّف بأنّ مالكاً لم يرو عن الصادق عليه السلام منغداً بل يضم إليه شخص آخر ، وهذا لا ربط له بكلام المؤلّف كما أوضحناه ، لأنّ الزهد والتقوى شيء والثقة والضبط في الرواية شيء آخر ، فعدم رواية الإمام مالك عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام منغداً . إن صح . لا ينافي مدح مالك للإمام الصادق وكونه زاهداً عابداً ورعاً أو غير ذلك ، وهذا الكلام الذي ذكره في كشف الجاني ناشئ من قلة الاطلاع على فنّ علم الحديث ومعرفة قوانينه .

التشنيع وهذا الاستنكار بعد هذا الأدلة ، وبعدهما أثبت تاريخ المسلمين كافة بأن أئمة أهل البيت عليهم السلام أعلم أهل زمانهم ، فأى غرابة في أن يخص الله سبحانه وتعالى أوليائه « الذين اصطفاهم بالحكمة والعلم اللدني » ، ويجعلهم قدوة المؤمنين وأئمة المسلمين. ولو تتبع المسلمون أبلغصهم بعضاً لأفتنعوا بقول الله ورسوله ، ولكانوا أمة واحدة يشد بعضها بعضاً ، ولم يكن هناك اختلاف ولا مذاهب متعدّدة!

ولكم لا بدّ من كل ذلك ليقضي الله لأيمهاً لَكُمْ مَفْعُولُنْ: (هَلَمَّكَ عَنْ بَيْتِ نِزَةِ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيْتِ نِزَةِ وَالسَّالَةَ يِعْ عَلِيمٌ) ^(١).

١. الأنفال : ٤٢ .

البداء

وهو أن يبدو له شيء في أمر مّا يريد فعله ، ثمّ يتغير رأيّه في ذلك الشيء ، فيفعل فيه غير ما عزم على فعله سابقاً .

وأما قول الشيعة بالبداء ونسبته إلى الله تعالى ، والتشنيع عليهم بأذنه يستوجب نسبة الجهل والنقص إلى الله سبحانه وتعالى ، كما يريد أهل السنّة والجماعة حمله على هذا المعنى ، فهذا التفسير باطل ولا تقول به الشيعة أبداً ، ومن ينسب ذلك إليهم فقد افتري عليهم ، وهذه أقوالهم قديماً وحديثاً تشهد لهم .

قال الشيخ محمد رضا المظفر في كتابه عقائد الإمامية : «والبداء بهذا المعنى يستحيل على الله تعالى؛ لأنّه من الجهل والنقص ، وكذلك محالّ عليه تعالى ولا تقول به الإمامية .
قال الإمام الصادق عليه السلام من «زعم أن الله تعالى بدالّه في شيء بداء ندامة ، فهو عندنا كافر بالله العظيم» ، وقال أيضاً من «زعم أن الله بدالّه في شيء ولم يعلمه أمس فأبرأ منه»^(١) .

١ . عقائد الإمامية : ٤٠ ، والنصوص في كمال الدين للصدوق : ٦٩ - ٧٠ .

إذا فالبداء الذي تقول به الشيعة لا يتعدى حدود القرآن في قوله سبحانه وتعالى : (**أَيُّ شَيْعَةٍ يُؤَلِّمُ وَيُؤَلِّمُ وَأَيُّ شَيْعَةٍ يُؤَلِّمُ وَأَيُّ شَيْعَةٍ يُؤَلِّمُ**) (١).

وهذا القول يقول به أهل السنة والجماعة كما يقول به الشيعة ، فلماذا يشنع علي يعة ولا يثللشع على أهل السنة والجماعة القائلين بأن الله سبحانه يبدل الأحكام ويغير الآجال والأرزاق.

فقد أخرج ابن دهرية وابن عساكر عن علي (رضي الله عنه) أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن هذه الآية: (**وَيُؤَلِّمُ وَأَيُّ شَيْعَةٍ يُؤَلِّمُ وَأَيُّ شَيْعَةٍ يُؤَلِّمُ**)؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأقرن عينيك بتفسيرها ، ولأقرن عين أممتي مدي بعنفسيرها ، الصدقة على وجهها ، وبر الوالدين ، واصطناع المعروف ، يحوّل الشقاء سعادة ، ويزيد في العمر ، وبقي مصارع السوء » (٢).

وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب عن قيس ابن عباد (رضي الله عنه) قال لله أمر في كل ليلة العاشر من أشهر الحرام ، العاشر من رجب ففيه يمحو الله ما يشاء ويثبت (٣).

وأخرج عبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر عن عمر بن

١ . الرعد : ٣٩ .

٢ . الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ٤ : ٦٦ .

٣ . المصدر نفسه .

الخطاب أذنه قال وهو يطوف بالبيتلهم إن كنت كتبت على شقاوة أو ذنباً فامحه ،
فإنك تمحو ماتشاء وتثبت وعندك أم الكتاب ، فاجعله سعادة ومغفرة^(١) .

وأخرج البخاري في صحيحه قصة عجيبة وغريبة تحكي معراج النبي

صلى الله عليه وآله وسلم لقاءه مع ربه ، وفيها يقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم :

ثم فرضت على خمسون صلاة فأقبلت حتى جئت موسى ، فقال ما صنعت ؟

قلت فرضت على خمسون صلاة . قالنا أعلم بالناس منك عالجت بني إسرائيل أشد

المعالجة وإن أممتك لا تطيق ، فارجع إلى ربك فسله ، فرجعت فسألته فجعلها أربعين ثم

مثله ، ثم ثلاثين ، ثم مثله فجعل عشرين ، ثم مثله فجعل عشراً ، فأتيت موسى فقال مثله ،

فجعلها خمساً ، فأتيت موسى فقال ما صنعت ؟ قلت جعلها خمساً ، فقال مثله ، قلت :

فسلمت فنودي أني قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي وأجزيت الحسنة عشراً^(٢) .

وفي رواية أخرى نقلها البخاري أيضاً وبعد مراجعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم

١ . المصدر نفسه .

٢ . صحيح البخاري ٤ : ٧٨ ، كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة ، وكتاب مناقب الأنصار ، باب المعراج .

صحيح مسلم ١ : ١٠٤ ، كتاب الإيمان ، باب الإله برسول الله وفرض الصلوات .

رَبِّهِ عَدِيدَ الْمَرَّاتِ ، وبعْدَ فَرَضِ الْخَمْسِ صَلَوَاتٍ ، طَلَبَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يُرَاجِعُ رَبَّهُ لِلتَّلَاخُفِيفِ؛^(١) تَهْ لَا تَطْبِقُ حَتَّى خَمْسَ صَلَوَاتٍ ، وَلَكِنْ مُحَمَّدٌ دَأَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَجَابَهُ قَدْ «سْتَحْيَيْتَ مِنْ رَبِّي»^(١) .

نعم ، اقرأ واعجب من هذه العقائد التي يقول بها رواة أهل السنة والجماعة! ومع ذلك فهم يشنعون على الشيعة أتباع أئمة أهل البيت في القول بالبداة .

وهم في هذه القصّة يعتقدون بأنّ الله سبحانه فرض على محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ خمسين صلاةً ثمّ بدّلها مراجعةً محمدٍ دَأَى هَ أَنْ جَعَلَهَا أَرْبَعِينَ ثُمَّ بَدَأَ لَهُ بَعْدَ مَرَاجَعَةٍ ثَانِيَةٍ أَنْ جَعَلَهَا ثَلَاثِينَ ثُمَّ بَدَأَ لَهُ بَعْدَ مَرَاجَعَةٍ ثَالِثَةٍ أَنْ جَعَلَهَا عَشْرِينَ ثُمَّ بَدَأَ لَهُ بَعْدَ مَرَاجَعَةٍ رَابِعَةٍ أَنْ جَعَلَهَا عَشْرًا ثُمَّ بَدَأَ لَهُ بَعْدَ مَرَاجَعَةٍ خَامِسَةٍ أَنْ جَعَلَهَا خَمْسًا .

وبغض النظر عن قبولنا بهذه الرواية وعدمه ، فإنّ القول بالبداة عقيدة سليمة تتماشى ومفاهيمهم اللّهُ يَنَ لِلْإِسْلَامِيَّ وَرُوحَ الْقَرَأْنِيَّةِ نَوَ (م ح تَى يَغَيْرُ وَامَا بِأَنْفُسِهِمْ)^(٢) .

ولولا اعتقادنا . سنّة وشيعة . بأنّ الله سبحانه يبدّل ويغيّر ، لما كان لصلاتنا ودعائنا من فائدة ولا تعليل ولا تفسير ، كما أنّنا نؤمن

١ . المصدر السابق .

٢ . الرعد : ١١ .

جميعاً بأنَّ اللهَ سبحانه يبدل الأحكام ، وينسخ الشرائع من نبي لآخر ، بل وحتى في شريعة نبيِّنا صلى الله عليه وآله وسلم هناك ناسخ ومنسوخ ، فالقول بالبداة ليس تكراً ولا خروجاً على الدين وليس لأهل السنَّة أن يشنَّعوا على الشيعة من أجل هذا الاعتقاد، كما أنَّه ليس للشيعة أن يشنَّعوا على أهل السنَّة أيضاً .

والحقيقة أني أرى رواية المعراج هذه مستوجبة لنسبة الجهل إلى الله عزَّ وجلَّ ، وموجبة لانتقاص شخصية أعظم إنسان عرفه تاريخ البشرية ، وهو نبيِّنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم إذ تقول الرواية بأنَّ موسى قال لمحمد : أنا أعلم بالناس منك ، وتجعل هذه الرواية الفضل والمزيدة لموسى الذي لولاه لما خففَّ الله عن أمَّة محمد .

ولست أدري كيف يعلمُ موسى بأنَّ أمَّة محمد لا تطيق حتى خمس صلوات ، في حين أنَّ الله لا يعلمُ ذلك ويكلِّف عباده بما لا يطيقون ، فيفرض عليهم خمسين صلاة؟! وهل تتصور معي أخي القارئ كيف تكون خمسين صلاة في اليوم الواحد ، فلا شغل ولا عمل ، ولا دراسة ولا طلب رزق ولا سعي ولا مسؤولية ، فيصبح الإنسان كالملائكة مكلِّف بالصلاة والعبادة ، وما عليك إلا بعملية حسائية بسيطة لتعرف كذب الرواية ، فإذا ضربت عشر دقائق . وهو الوقت المعقول لأداء فريضة واحدة

للصلاة جماعة . في الخمسين فسيكون الوقت المفروض بمقدار عشر ساعات ، وما عليك إلا بالصبر ، أو أنك ترفض هذا الدين الذي يكلف أتباعه ما يتحمّلون ، ويفرض عليهم ما لا يطيقون .

فإذا كان أهل السنة والجماعة يشنعون على الشيعة قولهم بالدواعي أنّ الله سبحانه وتعالى يبدو له فيغير ويبدل كيف شاغلهاذا لا يشنعون على أنفسهم في قولهم بأنّ الله سبحانه يبدو لفيغير ويبدل الحكم خمسينات في فريضة واحدة وفي ليلة واحدة وهي ليلة المعراج؟

من اللعنة التعصّب الأعمى والعناد المقيت الذي يغطّي الحقائق ويقلبها ظهراً على عقب فيتحامل المتعصّب على من يخالفه في الرأي ، وينكر عليه الأمور الواضحة ، ويقوم بالتشنيع عليه وبثّ الإشاعات ضدّه ، والتحويل في أبسط القضايا ، التي يقول هو بأكثر منها .

وهذا يذكرني بما قاله سيدنا عيسى عليه السلام لليهود عندما قال لهم :
«أنتم تنظرون إلى التبنّة في أعين الناس . ولا تنظرون إلى الخشبة في أعينكم .»
وبالمثل القائل : «رمتني بدائها وانسلت .»
ولعلّ البعض يعترض ب أنّه لم يرد لفظ البداء عند أهل السنة ، وبأنّ

هذه القصّة وإن كان معناها التغيير والتبديل في الحكم ولكن لا تقطع بأزّه بدا لله ّ فيها .
وأقول هذا لأزّه كثيراً ما كنت ُ أستعرض قصّة المعراج للاستدلال بها على القول بالبداء
عند أهل السنّة فاعترض عليّ ّ بعضُهم بهذا الرأي هولكنّههم سلّموا بعدها عندما أوقفتمهم
على رواية أخرى من صحيح البخاري تذكر البداء بلفظة صراحة لا لبس فيها .
فقد روى البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ّ صلى الله عليه وآله وسلم قال : «إنّ
ثلاثة من بني إسرائيل أبرص وأعمى وأقرع بدا لله ّ أن يتليهم ، فبعث إليهم ملكاً فأتى
الأبرص ، فقأليّ: شيء أحبّ إليك؟ فقال : لون حسن وجلد حسن ، قد قدرني الناس
، فمسحه فذهب عنه ، فأعطي لونا حسناً وجلداً حسناً ، ثمّ قال لئىّ: المال أحبّ ّ
إليك؟ فقال : الإبل ، فأعطي ناقة عشراء .
وأتى الأقرع فقأليّ: شيء أحبّ ّ إليك؟ قال شعر حسن ويذهب ُ عني هذا ، قد
قدرني الناس ، فمسحه فذهب عنه وأعطي شعراً حسناً ، ثمّ قال لئىّ: المال أحبّ ّ إليك؟
فقال : البقر ، فأعطاه بقرة حاملاً .
وأتى الأعمى فقأليّ: شيء أحبّ ّ إليك؟ قيل الله ّ بصري ، فمسحه فردّ الله ّ
إليه بصره ، قال فأىّ ّ المال أحبّ إليك؟ قال : الغنم ،

فأعطاه شاة ولوداً ...

ثم رجع الملك بعد أن تكاثرت عند هؤلاء الإبل والبقر والغنم حتى أصبح يملك كلَّ منهم قطيعاً ، فأتى الأبرص والأقرع والأعمى كلَّ على صورته ، وطلب من كلَّ واحد منهم أن يعطيه ممّا عنده ، فردّه الأقرع والأبرص ، فأرجعه الله إلى ماكانا عليه ، وأعطاه الأعمى فزاده الله وأبقاه مبصراً « (١) .

ولهذا أقول لأخواني قول الله تعالى :

آمَنُوا لَا يَسْخَرُوا مِنَّكُمْ لَئِنْ آمَنُوا مِنْكُمْ كَمَا آمَنُوا مِنْكُمْ وَكَانُوا يُنْفِقُونَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُسْرًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ كَمَا آمَنُوا مِنْكُمْ وَكَانُوا يُنْفِقُونَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُسْرًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ كَمَا آمَنُوا مِنْكُمْ وَكَانُوا يُنْفِقُونَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُسْرًا
أَمْ نَدَّبُنَا إِلَى الْقَدْحِ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ كَمَا آمَنُوا مِنْكُمْ وَكَانُوا يُنْفِقُونَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُسْرًا
بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتَّبِعْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢) .

حكماً أتمن كلَّ قلبي أن يثوب المسلمون إلى رشدهم وينبذوا التعصّب ويتركوا العليظة؛ العقلُ محلّها في كلِّ بحث حتى مع أعدائهم ، وليتعلّموا من القرآن الكريم أسلوب البحث والنقاش والمجادلة التي هي أحسن ، فقد أوحى إلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بأن يقول

١ . صحيح البخاري ٤ : ١٤٦ ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب حديث أبرص وأعمى وأقرع صحيح مسلم ٨ : ٢١٣ ، كتاب الزهد والرفائق .
٢ . الحجرات : ١١ .

للمعانيكُدين (إِنَّا لَهَوَّاتِي هُدىً أَوْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ) ^(١) فوسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم يرفع من قيمة هؤلاء المشركين ويتنازل هو ليعطيهم النصف حتى
يُملوا ببرهانهم وأدلتهم إن كانوا صادقين ، فأين نحن من هذا الخلق العظيم.

١ . سبأ : ٢٤ .

التقية

وكما قدّ منا بالنسبة إلى القول بالبداء فإنّ التقيّة هي أيضاً من الأمور المستنكرة عند أهل السنّة والجماعة ، وهم يبنزون بها إخوانهم الشيعة ، ويعتبرونهم منافقين إذ يظهرون ما لا يبطنون!!

وكثيراً ما حاولتُ البعض منهم وحاولتُ إقناعهم بأنّ التقيّة ليست نفاقاً ، ولكنهم لم يقتنعوا بل إنك تجد السامع لهذا يشمئزّ أحياناً ويتعجّب أحياناً أخرى وهو يظنّ أنّ هذه العقائد مبتدعة في الإسلام ، وكأنّها من مختلقات الشيعة وبدعهم.

ولكن إذا بحث الباحث وأنصف المنصف سيجد أنّ هذه العقائد كلّها من صلب الإسلام ، وهي وليدة القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة ، بل لا تستقيم المفاهيم الإسلامية السمحاء ، والشريعة القويمة إلاّ بها.

والأمر العجيب في أهل السنّة والجماعة ، أنّهم يستنكرون عقائد يقولون بها ، وكتبهم وصحاحهم ومسانيدهم مليئة بذلك وتشهد عليهم.

فاقرأ معي مايقوله أهل السنّة والجماعة في مسألة التقيّة :

أخرج ابن جرير ، وابن أبي حاتم من طريق العوفي ، عن ابن عباس في قوله تعالى : (إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً) ^(١) قال المتقيّة باللسان من حمل على أمر يتكلّم به وهو معصية لله فيتكلّم به مخاف الناس وقلبه مطمئن بالإيمان فإنّ ذلك لا يضرّ ه إنّما التقيّة باللسان ^(٢) .
وأخرج الحاكم وصحّحه والبيهقي في سننه من طريق عطاء عن ابن عباس في قوله تعالى : (إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً) قال : التقاة هي التكلّم باللسان ، والقلب مطمئن بالإيمان ^(٣) .

وأخرج عبد بن حميد عن الحسن قال التقيّة جائزة إلى يوم القيامة ^(٤) .
وأخرج عبد بن أبي رجاء إنّه كان يقرأ (إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً) ^(٥) .

١. آل عمران : ٢٨ .

٢. الدر المنثور في التفسير بالمأثور لجلال الدين السيوطي ٢ : ١٦ ، وتفسير الطبري ٣ : ٣١٠ .

٣. السنن الكبرى للبيهقي ٨ : ٢٠٩ ، المستدرک للحاكم ٢ : ٢٩١ ، تفسير الطبري ٣ : ٣١٠ ، الدر المنثور ٢ : ١٦ .

٤. الدر المنثور لجلال الدين السيوطي ٢ : ١٦ .

٥. المصدر السابق.

وأخرج عبدالرزاق ، وابن سعد ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ،
وصححه الحاكم في المستدرک ، والبيهقي في الدلائل ، قال أخذ المشركون عمّار بن ياسر
فلم يتركوه حتى سبّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بوذكر آهتهم بخير ثم تركوه فلمّا أتى
سوق الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : ما وراءك شيء؟ قال شتموا تركت حتى نلت
منك وذكرت آهتهم بخير ، قال : كيف تجد قلبك؟ قال مطمئن بالإيمان ، قال : إن عادوا
إلا مفعول فزكّوتوه (قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ)^(١).

وأخرج ابن سلعة عن محمد بن سيرين : إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عمّاراً
وهو يبكي فجعل يمسح عن عينيه ويقول : أخلصك الكفّار فغطّوك في الماء فقلت كذا
وكذا ، فإن عادوا فقل لهم ذلك^(٢).

وأخرج ابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي في سننه من طريق علي ،
عن ابن عباس في قوله تعالى : (من كفر بالله ...) الآية ، قال أخبر الله سبحانه أنّ من
كفر بالله من بعد إيمانه فعليه غضب من الله وله عذاب عظيم فأمر من أكره فتكلّم بلسانه
وخالفه قلبه بالإيمان لينجوا بذلك من عدوه فلا حرج عليّ الله

١ - سورة النحل : ٥٠٦ والنص في الدر المنثور ٤ : ١٣٢ ، المستدرک للحاكم ٢ : ٣٥٧ ، وسنن البيهقي ٨ :
٢٠٨ .

٢ - الطبقات الكبرى لابن سعد ٣ : ٢٤٩ ، الدر المنثور ٤ : ١٣٢ ، سير أعلام النبلاء ١ : ٤١١ .

سبحانه إنمّا يؤاخذ العباد بما عقدت عليه قلوبهم^(١).

وأخرج ابن أبي شيبة ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن مجاهد قال :
نزلت هذه الآية في أناس من أهل مكة آمنوا ، فكتب إليهم بعض الصحابة بالمدينة : أن
هاجروا فإنّا لا نرى أنكم منّا حتى تهاجروا إلينا ، فخرجوا يريدون المدينة فأدركتهم قريش في
الطريق ففتنهم ، فكفروا مكرهين ، ففيهم نزلت هذه الآية **كُنُزِهِمْ وَقَلْبُهُمْ مَطْمَعَةٌ**
بِالْإِيمَانِ (٢).

وأخرج البخاري في صحيحه في باب المداراة مع الناس ، ويذكر عن أبي الدرداء قال :
إنّا لكشّر في وجوه أقوام وأن قلوبنا لتلعنهم^(٣).

وأخرج الحلبي في سيرته قال نا فتح رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم مدينة
خير ، قال له حجاج بن علاط إن رسول الله ﷺ إن لي بمكة مالا يؤان لي بها أهلاً ، وأنا أريد
أن آتيهم فأنا في حلّ إن أنا نلت منك وقلعت شيئاً؟ فأذن له رسول الله ﷺ
صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول ما يشاء^(٤).

١. الدر المنثور ٤ : ١٣٢ ، تفسير الطبري ١٤ : ٢٣٨ ، سنن البيهقي ٨ : ٢٠٩ .

٢. الدر المنثور ٤ : ١٣٢ ، تفسير القرطبي ١٠ : ١٨١ .

٣. صحيح البخاري ٧ : ١٠٢ ، كتاب الأدب ، باب ٨٣ المداراة مع الناس .

٤. السيرة الحلبية ٣ : ٧٦ ، مسند أحمد ٣ : ١٣٨ ، المصنّف لابن أبي شيبة ٥ : ٤٦٦ ح ٩٧٧١ ، السنن

للنسائي ٥ : ١٩٤ ح ٨٦٤٦ .

وجاء في كتاب إحياء العلوم للإمام الغزالي قوله : « إن عصمة دم المسلم واجبة ،
فمهما كان القصد سفك دم مسلم قد اختفى من ظالم فالكذب فيه واجب »^(١) .
وأخرج جلال الدين السيوطي في كتاب الأشباه والنظائر ، قال : « ويجوز أكل الميتة
في المخمصة ، وإساعة اللقمة في الخمر ، والتلفظ بكلمة الكفر ، ولو عمَّ الحرامُ قطراً بحيث
لا يوجد فيه حلال إلا نادراً ، فإنه يجوز استعمال ما يحتاج إليه »^(٢) .

وأخرج أبو بكر الرازي في كتابه أحكام القرآن في تفسير قوله تعالى : **إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا**
مِنْهُمْ تَقَاةً) قال : يعني أن تخافوا تلف النفس أو بعض الأعضاء ، فتتقوهم بإظهار المولاة
من غير اعتقاده لها ، وهذا هو ظاهر ما يقتضيه اللفظ ، وعليه الجمهور من أهل العلم ، كما
لأجله **تَخَّضِ فِتْنَادَهُ لِقِي هَوْلِهِ وَتَعَالَى الْكُفْرِينَ أَوْ لِيَاءَ مَنْ دُونَ الْمُؤْمِنِينَ**)^(٣) قال
لا يحل للمؤمن أن يتخذ كافراً ولياً في دينه ، وقوله **إِن تَقُوا اللَّهَ لَتُبَدِّلُنَّ أَجْرَكُمْ**)
يقتضي جواز

١ . إحياء علوم الدين ٣ : ٢٠٢ كتاب آفات اللسان ، بيان ما رخص فيه من الكذب .

٢ . الأشباه والنظائر : ٢٠٧ - ٢٠٨ .

٣ . آل عمران : ٢٨ .

إظهار الكفر عند التقيّة»^(١).

وأخرج البخاري في صحيحه عن قتيبة بن سعيد ، عن سفيان ، عن ابن المنذر ، حدّثه عن عروة بن الزبير أنّ عائشة أخبرته أنّها استأذن على النبي صلى الله عليه وآله وسلم رجل ، فقال : إئذنا له فبئس ابن العشيرة أو بئس أخو العشيرة ، فلمّا دخل الآن له الكلام ، فقليلتسؤل الله قلت ماقلت ثمّ ألنت له في القول؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

« أي عائشتموّ الناس منزلة عند اللئق تركه أو ودعه الناس اتقاء فحشيه »

(٢).

وهذا يكفينا دلالة بعد استعراض ماسبق على أنّ أهل السنّة والجماعة يؤمنون بجواز التقيّة إلى أبعاد حدودها من أهمّ جائزة إلى يوم القيامة كما مرّ عليك ، ومن وجوب الكذب كما قال الغزّالي ، ومن إظهار الكفر وهو مذهب الجمهور من أهل العلم كما اعترف بذلك الرازي ، ومن جواز الابتسام في الظاهر واللعن في الباطن كما اعترف بذلك البخاري ، ومن جواز أن يقلبوا لسان مايشاء وينال من رسول الله خوفاً على ماله كما صرّح بذلك صاحب السيرة

١. أحكام القرآن للرازي الجصاص ٢ : ١٢ .

٢. صحيح البخاري ٧ : ٨٦ ، كتاب الأدب ، باب ما يجوز من اغتياب أهل الفساد والريب.

الحلبية ، وأن يتكلم بما فيه معصية الله ^س مخافة الناس كما اعترف به السيوطي .
فلا يزال لأهل السنة والجماعة في التشنيع والإنكار على الشيعة من أجل عقيدة
يقولون بها هم أنفسهم، ويروونها في صحاحهم ومسانيدهم بأنها جائزة بل واجبة ، ولم يزد
الشيعة على ما قاله أهل السنة شيئاً ، سوى أنهم اشتبهوا بالعمل بها أكثر من غيرهم ، لما
لاقوه من الأمويين والعباسيين من ظلم واضطهاد ، فكان يكفي في تلك العصور أن يقال :
هذا رجل يتشيع لأهل البيت حنفاً ، ويقتل ^س شر قتلة على يد أعداء أهل البيت
النبوي .

فكان لا بد له من العمل بالتقية اقتداءً بما أشار عليهم أئمة أهل البيت عليهم السلام
، فقد روي عن الإمام جعفر الصادق إنه قال «التقية ديني ودين آبائي» ^(١) وقال : « من
لا تقية له لا دين له » ^(٢) .

لذلك كانت التقية شعاراً للأئمة أهل البيت أنفسهم دفعاً للضرر عنهم وعن أتباعهم
ومحببهم ، وحقناً لدمائهم واستصلاحاً لحال المسلمين الذين فُتِنُوا في دينهم ، كما فُتِنَ عمَّار
بن ياسر (رضي الله عنه) وحتى أكثر .

١ . الكافي ٢ : ٢١٩ ح ١٢ ، ولفظه : « التقية من ديني ودين آبائي » .

٢ . الكافي ٢ : ٢١٧ ح ٢ ، ولفظه : « لا دين لمن لا تقية له » .

أمّا أهل السنّة والجماعة فقد كانوا يعيدون عن ذلك البلاء؛ لأنهم كانوا في معظمهم يهودهم على وفاق تام مع الحكّام ، فلم يتعرّضوا لا لقتل ولا لنهب ولا لظلم ، فكان من الطبيعي أن ينكروا التقيّة ويشنّعون على العاملين بها ، وقد لعب الحكّام من بني أميّة وبني العباس دوراً كبيراً في التشهير بالشيعة من أجل التقيّة .
وبما أنّ الله سبحانه وتعالى قرآناً يُتلى وأحكاماً تُقضى ، وبما أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو نفسه بها ، كما مرّ عليك في صحيح البخاري ، وأذنه أجاز لعمّار بن ياسر أن يسبّه ويكفر إذا عاوده الكفّار بالتعذيب ، وبما أنّ علماء المسلمين أجازوا ذلك اقتداء بكتاب الله وسنّة فضله؛ تشنيعاً وأيّ استنكار بعد هذا يصحّ أن يوجّه إلى الشيعة؟!

وقد عمل بالثقية الصحابة الكرام في عهد الحكّام الظالمين^(١)

١ - روى ابن حزم في المحلّى ٨ : ٣٣٦ مسألة ١٤٠٩ عن ابن مسعود أنه قال : « ما من ذي سلطان يريد أن يكلفني كلاماً يدرأ عنيّ سوطاً أو سوطين إلّا كنت متكلماً به » ، ثم قال ابن حزم : « ولا يعرف له من الصحابة مخالف » .

وقال السرخسي في المبسوط ٢٤ : ٤٦ و ٤٧ : « وقد كان حذيفة ممن يستعمل التقيّة على ما روى أنه يداري رجلاً . وعن جابر بن عبد الله قال : لا جناح عليّ في طاعة الظالم إذا أكرهني عليها » .
وكذلك استخدم التقيّة التابعين ومنتشرة الأمة الإسلامية :

أمثال معاوية الذي كان يقتل كلَّ من امتنع عن لعن عليّ بن أبي طالب ، وقُصة حجر بن عدي الكندي وأصحابه مشهورة^(١) وأمثال

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء ٤ : ٢٢٧ : « لما استخلف الوليد قدم المدينة فدخل المسجد ، فرأى شيخاً قد اجتمع عليه الناس ، فقال : من هذا؟ قالوا بسعيد بن المسيّب فلمّا جلس أرسل إليه ، فأتاه الرسول فقال : أجب أمير المؤمنين! فقال لعلّك أخطأت باسمي أو لعلّك أرسلت إلى غيري ، فردّ الرسول ، فأخبره ، فغضب وهمّ به . قال : وفي الناس يومئذ تقية .. » .

وقال أيضاً في السير ١٠ : ٤٨١ . في ترجمة سعدويه بن سليمان ، وبعد أن وصفه بالحافظ الثبت الإمام . : « وأما أحمد بن حنبل فكان يغض منه ، ولا يرى الكتابة عنه ، لكون أجاب في المحنة تقية .. » .
وقال في ترجمة أبو نصر التمار ١٠ : ٥٧١ : « .. وقال أبو الحسن الميموني ضحّ عندني أنه . يعني أحمد لم يحضر أبا نصر التمار حين مات ، فحسبت أنّ ذلك لما كان أجاب في المحنة . قلت : أجاب تقية وخوفاً من النكال وهو ثقة بحاله والحمد لله .. » .

وقال في السير ١١ : ٨٧ : « قال سعيد بن عمرو البرذعي : سمعت الحافظ أبا زرعة الرازي يقول : كان أحمد بن حنبل لا يرى الكتابة عن أبي نصر التمار ، ولا عن يحيى بن معين ، ولا عن أحد ممن أجاب في المحنة . قلت : هذا أمر ضيق ولا حرج على من أجاب في المحنة ، بل ولا على من أجبر على صريح الكفر عملاً بالآية . وكان يحيى (رحمه الله) من أئمة السنّة ، فخاف من سطوة الدولة ، وأجاب تقية .. » .
١. ذكر في كشف الجاني : ٦١ أنّ المؤلّف ادّعى على معاوية ثلاث دعاوى :

أ. إنَّ الصحابة كانوا يستخدمون التقيّة مع معاوية.

وقال : « هذا كذب ».

ب. إنَّ معاوية كان ظالماً .

وقال : « هذا كذب ، بل هو إمام عادل ».

ج. إنَّ معاوية كان يقتل شيعة عليّ والممتنعين عن لعنه.

وقال : « هذا كذب ».

وهذه التكنيفيا الثلاثة ليست صحيحة ، بل الحقّ مع المؤلّف من كون معاوية ظالماً ، وكان الصحابة يتوقون بطشه وكيده.

ومن يقرأ كلام عثمان الخميمس في كشف الجاني يرى العجب العجاب ، ويحيل إليه أنه لم يطلع على الكتب التاريخية والروائية التي ذكرت جرائم معاوية وما ارتكبه بحقّ أهل البيت وشيعتهم ، وما اقترفه من ظلم وتعدّي بحقّ الشريعة الإسلامية والسنة النبوية.

وأمرّ ما ذكره التيجاني ، فهو الصواب الذي نطقت به الأخبار وطفحت به الآثار :

أما النقطة الأولى :

فإنَّ الصحابة كانوا يستخدمون التقيّع معاوية ، لانقاء شرّه وأذاه والابتعاد عن الوقوع في فلك ظلمه

ويطشه :

فقد أخرج ابن عساكر بسنده قال: « ما قدم بسر بن أرطأة المدينة أخذ الناس بالبيعة ، فجاءت بنو

سلمة ، وتغيّب جابر ، قال : لا أبايعكم حتى يجيء جابر ، قال : فانطلق جابر الى أم سلمة فسألها ، فقالت :

هذه بيعة لا أرضاها ، إذهب فبايع تحقن دمك » تاريخ دمشق : ١١ : ٢٣٥ ، الاستيعاب لابن عبد البر ١ :

وكذلك استخدم التقيّة التابعين ومنتشرة الأئمّة الإسلامية : قال الذهبي في سير أعلام النبلاء ٤ : ٢٢٧ :

« . لما استخلف الوليد قدم المدينة فدخل المسجد ، فرأى شيخاً قد اجتمع عليه الناس ، فقال : من هذا؟ قالوا : سعيد بن المسيّب فلمّا جلس أرسل إليه ، فأتاه الرسول فقال : أجب أمير المؤمنين! فقال : لعلك أخطأت باسمي أو لعلّه أرسلك إلى غيري ، فردّ الرسول ، فأخبره ، فغضب وهم به . قال وفي الناس يومئذ تقيّة .. » .

وقال أيضاً في السير ١٠ : ٤٨١ . في ترجمة سعدويه بن سليمان ، وبعد أن وصفه بالحافظ الثبت الإمام .

وأحمد بن حنبل فكان يغض منه ، ولا يرى الكتابة عنه ، لكونه أجاب في المحنة تقيّة .. » .

وقال في ترجمة أبو نصر التمار ١٠ : ٥٧١ : « .. وقال أبو الحسن الميموني صحّ عندي أنّه . يعني أحمد . لم يحضر أبا نصر التمار حين مات ، فحسبت أنّ ذلك لما كان أجاب في المحنة . قلت أجاب تقيّة وخوفاً من النكال وهو ثقة بحاله والحمد لله » .

وقال في السير ١١ : ٨٧ : « قال سعيد بن عمرو البرذعي : سمعت الحافظ أبا زرعة الرازي يقول : كان أحمد بن حنبل لا يرى الكتابة عن أبي نصر التمار ، ولا عن يحيى بن معين ، ولا عن أحد ممن أجاب في المحنة . قلت : هذا أمر ضيق ولا حرج على من أجاب في المحنة ، بل ولا على من أجبر على صريح الكفر عملاً بالآية . وكان يحيى (رحمه الله) مائمة السنّة ، فخاف من سطوة الدولة ، وأجاب تقيّة .. » .

وفي كتاب الثقات لابن حبان ٢ : ٢٩٩ : « ... فدخل جابر على أم سلمة وقال :

يا أمّاه إنّي خشيت على دمي ، وهذه بيعة ضلال! فقالت : أرى أن تباع ، فخرج جابر فباع بسر بن أرطأة لمعاوية كارهاً .»

فهذا جابر تأمره أم سلمة أن يحقن دمه ويبيع ، أي يتقي بسر بن أرطأة الذي أرسله معاوية للمدينة لأخذ البيعة له ، بل ويصرّح في رواية ابن حبان أنها بيعة ضلال مع أنه بايع!! وحينئذ لا معنى لبيعته إلا أنها تقية من بني أمية وبطش معاوية.

وقال الإمام الشوكاني في نيل الأوطار : « قوله : إن زياد بن أبي سفيان ، وقع التحديث بهذا في زمن بني أمية ، وأمّا بعدهم فما كان يقال له إلا زياد بن أبيه ، وقبل استلحاق معاوية له كان يقال له زياد بن عبيد ... فلمّا كان في أيام معاوية شهد جماعة على إقرار أبي سفيان بأنّ زياداً ولده فاستلحقه معاوية بذلك وخالف الحديث الصحيح : إنّ الولد للفراس وللعاهر الحجر ، وذلك لغرض دنيوي ... وقد أجمع أهل العلم على تحريم نسبته إلى أبي سفيان ، وما وقع من أهل العلم في زمان بني أمية فإنّ ما هو تقية .» نيل الأوطار : ٥ : ١٩٤ .
فهذه رواية وشهادة من علم من أعلام أهل السنّة على سطوة معاوية وظلمه التي حدث بالصحابة وغيرهم لاستخدام التقية معه.

وأما النقطة الثانية :

عاقولنّ كافي ظالماً معتدياً على حقّ الله وحقّ عباده ، بل ارتكب معاوية ما هو أشدّ من الظلم والبغي والخروج على الإمام الذي تجب طاعته ، وهذه الروايات والأقوال تبين ظلم معاوية وبغيه :
روي البيهقي وابن أبي شيبّة وابن عساكر بسند متصل عن عمّار بن ياسر أنه : « لا تقولوا كافر أهل الشام ، ولكن قولوا فسقوا أو ظلموا » السنن الكبرى

٨ : ١٧٤ ، مصنّف ابن أبي شيبة : ٨ : ٧٢٢ ، تاريخ ابن عساكر ١ : ٣٤٧ .

٢ . وعن علي عليه السلام أنه قال : « لا تقولوا كفر أهل الشام : ولكن قولوا فسقوا أو ظلموا » ،
كنز العمال : ٥ : ٥٦٧ .

وأما أقوال علماء السنة في ظلم معاوية وبغيه فهي :

١ . قال الإمام ابن خزيمة : «وكل... من نازع أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب في إمارته فهو باغ. عليّ هذا عهدت مشايخنا وبه قال ابن ادريس - يعني الشافعي - (رحمه الله) « الاعتقاد للبيهقي : ٥٠٢ ، تحقيق عبد الله محمد الدرويش .

٢ . وقال الإمام أبو منصور البغدادي أجمع أصحابنا على أن عليّاً (ﷺ) كان مصيباً في قتال أصحاب الجمل وفي قتال أصحاب معاوية بصفين. وقالوا في الذين قاتلوه في البصرة إنهم كانوا على الخطأ ، وأمّا أصحاب معاوية فإنهم بغوا وسمّاهم النبي (ﷺ) بغاة في قوله لعمرّار : « تقتلك الفئة الباغية » ، ولم يكفروا بهذا البغي « أصول الدين : ٢٨٩ - ٢٩٠ ، ونحوه في كتاب الفرق بين الفرق : ٣٥٠ .

٣ . وقال الإمام البيهقي وأمه «أخرج من خروج عليّ أمير المؤمنين عليّ (ﷺ) مع أهل الشام في طلب دم عثمان ، ثمّ منازعته إياهم في الإمارة فإنّه غير مصيب فيما فعل و... إن الذي خرج عليه ونازعه كان باغياً ، وكان رسول الله (ﷺ) أخبر عمرّار بن ياسر بأنّ الفئة الباغية تقتله ، فقتله هؤلاء الذين خرجوا على أمير المؤمنين عليّ (ﷺ) في حرب صفين « الاعتقاد للبيهقي : ٥٠١ .

٤ . قال الإمام القرطبي : « . فتقرّر عند علماء المسلمين وثبت بدليل الدين

أَنَّ عَلِيًّا كَانَ يَأْمُرُنَا كُلَّ مَنْ خَرَجَ عَلَيْهِ بَاغًا ، وَأَنَّ قِتَالَهُ وَاجِبٌ حَتَّى يَفِيءَ إِلَى الْحَقِّ وَبِنِقَادٍ إِلَى الصَّلْحِ »
تفسير القرطبي ١ : ٣١٨ .

وقال في المفهم : « قوله : (أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي . ثلاثاً) هذه الوصية وهذا التأكيد العظيم يقتضي وجوب احترام آل النبي **صلى الله عليه وآله وسلم** وأهل بيته . ومجربتهم ووجوب الفروض المؤكدة .. هذا مع ما علم من خصوصية تنهم بالنبي **صلى الله عليه وآله وسلم** بأهم جزء منه ، فإنهم أصوله التي نشأ منها وفروعه التي تنشأ عنه ، ومع ذلك فقابل بنو أمية عظيم هذه الحقوق بالمخالفة والعقوق ، فسفكوا من أهل البيت دملهم ، وسبوا نساءهم وخربوا ديارهم ، وجحدوا شرفهم وفضلهم ، واستباحوا سبهم ولعنهم ، فخالفوا رسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم** في وصيته ، وقابلوه بنقيض مقصوده وأمنيته .. » المفهم لما أشكل من صحيح مسلم ٦ : ٣٠٤ .

وفي اللغة : البغي : بمعنى الظلم والفساد ، لسان العرب ١٤ : ٧٨ .

٥ . وصف الإمام الذهبي . وهو المعروف بميله لمذهب أهل الشام . معاوية بأنه المرئي لأهل الشام على النصب والعداء لأهل البيت **عليهم السلام** ، على خلاف ما نطق به القرآن ، وطفحت به الآثار من وجوب ودية ومحبة أهل البيت **عليهم السلام** فيخالف معاوية القرآن ويسنّ قوانين وسنن على هواه ، يقول الإمام الذهبي : « خلف معاوية خلف كثير يجربونه ويغالون فيه ويفضلونه .. وفيهم جماعة يسيرة من الصحابة ، وعدد كثير من التابعين والفضلاء ، وحاربوا معه أهل العراق ونشأوا على النصب » سير أعلام النبلاء ٣ : ١٢٨ (ترجمة معاوية بن أبي سفيان) .

وقال في وصف طائفة معاوية : « هم طائفة من المؤمنين بغت على الإمام

عليّ ، وذلك بنصّ قول المصطفى صلوات الله عليه لعمّار : « تقتلك الفئة الباغية » ولا نرتاب أن عليّ لم أفضل ممّن حاربه ، وأنه أولى بالحقّ رضي الله عنه « سير أعلام النبلاء ٨ : ٢٠٩ .

ولا بأس بالإشارة إلى ما في كلام الذهبي من تحافت ، طبقاً لنشأته الشامية وما يحملونه تجاه أهل البيت عليهم السلام أنه وصف أتباع معاوية بأنهم بغاة ، وأنهم نشأوا على النصب للذي غذاهم معاوية به ، ثمّ يأتي بعد ذلك ويصفهم بـ (الإيمان)! مع أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي بن أبي طالب عليه السلام لا « بلك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق » صحيح مسلم ١ : ٦١ .

فمبغض عليّ عليه السلام ناصبيّاً منافقاً بحكم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فلا معنى لأن نصف من حكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنفاقه بالإيمان اللهم إلا على مبنى الشاميين النواصب الذين يرون النصب ديانة وإيماناً وحبّ عليّ كفرةً ونفاقاً والله في كلام المحدثين شؤون .

٦ . وقال ابن تيمية الحرانيّ سبّ عليّ فإنه كان شائعاً في أتباع معاوية ، ولهذا كان عليّ وأصحابه أولى بالحقّ وأقرب إلى الحقّ من معاوية وأصحابه وكان سبّ عليّ ولعنه من البغي الذي استحقت به الطائفة أن يقال لها الطائفة الباغية ، كما رواه البخاري في صحيحه عن خالد الحذاء ، عن عكرمة قال : قال لي ابن عباس ولابنه علي : انطلقا إلى أبي سعيد واسمعا من حديثه ، فانطلقنا ، فإذا هو في حائط يصلحه ، فأخذ رداءه فاحتجى به ، ثمّ أنشأ يحدثنا ، حتى إذا أتى على ذكر بناء المسجد فكلّنا نحمل لبنة لبنة ، وعمّار لبنتين لبنتين ، فرآه النبي (ﷺ) فجعل ينفض التراب عنه ويقول : « يح عمّار تقتله الفئة الباغية ، يدعوهم إلى الجنة ويدعونهم إلى النار » ، قال يقول عمّار :

أعوذ بالله من الفتن.

ورواه مسلم عن أبي سعيد. أيضاً. قال : ...

وهذا أيضاً يدل على صحة إهلبيّ ، ووجوب طاعته ، وأنّ الداعي إلى طاعته داع إلى الجذّة ، والداعي إلى مقاتلته داع إلى النار ، وإن كان متأوّلاً .
وهو دليل على أنه لم يكن يجوز قتال عليّ ، وعلى هذا فمقاتله مخطئ وإن كان متأوّلاً أو باغ بلا تأويل ، وهو أصح القولين لأصحابنا ، وهو الحكم بتخطفة مقاتل عليّ ، وهو مذهب الأئمة الفقهاء الذين فرعوا على ذلك قتال البغاة المتأولين .

وكذلك ذكر يحيى بن معين على الشافعي استدلاله بسيرة عليّ في قتال البغاة المتأولين ، قال : أيجعل طلحة والزبير بغاة لردّ عليه الإمام أحمد فقال : ويحك وأي شيء يسمه أن يضع في هذا المقام يعني إن لم يقتد بسيرة عليّ في ذلك لم يكن معه سنة من الخلفاء الراشدين في قتال البغاة « الفتاوى لابن تيمية ٤ : ٢٦٧ .
٢٦٨ .

٧ . وقال الإمام ابن كثير الدمشقي : «هذا مقتل عمّار بن يسار (رضي الله عنه) مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، قتله أهل ثلثام ، وبان وظهر سرّ ما أخبر به الرسول (صلى الله عليه وآله) من أنّّه تقتله الفئة الباغية ، وبان بذلك عليّاً محقّقاً ، وأنّ معاوية باغ « البداية والنهاية ٧ : ٢٩٦ .

٨ . وقال ابن حجر العسقلاني : «... ثبت أن أهل الجمل وصفين والنهروان بغاة « التلخيص الحبير ٤

: ٤٤ .

وقال بعد ذكره لحديث الخوارج وفيّ هذا الحديث من الفوائد غير ما تقدم منقبة عظيمة لعليّ ، وأنه

كان الإمام الحقّ ، وأنه كان على الصواب في قتال

من قاتله في حروبه في الجمل وصفين وغيرهما « فتح الباري ١٢ : ٢٩٩ .

وقال . أيضاً . بعد أن ذكرنا حديث عمّار في « هذا الحديث علم من أعلام النبوة ، وفضيلة ظاهرة لعليّ ولعمّار ، ورد على النواصب الزاعمين أنّ عليّاً لم يكن مصيباً في حروبه » فتح الباري ١٢ : ١١٣ .

وفي هذا يشير ابن حجر إلى عثمان الخميس ومن على شاكلته الذين يدافعون عن معاوية بن أبي سفيان حيفاً على علي بن أبي طالب **عليه السلام** ، وعلى الذين يمدحون صلح الحسن **عليه السلام** نكايته بعلي بن أبي طالب ، وطعناً مبطناً يجره على بغاة الجمل وصفين الذين فرّقوا كلمة المسلمين ، واستباحوا دماء المسلمين لأجل مصالحهم الخاصة ومنافعهم الآنية .

٩ . وقال الإمام شمس الدين الشربيني : « فصل : في قتال البغاة :

جمع باغ ، والبغي الظلم ومجاوزة الحدّ ، سمّوا بذلك لظلمهم وعدوئهم عن الحقّ ، والأصل فيه آية ﴿ **إِنَّ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا** ﴾ .. (ويقاتل أهل البغي) وجوباً كما استفيد من الآية المتقدمة ، وعليهول عليّ رضي الله تعالى عنه . في قتال صفين والنهروان « الاقناع ٢ : ٢٢ .

١٠ . وقال الشيخ ملاّ علي القاري : (.. « تقتلك الفئة الباغية » أي الجماعة الخارجة على إمام الوقت وخليفة الزمان ، قال الطبريّ تزيّح عليه بسبب الشدة التي يقع فيها عمار من قبل الفئة الباغية ، يريد به معاوية وقومه فإنه قتل يوم صفين .

وقال ابن مالك أنّ عمّاراً قتل معاوية وفتته ، فكانوا طاغين باغين بهذا الحديث عمّاراً كان في عسكر عليّ ، وهو المستحقّ للإمامة فامتنعوا عن بيعته .

. إلى أن يقول . : فإذا كان الواجب عليه أن يرجع عن بغيه باطاعته الخليفة ويترك المخالفة وطلب الخلافة المنيفة ، فتبين بطلانها كان في الباطن باغياً وفي الظاهر مستتراً بدم عثمان مراعيًا مرثياً ، فجاء هذا الحديث عليه ناعياً ، وعن عمله ناهياً ، لكن كان ذلك في الكتاب مسطوراً فصار عنده كل من القرآن والحديث مهجوراً ، فرحم الله من أنصف ولم يتعصب ولم يتعمد ف «مرقاة المفاتيح في شرح مشكاة المصابيح ، ملاً علي القاري ١١ :

١٧ . ١٨ .

١١ . وقال المناوي : « وقال الإمام عبد القادر الجرجاني في كتابه الإمامة :

أجمع فقهاء العراق والحجاز من فريقَي الحديث والرأي ، منهم : مالك والشافعي وأبو حنيفة والأوزاعي والجمهور الأعظم من المتكلمين والمسلمين علياً مصيب في قتاله لأهل صفين... وإن الذين قاتلوه بغاة ظالمون .« فيض القدير في شرح الجامع الصغير ٦ : ٤٧٤ .

١٢ . وقال الشيخ أحمد حافظ حكيمي : « وأما علي (عليه السلام) فكان مجتهداً مصيباً ، وفالجاً محقاً ، يريد جمع كلمة الأمة فكان أهل الشام بغاة اجتهدوا فأخطأوا ، وعلي (عليه السلام) بمقاتلتهم ليرجعوا إلى الحق ويفيئوا إلى أمر الله ، ولهذا كان أهل بدر الموجودون على وجه الأرض كلهم في جيشه ، وعمار قتل معه (عليه السلام) كما في الصحيحين من حديث أبي سعيد في بناء المسجد ، فقال كنت أنا نحمل لبنة لبنة ، وعمار لبنتين ، فرآه النبي (صلى الله عليه وسلم) فجعل ينفذ التراب عنه ويقول : «يح عمار تقتله الفئة الباغية ، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار » ، قال يقول عمار أعوذ بالله من الفتن ، فتله أهل الشام ، مصداق ما أخبر الصادق المصدّق (عليه السلام) ، وهو يدعوهم إلى الطاعة والائتلاف التي هي من أسباب دخول الجنة ، ويدعونه إلى الفتنة والفرقة التي هي من أسباب

دخول النار « معارج القبول ٢ : ٤٦٨ .

١٣ . وقال الشيخ عبد العزيز بن باز نـ « . . . وقعت الفتنة في عهد الصحابة . رضي الله عنهم . أشبهت على بعض الناس ، وتأخر عن المشاركة فيها بعض الصحابة من أجل أحاديث الفتن كسعد بن أبي وقاص ومحمد بن مسلمة وجماعة . رضي الله عنهم . ، ولكن فقهاء الصحابة الذين كان لهم من العلم ما هو أكمل قاتلوا مع علي لأنه أولى الطائفتين بالحق ، وناصروه ضد الخوارج وضد البغاة الذين هم من أهل الشام لما عرفوا قى الجواناً علياً مظلوم ، وأن الواجب أن ينصر ، وأنه هو الإمام الذي يجب أن يتبع ، وأن معاوية ومن معه بغوا عليه بشبهة قتل عثمان .

والله جلَّ وعلا يفتون في كتابه العظيم: ﴿يَدِينُ أَقْتَةً لِمَا جَاءُوا بِهِ نَذَاهُمْ فَاِنْ بَعَثَ إِحْدَاهُمْ مَاءً لَمْ يَأْتِ بِغَيْرِهَا لِمَا لَمْ يَكُنْ لَكُمْ بِهِ حَقٌّ﴾ ، ما قال : (فاعتزلوا للأقيل : (فقته حتى تفيء إلى أمر مائة فأصموا بالله نذاهم فإنا بؤله بدل وأفسطوا إن الله يحبُّ المفسطين) ، فإذا عرف الظالم وجب أن يساعد المظلوم لتوفقاته التي (تبهغي حتى تفيء أملي الله) . والباغون في عهد الصحابة معاوية وأصحابه ، والمعتدلة علي وأصحابه فهذا نصرهم أعيان الصحابة ، نصروا علياً وصاروا معه كما هو معلوم « فتاوى ومقالات متنوعة ٦ : ٨٠ .

هذا نزر يسير من ظلم معاوية وبغيه وكلمات علماء السنة في حقه ، ذكرناها حتى يتضح للقارئ مدى بُعد هؤلاء عن الحق والدين القويم ، إذ مجادوا من هدم الدين ونصب العدا لأهله ورفعوه عالياً ، بينما هم يطعنون في أنصار الدين وحملته من أهل البيت وأصحابه المنتجبين .

أما النقطة الثالثة فهي الواقع الذي لا هفو إذ يفتّ معاوية بنى خلافته على سبِّ عليٍّ بن أبي طالب والنيل منه ، بل وسبِّ النبي **صلى الله عليه وآله وسلم** ، فضلاً عن قتل شيعة عليٍّ عليه السلام :

أخرج ابن ماجة في سننه عن سعد بن أبي وقاص قال : « قدم معاوية في بعض حجاته ، فدخل عليه سعد ، فذكروا علياً ، فنال منه ، فغضب سعداً وقال تقول هذا لرجل سمعت رسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم** يقول فيه : من كنت مولاه فعلي مولاه ، وسمعته يقول : أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبيَّ بعدي ، وسمعته يقول لأعطين الراية اليوم رجلاً يحب الله **رسوله** .»

وعلق الشيخ محمد **د ناصر الدين الألباني** في كتابه صحيح ابن ماجه ١ : ٧٦ ح ١٢٠ بقوله : صحيح الصحيحة ٤ : ٣٣٥ ، « (فنال منه) أي : نال معاوية من عليٍّ وتكلم فيه .»

وقال محمد **د فؤاد عبد الباقي** في تعليقه على الحديث : « قوله : (فنال منه أي نال معاوية من عليٍّ ووقع فيه وسبّه » سنن ابن ماجه ، تحقيق عبد الباقي ١ : ٨٢ ح ١٢١ .

وقال الإمام الذهبي في ترجمة عمر بن عبدالعزيز : « .كان الولاة من بني أمية . قبل عمر بن عبدالعزيز . يشتمون رجلاً . رضي الله فلمعنا! ولي هو أمسك عن ذلك ، فقال كثيرٌ عَزَّة الخزاعي :

وليت فلم تشتم علياً ولم ذُفِّ رِياً ولم تتبّع مقالته مجرم! »

سير أعلام النبلاء ٥ : ١٤٧ .

وقال ابن تيمية الحراني وأبى عليٍّ فأبغضه وسبّه أو كفره الخوارج وكثير من بني أمية وشيعتهم الذين قاتلوه وسبّوه ..

وأما شيعة عليّ الذين شايعوه بعد التحكّم ، وشيعة معاوية التي شايعته بعد التحكيم ، فكان بينهما من التقابل وتلاعن بعضهم ما كان .

وكذلك تفضيل عليّ عليه [يعني على لهثيكلن] مشهوراً فيها ، بخلاف سبّ عليّ فإذّه كان شائعاً في أتباع معاوية .»

مجموعة الفتاوى ٤ : ٢٦٧ .

وهذا الإمام الأوزاعي صاحب المذهب المنتشر في الشام إلى سنة ٣٤٠ هـ وأكثر والذي ولي القضاء ليزيد بن الوليد الأموي ، يصف الحال الذي كانت عليه الشام وولاتها : « يقول عيسى بن يونس : سمعت الأوزاعي يقول أخذنا العطاء حتى شهدنا على عليّ بالنفاق لولترّ أنا منه !! وأخذنا علينا بذلك الطلاق والعناق وإيمان البيعة » سير أعلام النبلاء ٧ : ١٣٠ ، ترجمة الإمام الأوزاعي .

وقال ابن الأثير في أحداث سنة ٥١ : « في هذه السنة قتل حجر بن عدي وأصحابه . وسبب ذلك : لمّا وية استعمل المغيرة بن شعبة على الكوفة سنة إحدى وأربعين ، فلمّا أمّره عليها دعاه وقال له أمّا بعد ؛ إنّ لذي الحلم قبل اليوم ما تفرع العصا ، وقد يجزي عنك الحكيم بغير التعليم ، وقد أردت إيصاءك بأشياء كثيرة أنا تاركها اعتماداً على بصرك ، ولست تاركاً إيصاءك بخصلة تترك شتم عليّ وذمّه ، والترحم على عثمان والاستغفار له ، والعيب لأصحاب عليّ والإقصاء لهم .. » .

وقال ابن كثير الدمشقي في حوادث سنة ١٠٦ : « حجّ بالناس في هذه السنة أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك ، وكتب إلى أبنينا قبل دخوله المدينة ليتلقاه ويكتب له مناسك الحجّ ، ففعل ، فلتقّاه الناس من المدينة إلى أثناء

الطريق ، وفيهم الزيادة قد أمتثل ما أمر به ، وتلقاه فيمن تلقاه سعيد بن عبد الله بن الوليد بن عثمان بن عفان ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، إن أهل بيتك في مثل هذا المواطن الصالحة لم يزالوا يلعنون أبا تراب ؛ فالعنه أنت . أيضاً .. « البداية والنهاية ٩ : ١٧١ ، والكامل في التاريخ ٥ : ١٣٠ .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل أخذ معاوية يقتل شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام ، وأمرهم بالبراءة منه ولعنه وسب ، ويكفي لمن يتصفح التاريخ أن يرى ذلك بأمر عينه واضحاً ، ويكفي ما فعله بحجر بن عدي وأصحابه :

فقد روى ابن عساکر في تاريخه ٨ : ٢٥ بعد أن أرسل حجر بن عدي وأصحابه إلى معاوية وحبسهم : « فقال لهم رسول معاوية : قد أمرنا أن نعرض عليكم البراءة من علي ، إن فعلتم تركناكم ، وإن أبيتم قتلناكم ، وإن أمير المؤمنين يزعم أن دماءكم قد حلت له بشهادة أهل مصركم عليكم ، غير أنه قد عفى على ذلك ، فأبرأوا من هذا الرجل نخل سبيلكم .»

وفي الكامل لابن الأثير ٣ : ٤٨٥ (حوادث سنة ٥١) : « قالوا لهم قبل القتل : إننا قد أمرنا أن نعرض عليكم البراءة من علي واللعن له ، فإن فعلتم تركناكم ، وإن أبيتم قتلناكم .»

وفي سير أعلام النبلاء للذهبي ٦ : ٦٦٤ رقم ٩٥ : « لما أتى معاوية بحجر قال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، قال : أو أمير المؤمنين أنا! اضربوا عنقه ... وقيل : إن رسول معاوية عرض عليهم البراءة من رجل والتوبة .»

وذكر الذهبي اسم ذلك الرجل في كتاب تاريخ الإسلام ٤ : ١٠٩٤ وهو علي بن أبي طالب

عليه السلام.

وفي المستدرک : كتاب معرفة الصحابة ، في مناقب حجر بن عدي : أنه قتل

في موالاة علي.

وأما شدة معاوية وجوره على شيعة عليّ فكثير ، ورد في مصادر كثيرة بأرقام كبيرة :
قال الذهبي في سير أعلام النبلاء ٣ : ١٣٧ : « ورجع معاوية بالألفة والاجتماع ، وبايعه أهل الشام بالخلافة . فكان يبعث الغارات فيقتلون من كان في طاعة عليّ » .
وفي الإصابة ١ : ٤٢٢ (في ترجمة بسر بن أرطأة) قال ابن حجر : « وكان من شيعة معاوية ، وكان معاوية وجّهه إلى اليمن والحجاز . وأمر أن ينظر من كان في طاعة عليّ فيوقع بهم ، ففعل ذلك » .
وفي أسد الغابة ١ : ٨٠ : « كان معاوية سيرّه إلى الحجاز واليمن ليقتل شيعة عليّ » .
وفي تاريخ دمشق ١٠ : ١٥٢ : « بعث معاوية بسر بن أرطأة إلى المدينة ومكة واليمن يستعرض الناس فيقتل من كان في طاعة عليّ أبي طالب » .
وكذلك في تهذيب الكمال للمزي ٤ : ٦١ و ٦٦٥ ، وتهذيب التهذيب ١ : ٤٣٥ (ترجمة بسر) .
وفي أنساب الأشراف للبلاذري ٤٥٤ : « قال معاوية لبسر لما وجهه للغارة : ثم امض إلى صنعاء فإنّ لنا يعة بماواشنعن بهم على عمال عليّ وأصحابه ، فقد أتاني كتابهم ، واقتل كلّ من كان في طاعة عليّ إذا امتنع من بيعتنا ، وخذ ما وجدت لهم من مال » .
وفي الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١ : ٢٠٣ : « كتب الإمام الحسن إلى معاوية كتاباً قال فيه : أولست قاتل الحضرمي الذي كتب إليك فيه زياد أنه عليّ » .

دين عليّ «.

وقال الجاحظ في البيان والتبيين ١ : ٢٦٦ : «وجلس معيق رضي الله تعالى عنه بالكوفة يبائع على اءة من البرعليّ بن أبي طالب كرّم الله تعالى وجهه ، فجاءه رجل من بني تميم فأراد على ذلك ، فقال : يا أمير المؤمنين نطيع أحياءكم ولا نبرأ من موتاكم ، فالتفت إلى المغيرة فقال: هذا رجلٌ فاستوص به خيراً .»
وذكر الزركلي في الأعلام ٣ : ٣٠٣ في ترجمة عبد الرحمن بن حسان العنزي : « فدعاه معاوية إلى البراءة من عليّ ، فأغلظ عبد الرحمن في الجواب ، فردّه إلى زياد فدفنه حيناً .»

وأيضاً في تاريخ مدينة دمشق ٨ : ٢٧ .

وبعد كلّ هذه الحقائق ، لا يمكن مدّّع أن يدافع عن معاوية وأمثاله الذين حكموا الأمة بالظلم والطغيان ، ومنعوا ربيع الإسلام أن يغطي المعمورة بعدله وحلمه ، وحرّموا الأمة من نبع الدين الصافي وضافه الفضفاض وهم أهل البيت عليهم السلام ، فعاملوهم قتلاً وساوروهم سجنًا ، ومنعوا الأمة من الأخذ عنهم وأبعدوهم عن وصية نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم في الثقلين.

فمن يكون هكذا حاله ، فكيف يكون إماماً ، فضلاً عن كونه عادلاً؟!!

وعلاوة على ذلك نقول إنّ هنالك أحاديثاً كثيرة وردت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ذمّ معاوية بن أبي سفيان ، وإنّه لم يدخل الإسلام إلّا بعدما أيقن الفتك وأن لا يخلّده ولبيّنة عموماً إلّا الدخول في الدين وإظهار الطاعة ، وإبطان النفاق والغدر والخيانة ، فمعاوية ابن أبي سفيان لم يكن ممّن حسن إسلامه فضلاً عن أن يكون خليفة للمسلمين! والإسلام يبرأ منه ونذكر قسماً يسيراً

من الأحاديث النبوية الصحيحة التي تبيّن حقيقةه وتكشف هويته ، وردت على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم من طرق أهل السنة :

١ . حديث : « إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه » .

رواه ابن حبان في كتابه المجروحين ٢ : ١٧٢ قال أخبرنا الطبري عن محمد بن عبد ابن صالح ، ثنا عباد بن يعقوب الروليج عن شريك بن عاصم ، عن زر عن عبد الله بن مسعود .

وسند الحديث حسن ، فعباد بن يعقوب الرواجي ثقة شيعي ، وشريك صدوق ، وعاصم صدوق ، وزر بن حبيش فتحة جليل ، وعبد الله بن مسعود صحابي .

وفي الكامل لابن عدي ٦ : ١١٢ قال حدثنا علي بن سعيد ، حدثنا الحسين بن عيسى الرازي ، حدثنا الفضل بن الفضل ثنا محمد بن إسحاق ، عن محمد بن ابن إبراهيم التيمي ، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف ، عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إذا رأيتم فلاناً على المنبر فاقتلوه » .

والإسناد صحيح رجاله ثقات ، فشيخ ابن عدي وهو علي بن سعيد فهو ثقة ثبت . وابن عدي من المثبتين في الأخذ ، والحسين بن عيسى الرازي فهو صدوق ، كما ذكر ذلك الرازي في الجرح والتعديل ٣ : ٦٨ . وأما سلمة بن الفضل الأبرش فهو صدوق قال عنه ابن جرير : ليس من لدن بغداد إلى أن تبلغ خراسان أثبت في ابن إسحاق من سلمة بن الفضل .

ومحمد بن إسحاق صدوق وهو من رجال مسلم والسنن الأربعة .

ومحمد بن ابن إبراهيم التيمي فهو ثقة ، وشيخه أبو أمامة بن سهل بن حنيف فهو معدود من الصحابة ، فالحديث صحيح .

وغير هذين الإسنادين الصحيحين توجد هناك متابعات تشهد لهما وعليه فالحديث صحيح ويكون معاوية على قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مستحقاً للقتل عند إستيلائه دفّة الحكم وزمام أمر المسلمين.

٢ . حديث : لا أشبع الله بطنه .»

فقد روى مسلم في صحيحه ٤ : ٢٠١٠ بإسناده عن ابن عباس قال : كنت ألعب مع الصبيان فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتواريت خلف باب ، قال : فجاء فصحاني صحأة وقال : اذهب وادع لي معاوية ، قال فجئت فقلت : هو يأكل!

قال ثم قال لي : اذهب فادع لي معاوية ، قال : فجئت فقلت : هو يأكل! فقال : لا أشبع الله

بطنه .»

قال ابن كثير في البداية والنهاية ٦ : ١٨٩ . بعد أن ذكر الخبر . : (قلت : وقد كان معاوية ... لا يشبع بعدها ، ورافقته هذه الدعوة في أيام إمارته ، فيقال إنه كان يأكل في اليوم سبع مرّات طعاماً بلحم ، وكان يقول والله لا أشبع وإنما أعبي) .

وقال البلاذري في فتوح البلدان ٣ : ٨٥٣ . بعد أن ذكر الحديث : (فكان يقول لمخفني دعوة رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان يأكل في اليوم سبع أكالات وأكثر وأقل) .

وقد حاول محيي معاوية من النواصب جعل الحديث منقبة له ، ولكن الذهبي . وهو من محيي معاوية ومن المدرسة الشامية . ردّ عليهم قولتهم هذه ، فقال في سير أعلام النبلاء بعد أن ذكر الحديث ٣ : ١٢٣ : (فهـ بره بعض المحيين قال لا! أشبع الله بطنه حتى لا يكون ممن يجوع يوم القيامة لأن الخبر عنه أنه قال : (أطول الناس شعباً في الدنيا أطولهم جوعاً يوم القيامة)!

قلت [يعني الذهبي] هذا ما صحَّ والتأويل ركيك .

٣ . حديث : لعن اللهَّ الراكب والقائد والسائق .» .

روى البزار في مسنده ٩ : ٢٨٦ : حدَّثنا السكن بن سعيد ، قال : حدَّثنا عبد الصمد ، قال : حدَّثنا

أبي ، وحدَّثناه حماد بن سلمة ، عن سعيد بن جهمان ، عن سفينة أن رسول اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كان جالسا فمَّ رجل على بعير وبين يديه قائد وخلفه سائق فقال : لعن اللهَّ القائد والسائق والراكب .» .

وسند الحديث صحيح . أما سفينة فهو صحابي ثقة (تهذيب الكمال ٧ : ٣٨٧) ، وسعيد بن جهمان

فهو ثقة روى له الأربعة (تهذيب الكمال ٧ : ١٥٥) ، وحماد بن سلمة ثقة (تهذيب الكمال ٥ : ١٧٥) .

وعبد الصمد بن عبد الوارث ثقة (تهذيب الكمال ١١ : ٤٧٥) .

وقد صرَّح الهيثمي في مجمع الزوائد ١ : ١٤٨ بوثاقة رجال السند .

ورى الطبراني في المعجم الكبير ٣ : ٧١ قال : حدَّثنا يحيى بن زكريا الساجي ، ثنا محمد بن بشر بن بشار

، ثنا عبد الملك بن الصباح المسعي ، ثنا عمران بن حدير ، أظنَّه عن أبي مجلز قال : قال عمرو بن العاص

والمغيرة بن شعبة لمعاوية : الحسن بن علي عبي ، وإنَّ له كلاماً ورأياً ، وإذَّه قد علمنا كلامه فيتكلم كلاماً فلا

يجد كلاماً !

فقال : لا تفعلوا ، فأبوا عليه ، فصعد عمرو المنبر ، فذكر علياً ووقع فيه ثمَّ صعد المغيرة بن شعبة المنبر

فحمد اللهَّ وأثنى عليه ، ثمَّ وقع في علي (ﷺ) ثمَّ قيل للحسن بن علي : اصعد ! فقال : لا أصعد ولا أتكلَّم حتى

تعطوني إن قلت حقّاً أن تصدَّ قوتي ، وإنَّ قلت باطلاً أن تكذَّبوني فأعطوه ، فصعد المنبر فحمد اللهَّ وأثنى عليه

فقال يا اللهَّ يا عمرو وأنت يا مغيرة تعلمان أن رسول

الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم قال : لعن الله السائق والراكب - يعني أبي سفيان ومعاوية كما سيتضح .
أحدهما فلان [معاوية]؟ قالوا اللهم بلى.

قال : أنشدك يا معاوية وأنت يا مغيرة أتعلمان أن رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم لعن
عمرًا بكل قافية قالها لعنة؟
قالوا اللهم بلى!

قال : أنشدك يا عمرو وأنت يا معاوية بن أبي سفيان أتعلمان أن رسول الله ﷺ
صلى الله عليه وآله وسلم لعن قوم هذا [أشار إلى المغيرة]؟
قالا : بلى ..).

وسند الحديث رواه ثقات :

فزكريا بن يحيى الساجي ثقة ورجالي كبير (الجرح والتعديل ٣ : ٥٣٤) .
ومحمد بن بشير بن دينار ثقة (تهذيب الكمال ٢٤ : ٥١٠) .
وعبد الملك بن الصباح المسمعي ثقة (تهذيب الكمال ١٨ : ٣٣١) .
وعمران بن حدير ثقة (تهذيب الكمال ٢٢ : ٣١٣) .

والحديث يناداه صحيح ، وبين الإمام الحسن عليه السلام فيه أن معاوية ملعون هو وأبيه ، وأشهد
على ذلك عمرو والمغيرة ، وقد شهدا ، ثم بين أن عمرًا ملعون على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم
وأشهد على ذلك معاوية والمغيرة وقد شهدا ، ثم بين أن المغيرة ملعون على لسان النبي
صلى الله عليه وآله وسلم وأشهد على ذلك معاوية وعمرًا ، وقد شهدا .
وهناك روايات أخرى في لعن معاوية وأبيه على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين الصحيح
والذي يصح للمتابعة .

٤ - حديث : « يموت على غير ملتي » .

أخرج الحافظ أحمد بن يحيى البلاذري في كتابه أنساب الأشراف قال حدّثني إسحاق ، قال حدّثني عبد الرزاق بن همام ، أنبأنا معمر ، عن ابن طاووس ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : «طلع عليكم من هذا الفج رجل يموت يوم يموت على غير مدّتي» قال : وتركت أبي يلبس ثيابه ، فخشيت أن يطلع ، فطلع معاوية .»

وهذا الحديث صحيح الإسناد لأنّ رجاله كلهم ثقات .

فإسحاق بن أبي إسرائيل ثقة (تهديب الكمال ٢ : ٢٢٦) .

وعبد الرزاق الصنعاني ثقة (تهديب الكمال ١١ : ٤٤٧) .

ومعمر بن راشد ثقة (تهديب الكمال ١٨ : ٢٦٨) .

وعبد الله بن طاووس ثقة (المرجح والتعديل ٥ : ١٠٥) .

وطاووس بن كيسان ثقة (تهديب الكمال ٩ : ٢١٣) .

وقد روى البلاذري الحديث بسند آخر عن عبد الله بن صالح ، حدّثني يحيى بن آدم عن شريك ، عن

ليث ، عن طاووس ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : وذكر الحديث ... » .

قال العلامة المحدث الشريف محمد المدّيني بن عزوز المغربي (رحمه الله) : (الحديث الأوّل [الذي جعلناه

ثانياً] له كلّهم رجال الصحيح حتى ليث فمن رجال مسلم ، وهو ابن أبي سليم ، وإنّ تكلم فيه لاختلال وقع

له في آخر أمره ، فقد وثّقه ابن معين وغيره ، كما أفاد الشوكاني .

على أنّ الوهم يرتفع بالسند الثاني [الذي جعلناه الأوّل] الذي هو حدّثني إسحاق الخ ؛ لأن الراوي فيه

عن طاووس عبد الله ابنه لا ليث ، والسند متين والحمد لله) نقلا عن كتاب تقوية الإيمان لابن عقيل الشافعي :

.١٣٨

وقد رواه الهيثمي في مجمع الزوائد ٥: ٢٤٣ بسند صحيح لكن لم يذكر الاسم.
والاسم يتضح من خلال رواية البلاذري المتقدمة؛ لأن المتن واحد كما هو واضح لمن يراجع.
وقد ورد الحديث بلفظ: (بوت على غير سنّي) في كتاب وقعة صفين لنصر ابن مزاحم المنقري ص
٢٢٠.

ومما يشهد لذلك ما أخرجه الألباني في صحيحته ٤: ٣٢٩ ح ٤٩٧ أو: "ل من يغير سنّي رجل من بني
أمية" قال: (قلت: وهذا إسناد حسن، رجاله ثقات رجال الشيخين غير المهاجر وهو ابن مخلد أو مخلد...)
ثم حاول تأويل الحديث بشيء بعيد عنه فقال: "ولعل المراد بالحديث تغيير نظام اختيار الخليفة، وجعله
ورثة...".

وهلّي تعييد بعد ملاحظة الأحاديث الأخرى وضم بعضها إلى بعض، حيث تنتج أن معاوية يغير
السنة النبوية عموماً لا خصوص نظام الحكيمة غير معاوية سنة النبي (ﷺ) من منازعة الأمر أهله كحره لعلي
بن أبي طالب (عليه السلام) وقتله لعمّار بن ياسر الذي وصف النبي (ﷺ) قتلته بأنهم فقة باغية، وقتله
الصالحين كحجر بن عدي وأصحابه، وسب علي بن أبي طالب (عليه السلام) على المنابر، وكرت التلبية في
يوم عرفة بغضاً لعلي بن أبي طالب وحباً في مخالفته كما أخرج ذلك النسائي في سننه ٥: ٢٥٣ بشرح السيوطي،
وغير ذلك من المخالفات الصريحة للسنة النبوية المطهرة، فلا وجه لتخصيص التغيير بنظام الحكم دون غيره!
وهذا التأويل ينسجم مع نفسية الشيخ الألباني الشامية، فهو دمشقي ودمشق

يزيد ، وابن زياد ، والحجاج ، وعبد الملك بن مروان وأضرابهم ، ولو شئت جمع الشواهد على عمل الصحابة بالتقية لا استوجب كتاباً كاملاً ولكن ما أوردته من أدلة أهل السنة والجماعة كاف بحمد الله .

ولا أترك هذه الفرصة نفوت لأروي قصة طريفة وقعت لي شخصياً مع عالم من علماء أهل السنة التقينا في الطائرؤكدا من المدعوين لحضور مؤتمر إسلامي في بريطانيا ، وتحادثنا خلال ساعتين عن الشيعة والسنة ، وكان من دعاة الوحدة ، وأعجبت به ، غير أنه ساءني قوله بأن على الشيعة الآن أن تترك بعض المعتقدات التي تسبب اختلاف المسلمين والطعن على بعضهم البعض ، وسألته : مثل ماذا؟ وأجاب على الفور ممثل المتعة والتقية .
وحاولت جهدي إقناعه بأن المتعة هي زواج مشروع والتقية رخصة من الله ولكنّه أصرّ على رأيه ولم يقنعه قولي ولا أدلّيتي ، عياً أن ما أوردته كلاًه صحيح ولمكن يجب تركه من أجل مصلحة أهمّ ألا وهي وحدة المسلمين .

عاصمة النصب، أسسها معاوية بن أبي سفيان على ذلك، وبقيت آثارها إلى يومنا هذا، فنشأ المحدث فيها وفيه نصب واضح من الدفاع عن بني أمية ومحاولة التنقيص من أهل البيت (عليهم السلام) وارجع إلى محدثي الشام كابن تيمية الخيزه والذهبي، وابن كثير، وابن القيم، والألباني وغيرهم تجد ما ذكرناه واضحاً لا يخفى على أحد.

واستغربتُ منه هذا المنطق الذي يأمرُ بترك أحكام الله من أجل وحدة المسلمين ،
وقلتُ له بمجاملة لؤ توقفت وحدة المسلمين على هذا الأمر لكنت أو ل من أجب .
ونزلنا في مطار لندن وكنت أمشي ولخلفه ما تقد منا إلى شرطة المطار سه نل عن
سبب قدومه إلى بريطانيا؟ فأجابهم بأذ ه جاء للمعالجته عيت أنا بأني جئت لزيارة بعض
أصدقائي ، ومررنا بسلام وبدون تعطيل إلى قاعة استلام الحقائب عند ذلك همستُ له :
أرأيت كيف أن التقيّة صالح كل زمان؟ قال : كيف؟ قلت : لأننا كذبنا على الشرطة ،
أنا بقولي : جئت لزيارة أصدقائي ، وأنت بقولك : جئت للعلاج ، في حين أننا قدمنا
للمؤتمر .

ابتسم وعرفَ بأذ ه كذبَ على مسمع مني ، فقال : أليس في المؤتمرات الإسلامية
علاج لنفوسنا؟ ضحكت قائلا : أو ليس فيها زيارة لإخواننا؟
أعود إلى الموضوع فأقول : التقيّة ليست كما يدعي أهل السنّة بأنهم ضرب من
النفاق ، فالعكس هو الصحيح؛ لأنّ النفاق هو إظهار الإيمان وكتمان الكفر بينما التقيّة
هي إظهار الكفر وكتمان الإيمان ، وشتان ما بين الموقفين ، هذا الموقف أعني النفاق الذي
قال في شأنه سبحانه وتعالى :

نُؤُوا قَالُوا لَمْ يَلِدْ (وَلَقِيلَا الظالمينَ أَلَعَ شَيْءٌ بَاطِنٌ بَيْنَهُمْ قَالُوا إِنَّمَا مَعَكُمْ إِيمَانٌ مَنَحْنُ مُمْسِكِينَ زُرُّونَ
(^١) فهذا يعني إيمان ظاهر + كفر باطن = نفاق.

أمّا الموقف الثاني أعني التقيّة التي قال في شأنها سبحانه وتعالى :
وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ (فهذا يعني كفر ظاهر + إيمان
باطن تقيّة).

فإنّ مؤمن من آل فرعون كان يكتُم في الباطن إيمانه ولا يعلم به إلاّ الله ، ويتظاهر
لفرعون وللناس جميعاً أنّه على دين فرعون وقد ذكره الله في محكم كتابه تعظيماً لقدره .
وتعال معي الآن أيها القارئ الكريم لتعرف قول الشيعة في التقيّة حتى لا تغترّ بما يقال
فيهم كذباً وبهتاناً .

يقول الشيخ محمد رضا المظفّر في كتابه (عقائد الإماميّة) بما هذا نصّه :
«للتقيّة أحكام من حيث وجوبها وعدم وجوبها بحسب اختلاف مواقع خوف
ضرر، المذكورة في أبوابها في كتب العلماء الفقهيّة ، وليست هي بواجبة على كلّ حال ،
بل قد يجوز أو يجب

١ . البقرة : ١٤ .

٢ . غافر : ٢٨ .

خلافها في بعض الأحوال ، كما إذا كان في إظهار الحقّ وتظاهر به نصرةً للدين وخدمةً للإسلامِ وواجبي سبيله ، فإنه عند ذلك يستهانُ بالأموال ولا تعزّ النفس ، وقد تحرم التقيّة في الأعمال التي تستوجب قتل النفوس المحترمة ، أو رواجاً للباطل ، أو فساداً في الدين ، أو ضرراً بالغاً على المسلمين بإضلالهم ، أو إفشاء الظلم والجور فيهم . وعلى كلِّ حال ليس معنى التقيّة عند الإماميّة أنّها تجعل منهم جمعية سرّية لغاية الهدم والتخريب ، كما يريد أن يصورّها بعض أعدائهم غير المتورّعين في إدراك الأمور على وجهها ، ولا يكلفون أنفسهم فهم الرأي الصحيح عندنا .

كما أنّّه ليس معناها تجلّل الدين وأحكامه سرّاً من الأسرار لايحوز أن يُذاع بمن يدلّ به ، كيف وكتب الإماميّة ومؤلفاتهم فيما يخصّ الفقه والأحكام ومباحث الكلام والمعتقدات قد ملأت الخافقين ، وتجاوزت الحدّ الذي ينتظر من أيّ أمّة تدين بدينها^(١) . انتهى كلامه .

وأنت ترى أنّه ليس هناك نفاق ، ولا غش ، ولا دس ، ولا كذب ،

١ . عقائد الإمامية : ٣٤٤ تحقيق محمد جواد الطريحي .

ولا خداع كما يدعيه أعداؤهم^(١).

١ - توهم بعض المتسلفين في أن التقية إذا كانت جائزة وأن الأئمة عليهم السلام كانوا يؤمنون بها ويعملون بهلغله فعند ذلك كيف نعرف أن الكلام الذي صدر منهم والروايات التي صدرت عنهم ، صدرت عن جدِّ ولم تصدر تقيةً وخوفاً؟!

ونجيب على هذا المتوهم بأن هذا الكلام يسقط إذا راجعنا تعريف التقية ، والشروط اللازم توفرها لتحقيق موضوع التقية ، وبالتالي تكون جائزة ، فالتقية : هي إبراز خلاف ما يعتقد الإنسان عند الخوف أو الضرر الذي يُلحقه ، فهي بالتالي تجوز ضمن هذه الشروط ، ولا تجوز مطلقاً وفي أيِّ حال من الأحوال ، وعندما نلَّهَّ التقية هي الحالة الشاذة والنادرة في حياة الإنسان ، وأن الحياة الطيبة ليس فيها تقية ، أو اضطراراً لأن يبرز الإنسان خلاف معتقده ، بل مقتضى الطبع البشري أنه مختار وعندما يتكلم يكون كلامه عن قصصه ولما يعتقد في قلبه حقاً ، وأن الظلم والجور المؤدِّي لأن يبرز الإنسان خلاف معتقده حال نادرة وفريدة في حياة الإنسان.

وعلنعرف أن كلمات الأئمة ورواياتهم لم تكن كلها تقية ، بل هناك الواضح والعام منها صدر لبيان الواقع ومراد لهم ، لعدم توفر شروط التقية حتى يكونوا مضطراً ين للكلام بخلافه. فما ذكره صاحب كتاب منهج أهل البيت في مفهوم المذاهب الإسلامية : ١٣٨ ناشئ عن عدم فهم بالثة وحدودها الشرعية المسوغة لها.

المتعة أو الزواج المؤقت

والمقصود بها نكاح المتعة ، أو الزواج المنقطع أو الزواج المؤقت إلى أجل مسمى ، وهي كالزواج الدائم لا تصحّ إلاّ بعقد يشتمل على قبول وإيجاب ، كأن تقول المرأة للرجل : زوّجتك نفسي بمهر قدره كذا ومدّة كذا ، فيقول الرجل : قبلت . ولهذا الزواج شروطه المذكورة في كتب الفقه عند الإماميّة كوجوب تعيين المهر والمدّة ، فيصح بكلّ ما يترضى عليه الطرفان ، وكحرمة التمتع بذات محرم كما في الزواج الدائم . وعلى المرأة المتمتّع بها أن تعتدّ بعد انتهاء الأجل بحيضتين ، وبأربعة أشهر وعشرة أيام في حالة وفاة زوجها .

وليس بين المتمتعين إرثٌ ولا نفقة ، فلا ترثه ولا يرثها^(١) ، والولد

١ . مسألة إرث الزوجة المتمتّع بها من المسائل الخلافية في المذهب الإمامي ، وليس هناك إجماع على عدم إرث المتمتّع بها ، بل هناك آراء متعددة في مسألة ، قال الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء في أصل الشيعة وأصولها ٥٦ هـ معرض ردّه على الألويسي : « عدم إرث المتمتّع بها ممنوع ، فقيل :

من الزواج المؤقت كالولد من الزواج الدائم تماماً في حقوق الميراث والنفقة وكل الحقوق الأدبية والمادية ، ويلحق بأبيه .

هذه هي المتعة بشروطها وحدودها وهي كما ترى ليست من السفاح في شيء كما يدعيه الناس .

وأهل السنة والجماعة كإخوانهم الشيعة متفقون على تشريع هذا الزواج من الله سبحانه

وتعالى في الآية ٢٤ من سورة النساء بقوله **﴿لَمَّا بَلَغَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ الْحُلُمَ فَلَمَّا أَتَاهُ نُورٌ مِنْ**

حَ عَلَّمِيكُمْ فِي مِمَّا تَوَيْضَعُ لِّلصُّوِيِّ لِأَنَّ نَبِيَّهٖ مِنْ بَعْدِ الْقَرْيَضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ .

بأنها ترث مطلقاً ، وقيل : ترث مع الشرط ، وقيل : ترث إلا مع شرط العدم ، والتحقيق حسب قواعد صناعة الاستنباط ومقتضى الجمع بين الآيتين : إن المتمتع بها زوجة ، تترتب عليها آثار الزوجية ، إلا ما خرج بالدليل القاطع .»

١ . النساء : ٢٤ .

وفي هذه الآية قولان :

أحدهما : أنها في النكاح الدائم .

والثاني : أنها في المتعة أو النكاح المنقطع .

قال القرطبي في تفسيره للآية : « وقال الجمهور : المراد نكاح المتعة الذي كان في صدر الإسلام .»

وهناك من قرأها بإضافة : « إلى أجل مسمى » حتى إن ابن عباس حلف أنها نزلت كذلك حيث قال

والله لأنزها الله كذلك ، كما في الدر المنثور في تفسير هذه الآية من سورة النساء .

ما أنّهم متّفقون في أنّ رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم أذن بها ، واستمتع الصحابة على عهده .

إلا أنّهم يختلفون في نسخها أو عدم نسخها ، فأهل السنّة والجماعة يقولون بنسخها وأنّها حُرِّمَتْ بعد أن كانت حلالاً وأنّ النسخ وقع بالسنّة لا بالقرآن .
والشيعة يقولون بعدم النسخ ، وأنّها حلال إلى اليوم القيامة^(١) .

١ . ولأنّ مقتضى القاعدة هو بقاء الخليّة واستمرارها ، إلاّ أن يقوم دليل قطعي أو حجّة شرعية على النسخ أو التحريم ، فإنّ استصحاب عدم النسخ هو أحد الأمور المسلّمة عند فقهاء المسلمين .
وهناك الكثير من الصحابة والتابعين لم يعتقدوا حرمتها :

ذكر القرطبي في تفسيره للآية : قال أبو بكر الطرطوسيّ ولم يرخص في نكاح المتعة إلاّ عمران بن حصين وابن عباس وبعض الصحابة وطائفة من أهل البيت ... وقال أبو عمر : أصحاب ابن عباس من أهل مكة واليمن كلّهم المتعة حلالاً على مذهب ابن عباس ، وحرّمها سائر الناس .
وفي نيل الأوطار للشوكاني ٦ : ٤٣ بعدما ذكر الأقوال وردّح القول المشهور قال : « قال ابن بطال : روى أهل مكة واليمن عن ابن عباس إباحة المتعة ، وروى عنه الرجوع بأسانيد ضعيفة ، وإجازة المتعة عنه أصح ، وهو مذهب الشيعة » .

وقال ابن حزم في المحلى ٩ : ٥١٩ مسألة ١٨٥٤ : « ولا يجوز نكاح المتعة .. وقد ثبت على تحليلها

بعد رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم جماعة من السلف ، منهم من

إذا فالبحث يتعلّق فقط في نسخها أو عدمه ولنظر في أقوال الفريقين حتى يتبين للقارئ جلية الأمر وأين يوجد الحقّ فيتبعه بدون تعصّب ولا عاطفة. أمّا من ناحية الشيعة القائلين بعدم النسخ وحليتها إلى يوم القيامة فحجّتهم هي : لم يثبت عندنا أن رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم نهي عنها ، وأئمتنا من العترة الطاهرة يقولون بحليتها ، ولو كانها نسخ من رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم لعلمه الأئمة من أهل البيت وعلى رأسهم الإمام عليّ ، فأهل البيت أدري بما فيه ، ولكن الثابت عندنا أنّ الخليفة الثاني عمر بن الخطاب هو الذي نهي عنها وحرّمها اجتهاداً منه ، كما يشهد بذلك علماء السنّة أنفسهم ، ونحزلاً نترك أحكام الله ﷻ ورسوله لرأي واجتهاد عمر بن الخطاب.

هذا ملخّص ما يقوله الشيعة في حليّة المتعة ، وهو قول سديد

الصحابة أسماء بنت أبي بكر الصديق ، وجابر بن عبد الله ، وابن مسعود ، وابن عباس ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وعمرو بن حريش أبو وسعيد الخدري ، وسلمة ومعيد ابنا أميّة بن خلف ، ورواه جابر بن عبد الله عن جميع الصحابة مدّة رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم مدّة أبي بكر وعمر إلى قرب آخر خلافة عمر ، واختلف في إباحتها عن ابن الزبير ... ومن التابعين : طاووس ، وعطاء ، وسعيد ابن جبيرة وسائر فقهاء مكة أعزها الله ، وقد تفصّلنا الآثار المذكورة في كتابنا الموسوم بالإيصال .»

ورأي؛ رُئيته كلَّ المسلمين مطالبون باتِّباع أحكام الله ورسوله ، ورفض ما سواهما مهما علت مكانته إذا كان في اجتهاده مخالفة للنصوص القرآنية أو النبوية .

أمَّا أهل الملة والجماعة فيقولون بأنَّ المتعة كانت حلالاً ، ونزل فيها القرآن بورخَّص فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وفعلها الصحابة ثمَّ بعد ذلك نسخت ، ويختلفون في الناسخ لهفمنهم من يقول بأنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهي عنها قبل موته ، ومنهم يقول بأنَّ عمر بن الخطاب هو الذي حرَّمها وقوله حجَّة عندنا لقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم :

عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين بعدي عضوا عليها بالنواجذ»^(١).

أمَّا القائلين بتحريمها لأنَّ عمر بن الخطاب حرَّمها وأنَّ فعله سنة ملزمة ، فهؤلاء لا كلام لنا معهم ولا بحث لأزَّه محض التعصُّب

١ قال ابن القيم الجوزية في زاد المعاد ٣ : ٦٣ في معرض كلامه عن المتعة ، ومتى حرَّمت ، وما هو الصحيح في ذلك : « فإن قيل فما تصنعون بما رواه مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله قال : « كنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق الأيام على عهد رسول الله وأبي بكر حتى نُهانا عنها عمر في شأن عمرو بن حريث » ، وفيما ثبت عن عمر أنه قال متعتان كانتا على عهد رسول الله أنا أنهي عنهما متعة النساء ومتعة الحج؟ قيل : الناس في هذا طائفتان؛ طائفة تقول : إنَّ عمر بن الخطم الذي حرَّمها ونهى عنها ، وقد أمر رسول الله باتِّباع ما سنَّه الخلفاء الراشدون .»

لتكليف ، وإلا كيف يترك المسلم قول الله ﷻ وقول الرسول ويخالفهما ويتبع قول بشر مجتهد يُحُطِّي ويصيحها! إذا كان اجتهاده في مسألة ليس فيها نصٌّ من الكتاب والسنة ، أمّا إذا كانها نصٌّ فلا مجال للاجتهاد ، ما قلنا الله ﷻ : **لَوْ مِنْ وَلَا مُمْؤْمِنَةٌ إِذَا قَضَىٰ أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَلِيفَةُ رُوَّاقُمْ سُنُّوْلُهُمْ أَوْ هَرَامٌ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا** (١)

ومن لا يتفق معي على هذه القاعدة ، فعليه بمراجعة معلوماته في مفاهيم التشريع الإسلامي ودراسة القرآن الكريم والسنة النبوية ﷺ بالقرآن دلّ بذاته في الآية المذكورة أعلاه . ومثلها في القرآن كثير . على كفر وضلال من لا يتمسك بالقرآن والسنة النبوية . أمّا الدليل من السنة النبوية ﷺ للثريفة فكثير أيضاً ، ولكن نكتفي بقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم :

«حلال محمّد حلال إلى يوم القيامة ، وحرامه حرام إلى يوم القيامة» (٢) .
فليس من حقّ أحد أن يحدّل أو يحرّم في مسألة ثبت فيها نصٌّ وحكم من الله ﷻ أو من رسوله صلى الله عليه وآله وسلم .

١ . الأحزاب : ٣٦ .

٢ . بصائر الدرجات : ١٦٨ ح ٧ ، الكافي ١ : ٥٨ ح ١٩ عن الإمام الصادق عليه السلام .

ولكلّ ذلك نقول لهؤلاء الذين يريدون إقناعنا بأنّ أفعال الخلفاء الراشدين واجتهاداتهم
ملوّحة بالطؤنة فنقول في: (بَلَّغْتُمْ) **وَوَهَبْنَا أَعْرَبَهُ بَدَلْنَا مَا وَكَلَّمْنَا أَعْمَهُ بِالْكُفْمِ وَنَحْنُ لَهُ**
مُخْلِصُونَ (١).

على أنّ هؤلاء القائلين بهذا الدليل يوافقون الشيعة على دعواهم ويكونون حجّة
على إخوانهم من أهل السنّة والجماعة.

فبحثنا يتعلّق فقط مع الفريق القائل بأنّ رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم هو
الذي حرّمها ، ونسخ القرآن بالحديث.

وهؤلاء مضطربون في أقوالهم وحجّتهم واهية لا تقوم على أساس متين ، ولو روى
النهي عنه مسلم في صحيحه؛ بأدّاه لو كان هناك نهي من رسول الله ﷺ
صلى الله عليه وآله وسلم غاب عن الصحابة الذين تمّ عوا في عهد أبي بكر وشطر من
عهد عمر نفسه، كما روى ذلك مسلم في صحيحه (٢).

قال عطاء قدم جابر بن عبد الله ﷺ معتمراً فجننا في منزله فمسأله القوم عن أشياء ثمّ
ذكروا المتعة ، فقال نعم استمتعنا على عهد رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم وأبي بكر
وعمر (٣).

فلو كان رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم نهي عن المتعة لما جاز للصحابة أن

١. البقرة : ١٣٩.

٢. صحيح مسلم ٤ : ١٣١ ، كتاب النكاح ، باب نكاح المتعة.

٣. المصدر نفسه.

يتمتعوا على عهد أبي بكر وعمر كما سمعت .
فالواقع أنّ رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم ينهاه عنها ولا حرمها ، وإنما وقع
النهي من عمر بن الخطاب كما جاء في ذلك في صحيح البخاري عمود حدّ ثنا يحيى
عن عمران أبي بكر حدّ ثنا أبو رجاء عن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنه ، قال :
نزلت آية المتعة في كتاب الله ﷻ ففعلناها مع رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم ولم يُنزل
قرآنٌ يحرمه ولم ينهاه عنها حتى مات قال رجل برأيه ما شاء قال محمد : يقال إنّه عمر^(١) .
فأنت ترى أيّها القارئ أنّ رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم لم ينهاه عنها حتى مات
، كما صرح به هذا الصحابي ، وتراه ينسب التحريم إلى عمر صراحة وبدون غموض ،
ويضيف أنّه قال برأيه ما شاء .

وها هو جابر بن عبد الله الأنصاري يقول صراحة : كنّا نستمع بالقبضة من التمر
والدقيق الأيام على عهد رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم وأبي بكر ، حتى نهانا عنها
عمر^٢ في شأن عمرو بن حُرَيْث .

ومّا يدلّنا على أنّ بعض الصحابة كانوا على رأي عمر بهذا ليس غريب إذ تقدّم
في بحثنا خلال رزية يوم الخميس أنّ بعض الصحابة كانوا على رأي عمر في قوله بأنّ رسول
الله ﷺ يهجر وحسبنا

١. صحيح البخاري ٥ : ١٨٥ ، كتاب التفسير ، باب ٣٣ فمن تمتع بالعمرة إلى الحج .

٢. صحيح مسلم ٤ : ١٣١ ، كتاب النكاح ، باب نكاح المتعة .

كتاب الله ﷺ ، وإذا ساندوه في مثل ذلك الموقف الخطير بما فيه من طعن على الرسول فكيف لا يوافقوه في بعض اجتهاداته؟! فلنستمع إلى قول أحدهم :
كنتُ عند جابر بن عبد الله ﷺ ، فأثاه آت فقال ابن عبَّاس وابن الزبير اختلفا في المتعتين ، فقال جابر فغلناهما مع رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم فمأنا عنهما عُمُرُ فلم نعدُ لهما^(١).

ولذلك أعتقد شخصياً بأنَّ بعض الصحابة نسبَ النهيَ عن المتعة وتحريمها إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم تبرير موقف عمر بن الخطَّاب وتصويب رأيه ، وإلاَّ فما يكون لرسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم ما أحلَّ القرآنُ ، لا نجدُ حكماً واحداً في كلِّ الأحكام الإسلامية أحلَّه الله ﷻ سبحانه وحرَّمه رسوله ولا قائل بذلك إلاَّ معانداً ومتعصباً ولو، سلَّمنا جدلاً بأنَّ رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم نهى عنها ، فما كان للإمام عليٍّ وهو أقرب الناس للنبي وأعلمهم بالأحكام أن يقول :
إنَّ المتعة رحمةٌ رحم الله ﷻ بها عباده ، ولولا نهي عمر ما زنى إلاَّ شقيَّ^(٢).

١ . المصدر نفسه .

٢ . المصنَّف لعبد الرزاق ٧ : ٤٩٦ ح ١٤٠٢١ ، أحكام القرآن للجصاص ٢ : ١٨٦ ، تفسير القرطبي ٥ : ١٣٠ ، الدر المنثور ٢ : ١٤١ ، نيل الأوطار ٦ : ١٤٣ ، كلُّها عن ابن عباس ، وورد عن علي عليه السلام نحوه .

على أن عمر بن الخطاب نفسه لم ينسب التحريم إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بل قال قولته المشهورة بكل صراحة : « متعتان كانتا على عهد رسوﻻﻟﻠﻪ وأنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما ، متعة الحجّ ومتعة النساء »^(١).

وهذا مسند الإمام أحمد بن حنبل خير شاهد على أن أهل السنّة والجماعة مختلفون في هذه المسألة اختلافاً كبيراً ، فمنهم من يتبع قول الرسول فيحلّها ، ومنهم من يتبع قول وعين الخطّاب فيحرّمها ، أخرج الإمام أحمد :

عن ابن عباس قال تمّت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال عروة بن الزبير : نهي أبو بكر وعمر عن المتعة ، فقال ابن عباس بما يقول عُرِيّة؟ (تصغير لعروة) قال : يقول نهي أبو بكر وعمر عن المتعة فقال ابن عبّاس : أراهم سيهلكون ، أقول : قال النبي ، ويقولون : نهي أبو بكر وعمر^(٢).

وجاء في صحيح الترمذي أن عبدالله بن عمر سئل عن متعة الحجّ ، قال : هي حلال ، فقال له السائل : إنّ أباك قد نهي عنها ، فقال :

١ . تفسير القرطبي ٢ : ٣٩٢ ، أحكام القرآن للجصاص ١ : ٣٥٢ ، المحلى لابن حزم ٧ : ١٠٧ ، المبسوط للسرخسي ٤ : ٢٧ وصححه ، المغني لابن قدامة ٧ : ٥٧٢ ، كنز العمال ٦ : ٥٢١ ح ٤٥٧٢٢ ، وفي زاد المعاد لابن القيم الجوزية نحوه ٣ : ٤٦٣ .

٢ . مسند أحمد ١ : ٣٣٧ ، المغني لابن قدامة ٣ : ٢٥٩ وهي وإن كانت في متعة الحجّ إلّا أنّها تدلّ على المدعى ، وهو النهي الوارد عنهما دون النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

أرأيت إن كان أبي نهي عنها وصنعها رسول الله ﷺ أم أمر أبي أتبع أم أمر رسول الله ﷺ؟ فقال الرجل بل أمر رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم^(١).

وأهل السنة والجماعة أطاعوا عمر في تبعة النساء وخالفوه في متعة الحج ﷺ ، على أن النهي عنهما وقع منه في موقف واحد كما قد منا.

والمهم كَيْلٌ هذا أن الأئمة من أهل البيت وشيعتهم خالفوه وأنكروا عليه وقالوا بجليلتهما إلى يوم القيامة وهناك من علماء أهل السنة والجماعة من تبعهم في ذلك أيضاً ، وأذكر من بينهم عالم تونس الجليل ، وزعيم الجامع الزيتوني فضيلة الشيخ الطاهر بن عاشور رحمة الله ﷺ عليه ، فقد قال بجليلتهما في تفسيره المشهور **عَلَيْهِمْ السَّلَامُ** **بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً** ^(٢).

وهكذا يجب أن يكون العلماء أحراراً في عقيدتهم ، لا يتأثرون بالعاطفة ولا بالعصبية ولا تأخذهم في الله ﷺ لومة لائم.

وبعد هذا البحث الموجز لا يبقى لتشنيع أهل السنة والجماعة وطعنهم على الشيعة في إباحتهم نكاح المتعة مبرراً ولا حجاً قاضياً عن أن الدليل القاطع والحجّة الناصعة مع الشيعة.

١ . سنن الترمذي ٢ : ١٥٩ ح ٨٢٣ وقال : « حسن صحيح » ، تذكرة الحفاظ للذهبي ١ : ٣٦٨ .

٢ . التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ٣ : ٥ ، والآية في سورة النساء : ٢٤ .

وللمسلم أن يتصور قول الإمام علي عليه السلام بأن المتعة رحمة رحله بها عباده ، وفعلاً أية رحمة هي أكبر منها وهي تُطفي نار شهوة جامحة قد تطفئ على الإنسان ذكراً ، كان أم أنثى فيصبح كالحَيوان المفترس .
وللمسلمين عامة وللشبهان خاصة أن يعرفوا بأن الله سبحانه أوجب على الزاني عقوبة القتل رجماً بالحجارة على المحصنين ذكوراً وإناثاً ، فلا يمكن أن يترك عباده بغير رحمة وهو خالفهم وخالف غرائزهم ويعرف ما يصلحهم ، كان الله الرحمن الرحيم رحماً عباده بأن رخّص لهم في المتعة ، فلا يدخل في الزنا بعدها إلا الشقي تماماً كالحكمم بقطع يد السارق ، فما دام هناك بيت للمال للمعوزين والمحتاجين فلا يسرق إلا الشقي^(١) .

١. من القضايا التي وقع النزاع فيها قديماً وحديثاً مسألة (المتعة) ، حيث ذهب الشيعة إلى حلّيتها تبعاً للقرآن والملائنوية المطهرة ، بينما ذهب أهل السنة إلى حرمتها بعدما اتفق الفريقان على أنها كانت حلالاً ، نزلت في حلّيتها آيات قرآنية ولكن ذهب أهل السنة إلى أنّ الحلّية نسخت ، بينما بقي الشيعة على التمسك بالحلّية لعدم ثبوت النسخ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وهناك الكثير من الصحابة والتابعين وغيرهم ثبتوا على حلّيتها كما تقدّم نقله .

إلا أنّ أهل السنة يظنون بأنّها نسخت ، ويروون في ذلك روايات مضطربة جداً ، من ناحية في زمن التحريم ووقوعه ، والشخص المحرّم : أهو

الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أم عمر بن الخطاب؟

ولا نريد الدخول في بحث الموضوع ، إذ إنَّ هناك كتباً مخصصة له ، ولكن لكي يطلع القارئ على صورة المسألة بشكل مجمل نعرض له بعض الاضطراب الواقع في تحريم المتعة :

١ . قال في فتح الباري ٩ : ٢١١ : « ... قال السهيلي : وقد اختلف في وقت تحريم نكاح المتعة؛ فأغرب ماروي في ذلك رواية من قال بني غزوة تبوك ، ثمَّ رواية الحسن : أنَّ ذلك كان في عمرة القضاء ، والمشهور . كما أخرج مسلم من حديث الربيع بن سبرة عن أبيه ، وفي رواية عن الربيع أخرجها أبو داود . أذَّه كان في حجَّة الوداع ... ومن قال من الرواة كان في غزوة أوطاس فهو موافق لمن قال عام الفتح » ثمَّ قال ابن حجر : فتحصل ممَّا أشار إليه ستة موخطين : ثمَّ عمرة القضاء ، ثمَّ الفتح ، ثمَّ أوطاس ، ثمَّ تبوك ، ثمَّ حجَّة الوداع .»

وذكر النووي في شرح مسلم ٩ : ١٧٩ - ١٨٤ نحوه .

٢ . وقال ابن كثير في البداية ٤ : ٤٤٠ في معرض كلامه عنها : « ... فعلى هذا يكون قد نهي عنها ، ثمَّ أذن فيها ، ثمَّ حرَّمت ، فيلزم النسخ مرَّتين ، وهو بعيد .»
٣ . روي عن الشافعي أنه قال لعلم « شيئاً حرَّمت ثمَّ أُبيح ثمَّ حرَّمت إلا المتعة ، قالوا نسخت مرَّتين » زاد المعاد ٣ : ٣٤٤ لابن القيم الجوزية .

إلى غير ذلك من الكلمات الكثيرة حول اضطراب النسخ في المسألة .

واضطراب آخر موجود يتعلَّق بالحرَّمت لها ، حيث أنَّ هناك روايات وردت في الصحاح وكلمات للعلماء تنصُّ على أنَّ الحرَّمت ههنا عمر بن الخطاب ، وقد تقدَّم ذكر الروايات ، ونشير هنا إلى بعض الكلمات المقرَّرة بتحريم عمر

للمتعة :

١ . قال ابن القيم الجوزية في زاد المعاد ٣ : ٤٦٣ : « فإن قيل : فما تصنعون بما رواه مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله قال كنا نستمع بالقبضة من التمر والدقيق الأيام على عهد رسول الله وأبي بكر حتى نحانا عنها عمر في شأن عمرو بن حريث ، وفيما ثبت عن عمر أنه قال متعتان كانتا على عهد رسول الله أنا أنهي عنهما : متعة النساء ومتعة الحج ، قيل : الناس في هذا طائفتان : طائفة تقولان : عمر هو الذي حرّمها ونهى عنها وقد أمر رسول الله باتباع ما سنّه الخلفاء الراشدون . »

٢ . قال السيوطي في تاريخ الخلفاء : ١٠٧ : « فصل في أوليات عمر رضي الله عنه ، قال العسكري : هو أوّل من سمّي أمير المؤمنين وأوّل من حرّم المتعة ... » .

ولهذا بقيت الشّعيرة متمسكة بالقرآن الكريم والسنة النبوية ، لأنّها تعتقد بعدم جواز الاجتهاد في مقابل النص ، وعمر بن الخطاب هنا في مقابل النص الصريح ، حرّم حكماً شرعياً كان مباحاً زمن الرسول **صلى الله عليه وآله وسلم** ، ولو كان النسخ ثابتاً لما قال : « أنا أنهي عنهما » .

وكذلك أكّدت الروايات المتواترة عن أهل البيت **عليهم السلام** المتعة كما نصّ عليها القرآن .
ومن هذا العرض الموجز يتجلّى للقارئ أنّ ما ذكره في كشف الجاني : ١٦٢ ما هو إلّا كلام فاقد لأبسط المقومات العلمية ، وغير مستند إلّا للأهواء والتعصب المقيت لعقيدة الآباء .

القول بتحريف القرآن

هذا القول في حد ذاته يفتيخ لا يتحمّ له مسلم آمن برسالة محمد ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم سواء كان شيعياً أم سائراً؛ القرآن الكريم تكفّل ربّ العزّة والجلالة بحفظه فقال: **لَنْ نَنْسِيَهُ مِنْ نُنزِّلُ لَكَ الْقُرْآنَ (الذّكر) وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** (١)، فلا يمكن لأحد أن يُنقص منه أو يزيد فيه حرفاً واحداً وهو معجزة نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم الخالدة، والذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. والواقع العملي للمسلمين يرفض تحريف القرآن؛ لأن كثيراً من الصحابة كانوا يحفظونه عن ظهر قلب وكانوا يتسابقون في حفظه وتحفيظه إلى أولادهم على مرّ الأزمنة حتى يومنا الحاضر لا يمكن لإنسان ولا جماعة ولا لدولة أن يحرّفوه أو يبدّلوه. ولو جُبلد المسلمون شرقاً وغرباً شمالاً وجنوباً وفي كلّ بقاع الدنيا، فسوف نجد نفس القرآن بدون زيادة ولا نقصان، وإن اختلف

١. الحجر : ٩.

المسلمون إلى مذاهب وفرق وملل ونحل ، فالقرآن هو الحافظ الوحيد الذي يجمعهم ولا يختلف فيه من الأمة اثنان ، إلا ما كان من التفسير أو التأويل لكل حزب بما لديهم فرحون . وما يُنسبُ إلى الشيعة إلى القول بالتحريف هو مجرد تشنيع وتهويل وليس له في معتقدات الشيعة وجود .

وإذا ما قرأنا عقيدة الشيعة في القرآن الكريم فسوف نجد إجماعهم على تنزيه كتاب الله من كل تحريف .

يقول صاحب كتاب عقائد الإمامية الشيخ المظفر : « نعتقد أن القرآن هو الوحي الإلهي المنزّل من الله تعالى على لسان نبيه الأكرم ، فيه تبيان كل شيء ، وهو معجزته الخالد الذي أعجزت البشرية عن مجاراتها في البلاغة والفصاحة ، وفيما احتوى من حقائق ومعارف عالية ، لا يعتريه التبديل والتغيير والتحريف ، وهذا الذي بين أيدينا نتلوه هو نفس القرآن المنزّل على النبي ، ومن ادعى فيه غير ذلك فهو مخترق أو مغالط أو مشتبه ، وكلّهم على غير هدى فإنّه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » ^(١) (انتهى كلامه) .

١ . عقائد الإمامية : ٦٢ .

ويدلّ على عدم وقوع التحريف . سوى العمومات أمثال حديث الثقلين

وبعد هذا فكلّ بلاد الشيعة معروفة ، وأحكامهم في الفقه معلومة لدى الجميع ، فلو كان عندهم قرآن غير الذي عندنا لعلمه الناظر أنه كذّر أنيّ عندما زرتُ بلاد الشيعة للمرة الأولى كان في ذهني بعض هذه الإشاعات فكانت كلما رأيت مجلداً ضخماً تناولته عليّ أعثر على هذا القرآن المزعوم ولكن سرعان ما تبخّر هذا الوهم وعرفتُ فيما بعد أنّها إحدى التشنيعات المكذوبة لينفروا الناس من الشيعة.

ولكن يبقى هناك دائماً من شذّب ويحتج على الشيعة بكتاب اسمه « فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب ربّ الأرباب » ، ومؤلفه الميرزا محمد حسين النوري الطبرسي المتوفي سنة ١٣٢٠ هجري وهو شيعي ويريد هؤلاء المتحاملون أن يحمّلوا الشيعة

وأحاديث العرض على الكتاب . قول علي عليه السلام في نهج البلاغة : كتاب ربكم فيكم ، مبيّن حلاله وحرامه ، وفرائضه وفضائله بأسخه ومنسوخه ، ورخصه وعزائمه ، وخاصّته وعامّته ، وعبره وأمثاله ، ومرسله ومحدوده ، ومحكمه ومتشابهه ... ».

وما قاله الإمام الباقر عليه السلام كما في الكافي ٨ : ٥٣ « ..و كان من نبذهم الكتاب أن أقاموا حروفه وحرفوا حدوده ... » ، فالمراد من إقامة الحروف هو حفظها عن التغيير والتبديل والزيادة والنقصان . وهذا الحدِيثان يدلّان بكل صراحة على نفي التحريف .

مسؤولية هذا الكتاب! وهذا مخالف للانصاف.

فكم من كُتبت كتبت وهي لا تُعبر في الحقيقة إلا عن رأي كاتبها ومؤلفها ، ويكون فيها الغثّ والسمين وفيها الحقّ والباطل ، وتحمل في طياتها الخطأ والصواب ، ونجد ذلك عند كل الفرق الإسلامية ولا يختص بالشيعة دون سواها ليجوز لنا أن نُحمّل أهل السنة والجماعة مسؤولية ما كتبه وزير الثقافة المصري وعميد الأدب العربي الدكتور طه حسين بخصوص القرآن والشعر الجاهلي؟

أو مارواه البخاري وهو صحيح عندهم من نقص في القرآن وزيادة ، وكذلك صحيح مسلم وغيره^(١).

ولكن لنضرب عن ذلك صفحاً ونقابل السيئة بالحسنة ، ولنعم مقالته في هذا الموضوع الأستاذ محمد المدني عميد كلية الشريعة بالجامعة الأزهرية ، إذ كتب يقول :
أمّا أن «الإمامية يعتقدون نقص القرآن فمعاذ الله ، وإتمّأ هي روايات رُويت في كتبهم ، كما رُوي مثلها في كتبنا ، وأهل التحقيق من الفريقين قد زيّفوها ، وبيّنوا بطلانها ، وليست في الشيعة الإمامية

١ . إذ إن كتاب (فصل الخطاب) لا يعد شيئاً عند الشيعة ، بينما روايات نقص القرآن والزيادة فيه أخرجها صحاح أهل السنة والجماعة أمثال البخاري ومسلم ومسنند الإمام أحمد (المؤلف) .

أو الزيدية من يعتقد ذلك ، كما إنه ليس في السنة من يعتقدده .
ويستطيع من شاء أن يرجع إلى مثل كتاب الإتيان للسيوطي ، ليرى فيه أمثال هذه
الروايات التي نضرب عنها صفحاً .

وقد أَلَّفَ أحد المصريين في سنة ١٤٩٨ م كتاباً اسمه « الفرقان » حشده بكثير من
أمثال هذه الروايات السقيمة المدخولة المرفوضة ، ناقلاً لها عن الكتب والمصادر عند أهل
سلطنة ، وقد طلب الأزهر من الحكومة مصادرة هذا الكتاب بعد أن بين بالدليل والبحث
العلمي أوجه البطلان والفساد فيه ، فاستجابت الحكومة لهذا الطلب وصادرت الكتاب ،
فرجع صاحبه دعوى يطلب فيها تعويضاً ، فحكم القضاء الإداري في مجلس الدولة برفضها .
أفيقال أن أهل السنة ينكرون قداسة القرآن؟ أو يعتقدون نقص القرآن لرواية رواها
فلان؟ أو لكتاب ألفه فلان؟

فكذلك الشيعة الإمامية ، إنما هي روايات في بعض كتبهم كالروايات في بعض كتبنا ،
وفي ذلك يقول الإمام العلامة السعيد أبو الفضل بن الحسن الطبرسي من كبار علماء
الإمامية في القرن السادس الهجري في كتاب (مجمع البيان لعلوم القرآن) :
فإن الزيادة فيه فمجمع على بطلانها وأما النقصان منه فقد روى جماعة من
أصحابنا وقوم من حشوية أهل السنة أن في القرآن

تغييراً ونقصاناً ، والصحيح من مذهب أصحابنا خلافة ، وهو الذي نصره المرتضى قس الله روحه ، واستوفى الكلام فيه غاية الاستيفاء في جواب « مسائل الطرابلسيات » ، وذكر في مواضع : إن العلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان ، والحوادث الكبار ، والوقائع العظام ، والكتب المشهورة وأشعار العرب فإن العناية اشتدت ، والدواعي توفرت على نقله وحراسته وبلغت إلى حد لم تبلغه فيما ذكرنا لأن القرآن معجزة النبوة ومأخذ العلوم الشرعية ، والأحكام الدينية وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وحمايته الغاية حتى عرفوا كل شيء أختلف فيه من إعرابه ، وقراءاته ، وحروفه ، وآياته ، فكيف يجوز أن يكهنغيراً أو منقوصاً مع العناية الصادقة والضبط الشديد ^(١) .

وحتى يتبين لك أيها القارئ أن هذه التهمة (نقص القرآن والزيادة فيه) هي أقرب لأهل السنة منها لأهل الشيعة ، وذلك من الدواعي التي دعيتني إلى أن أراجع كل معتقدي؛ لأنني كلما حاولت انتقاد الشيعة في شيء والاستنكار عليهم إلا وأثبتوا براءتهم منه وإصافه بي ، عرفت أنهم يقولون صدقاً ، وعلى مر الأيام ومن خلال البحث

١. مقال الأستاذ محمد المديني عميد كلية الشريعة في الجامع الأزهر ، مجلة رسالة الإسلام ، العدد الرابع ، من السنة الحادية عشر : ٣٨٢ و ٣٨٣ (المؤلف) .

اقتنعتُ والحمد لله ، وها أنا مقدّم لك ما يثبت ذلك في هذا الموضوع :

أخرج الطبراني والبيهقي :

إنّ من القرآن سورتين إحداهما هي :

«بسم الله الرحمن الرحيم ، نستعينك ونستغفرك ونُثني عليك الخير كلّه ولا نكفُ رُكَّ ولنجُ ونتركُ من يفجرك» .

والسورة الثانية هي :

«بسم الله الرحمن الرحيم اللهم إياك نعبدُ ولك نُصلّي ونسجد ، وإليك نسعى ونحفد ، نرجو رحمتك ونخشى عذابك الجدّ إنّ عذابك بالكافرين ملحقٌ» .
وهاتان السورتان سمّاهما الراغب في المحاضرات سورتي القنوت ، وهما ممّا كان يقنتُ بهما سيّدنا عمر بن الخطّاب ، وهما موجودتان في مصحف ابن عبّاس ، ومصحف زيد بن ثابت^(١) .

أخرج الإمام أحمد بن حنبل في مسنده :

عن أبي بن كعب قال : كم تقرّؤون سورة الأحزاب؟ قال : بضعاً وسبعين آية ، قال : لقد قرأتها مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم مثل البقرة أو أكثر

١ . السنن الكبرى للبيهقي ٢ : ٢١٠ ، كتاب الدعاء للطبراني : ٢٣٨ ، المصنّف لابن أبي شيبة ٣ : ١٢١ ح ٤٩٩٧ ، الدر المنثور ٦ : ٤٢١ ، والمحاضرات للراغب الأصفهاني ٢ : ٤٤٣ . (مبدأ القرآن ونزوله) .

منها ، وإنّ فيها آية الرجم^(١) .
وأنت ترى أيّها القارئ اللبيب أنّ السورتين المذكورتين في كتابي الإتيقان والدر المنثور
للسيوطي ، واللّتين أخرجهما الطبراني والبيهقي ، واللّتين تسميان بسورتي القنوت لا وجود
لهما في كتاب الله تعالى .

وهذا يعني أنّ القرآن الذي بين أيدينا ينقص هاتين السورتين الثابتتين في مصحف ابن
عباس ومصحف زيد بن ثابت ، كما يدلّ أيضاً بأنّ هناك مصاحف أخرى غير التي عندنا ،
وهو يدكرني أيضاً بالتشنيع على أنّ للشيعة مصحف فاطمة ، فافهم!
وإنّ أهل السنّة والجماعة يقرأون هاتين السورتين في دعاء القنوت كلّ صباح ، وكنّت
شخصياً أحفظهما وأقرأ بهما في قنوت الفجر .

أمّا الرواية الثانية التي أخرجها الإمام أحمد في مسنده ، والتي تقول بأنّ سورة الأحزاب
ناقصة ثلاثة أرباع ، لأنّ سورة البقرة فيها ٢٨٦ آية بينما لا تتعدّى سورة الأحزاب ٧٣ آية .
وإذا اعتبرنا عدّ القرآن بالحزب فإنّ سورة البقرة فيها أكثر من خمسة أحزاب ، بينما

١ . مسند أحمد بن حنبل ٥ : ١٣٢ ، وقال محقّق الكتاب . حمزة أحمد الزين . : « اسناده صحيح » .

لا تعد سورة الأحزاب إلاّ حزباً واحداً .

وقول أبي بن كعب كنهٌ أقرأها مع رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم مثل البقرة أو أكثر « وهون ما شهر القرءاء الذين كانوا يحفظون القرآن على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي اختاره عمر ليه صلى بالناس صلاة التراويح^(١). فقوله هذا يبعث الشكّ والحيرة كما لا يخفى.

وأخرج الإمام أحمد بن حنبل في مسنده عن أبي بن كعب قال : إن رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم قال :

إلّا الله ﷻ تبارك وتعالى أمرني أن أقرأ عليك القرآن ، فقال : فقرأ : لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب ، فقرأ فيها : ولو أن ابن آدم سأل وادياً من مال فأعطيه لسأل ثانياً ، فلو سأل ثانياً فأعطيه لسأل ثالثاً ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلاّ التراب ويتوب الله ﷻ على من تائباً ذلك الدين القيّم ﷻ عند الله ﷻ الحنفية غير المشركة ، ولا اليهودية ولا النصرانية ، ومن يفعل خيراً فلن يكفره) «^(٢).

وأخرج الحافظ ابن عساكر في ترجمة أبي بن كعب أن أبا الدرداء ركب إلى المدينة في نفر من أهل دمشق ، فقرأ فيها على

١. صحيح البخاري ٢ : ٢٥٢ ، كتاب صلاة التراويح.

٢. مسند الإمام أحمد بن حنبل ٥ : ١٣١ ، مسند أبي داود الطيالسي : ٧٣ ، وقال محقق الكتاب . حمزة أحمد الزين . : « اسناده حسن » .

عمر بن الخطاب هذه الآية :

(إذ جعلنا ليل كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية ولو حميتهم كما همَّ أو لفسدَ المسجد الحرام) فقال عمر بن الخطاب : من أقرأكم هذه القراءة؟ فقالوا : أبي بن كعب ، فدعاه فقال لهم عمر : إقرأوا ، فقرأوا : (ولو حميتهم كما هموا لفسد المسجد الحرام) فقال أبي ابن كعب لعمر بن الخطاب : نعم أنا أقرأهم ، فقال عمر لزيد بن ثابت : أقرأ يا زيد ، فقرأ زيد قراءة العامة ، فقال عمر : اللهم لا أعرف إلا هذا! فقال أبي بن كعب : والله يا عمر إنك لتعلم أني كنتُ أحدَ ضُرِّ ويغيبون ، وأدنونوا ويحجبون ، والله لئن أحدٌ بهُتَ لألزمَنَّ بيتي فلا أحدٌ أحداً ، ولا أقرأ أحداً حتى أموت ، فقال عمر اللهم غفراً ، إنك لتعلم إن الله قد جعل عندك علماً ، فعلم الناس ما علمت^(١) .

قال ومهرَّ عمر بـغلام وهو يقرأ في المصحف :

(لنبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أبُّ لهم) فقال : يا غلام حكها ، فقال : هذا مصحف أبي بن كعب ، فذهب إليه

١ . تاريخ دمشق للحافظ ابن عساكر ٧ : ٣٣٨ و ٦٨ : ١٠٢ ، كنز العمال ٢ : ٥٩٥ ح ٤٨١٦ .

فسأله فِئْلَى كَلان: يُلْهِنِي الْقُرْآنُ وَيُلْهِيكُ الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ^(١).
وروى مثل هذا ابن الأثير في جامع الأصول ، وأبو داود في سننه ، والحاكم في
مستدركه .

وأترك لك أخي القارئ أن تُعَلِّقَ في هذه المِرَّةِ بنفسك على أمثال هذه الروايات التي
ملأتْ كُتُبَ أهل السنَّة والجماعة ، وهم غافلون عنها ويشنِّعون على الشيعة الذين لا يوجد
عندهم عشر هذا!

ولكن لعلَّ بعض المعاندين من أهل السنَّة للجماعة ينفرُ من هذه الروايات فيرفضها
كعادته ، وينكر على الإمام أحمد تخريجه مثل هذه الخرافات ، فيضعف أسانيدُها ويعتبر أن
مسند الإمام أحمد وسنن أبي داود ليسا عند أهل السنَّة بمستوى صحيح البخاري ومسلم ،
ولكن مثل هذه الروايات موجودة في صحيح البخاري وصحيح مسلم أيضاً .
فقد أخرج الإمام البخاري في صحيحه في باب مناقب عمِّار وحذيفة رضي الله
عنهما عن علقمة قائلٍ: الشَّامُ فَصْلِيَّتُ

١ . السنن الكبرى للبيهقي ٧ : ٦٩ ، تاريخ دمشق ٧ : ٣٣٩ ، سير أعلام النبلاء ١ : ٣٩٧ ، الدر المنثور ٥ :
١٨٣ ، كنز العمال ٢ : ٥٦٩ ح ٤٧٤٦ ، المستدرک للحاكم : (كتاب التفسير ، في تفسير سورة الأحزاب)
وصححه ، سنن أبي داود ٢ : ٥١٥ ح ٥١٨٢ وصرَّح الشيخ الألباني بصحته .

ركعتين ، ثم قَلَّلَهُمْ يَسَّرَ لِي جَلِيساً صَالِحاً ، فَأَتَيْتُ قَوْمًا فَجَلَسْتُ إِلَيْهِمْ ، فَإِذَا شَيْخٌ قَدْ جَاءَ حَتَّى جَلَسَ إِلَى جَنْبِي قُلْتُ مَنْ هَذَا؟ قَالُوا أَبُو الدَّرْدَاءِ ، قُلْتُ لِي: دَعَوْتُ اللهُ أَنْ يَسِّرَ لِي جَلِيساً صَالِحاً فَيَسِّرَ لِي.

قُلْتُ أَنْتَ؟ فَقُلْتُ: مَنْ أَهْلُ الْكُوفَةِ ، قَالَ أَوْ لَيْسَ عِنْدَكُمْ ابْنُ أُمِّ عَبْدِ صَاحِبِ الْيَنْعَمِ وَالْوَسَادِ وَالْمَطْهَرَةِ ، وَفِيكُمْ الَّذِي أَجَارَهُ اللهُ مِنَ الشَّيْطَانِ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الَّذِي لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ غَيْرُهُ ، ثُمَّ قَالَ كَيْفَ يَقْرَأُ عَبْدُ اللهِ **اللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى**) فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ : (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى وَالذِّكْرِ وَالْأُنْثَى) قَالَ وَآلَهُ لَقَدْ أَقْرَأْتُهَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِيهِ إِلَى فِي^(١).

ثُمَّ زَادَ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى قَالَ مَا زَالَ بِي هَؤُلَاءِ حَتَّى كَادُوا يَسْتَنْزِلُونِي عَنْ شَيْءٍ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ^(٢).

وَفِي رِوَايَةٍ قَالَ : (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى وَالذِّكْرِ وَالْأُنْثَى) قَالَ : أَقْرَأْتُهَا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَاهُ إِلَى فِي ، فَمَا زَالَ هَؤُلَاءِ

١. صحيح البخاري ٤ : ٢١٥ ، كتاب فضائل أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ باب مناقب عمِّه وأر
وحذيفة.

٢. المصدر نفسه.

حتى كادوا يردوني^(١).

فهذه الروايات كلها تفيد بأن القرآن الذي عندنا زيد فيه كلمة « وما خلق ». وأخرج البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عباس أن عمر بن الخطاب قال إن الله بعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ، وأنزل عليه الكتاب ، فكان مما أنزل الله آية الرجم ، فقرأناها وعقلناها ووعيناها ، فلذا رجم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورجمنا بعده ، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل والله : ما نجد آية الرجم في كتاب الله ، فيضلوا بترك فضيلة أنزلها الله ، والرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو الحبل والاعتراف ، ثم إننا كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله : أن لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم ، أو إن كفراً بكم أن ترغبوا عن آبائكم^(٢).

وأخرج الإمام مسلم في صحيحه : (في باب لو أن لابن آدم واديين لابتغى ثالثاً).

١. صحيح البخاري ٤ : ٢١٩ ، كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم باب مناقب عبد الله

بن مسعود.

٢. صحيح البخاري ٨ : ٢٦ ، كتاب المحاربن ، باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت.

قال بعث أبو موسى الأشعري إلى قرّاء أهل البصرة ، فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرأوا القرآن ، فقال أنتم خيار أهل البصرة وقُرّاءهم ، فأتلوه ولا يطولنَّ عليكم الأمل فتقسوا قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم ، وإنّا كنّا نقرأ سورةً كنا نشبهُها في الطول والشدّة براءة فأنسيتها غير إنيّ قد حفظت منها (لو كان لابن آدم واديك من مال لابتغى وادياً ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلاّ التراب) .

وكنّا نقرأ سورةً كنّا نشبهها بإحدى المسبّحات فأنسيتها غير إنيّ حفظت منها : (يا أيّها الذين آمنوا لما تقولون مالا تفعلون فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة)^(١) .

وهاتان السورتان المزعومتان اللتان نسيهما أبو موسى الأشعري إحداهما تشبه براءة يعني ١٢٩ آية ، والثانية تشبه إحدى المسبّحات يعني عشرون آية ، لا وجود لهما إلاّ في خيال أبي موسى ، فاقراً وأعجب فينيّ أترك لك الخيار أيّها الباحث المنصف .
فإذا كانت كتب أهل السنّة والجماعة مسانيدهم وصحاحهم مشحونة بمثل هذه الروايات التي تدّعي بأنّ القرآن ناقص مرّة ،

١ . صحيح مسلم ٣ : ١٠٠ ، كتاب الزكاة ، باب لو أن لابن آدم واديان لابتغى ثالثاً .

وزائد أخرى ، فلماذا هذا التشنيع على الشيعة الذين أجمعوا على بطلان هذا الادعاء؟! وإذا كان الشيعي صاحب كتاب **فصل الخطاب** في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب « وهو المتوفي سنة ١٣٢٠ هجرية كتب كتابه منذ ما يقرب مائة عام ، فقد سبقه السني في مصر صاحب كتاب « الفرقان » بما يقارب أربعة قرون ، كما أشار إلى ذلك الشيخ محمد المدني عميد كلية الشريعة بالأزهر^(١).

المهم وفي كل هذا أن علماء السنة وعلماء الشيعة من المحققين قد أبطلوا مثل هذه الروايات واعتبروها شاذة ، وأثبتوا بالأدلة المقنعة بأن القرآن الذي بين أيدينا هو نفس القرآن الذي أنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وليس فيه زيادة ولا نقصان ، ولا تبديل ولا تغيير .

فكيف شنع أهل السنة والجماعة على الشيعة من أجل روايات ساقطة عندهم ، ويبرؤون أنفسهم ، بينما صحاحهم تثبت صحة تلك الروايات؟ وإني إذ أذكر مثل هذه الروايات بمرارة كبيرة وأسف شديد ، فما أغنانا اليوم عن السكوت عنها وطيبها في سلّة المهلات ، لولا الحملة الشعواء التي شنّها بعض الكتّاب والمؤلفين ممن يدعون التمسك

١ . رسالة الإسلام : العدد الرابع ، من السنة الحادية عشر : ٣٨٢ و ٣٨٣ .

بالسنة النبوية؛ ومن ورائهم دوائر معروفة تمّ لهم وتشجعهم على الطعن وتكفير الشيعة ،
خصوصاً بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران ، فإلى هؤلاء أقول اتقوا الله في إخوانكم ،)
وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا سَلَفًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْتَبِعُوا آيَاتَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَكُونَ
قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مَمْنُونًا (إخواناً) (١).

١ - سورة آل عمران : ٢١ .

الجمع بين الصلاتين

ومما يُشذَّع به على الشيعة أيضاً جمعهم بين صلاة الظهر والعصر ، وبين صلاة المغرب والعشاء.

وأهل السؤالاتجماعة إذ يشنعون على الشيعة ، فإنهم يؤكِّدون في المقابل بأنهم يحافظون على الصلاةين الله سبحانه وتعالى **القول: كَرَانَتْ عَلَيَّ الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً** (١).

وقبل أن نحكم لهم أو عليهم يجب علينا أن نبحث في الموضوع من جميع جوانبه ونرى أقوال الطرفين :

أمّا أهل السنة والجماعة فهم متفقون على جواز الجمع بعرفه بين الظهر والعصر ويسمى جمع تقديم ، وجواز الجمع بالمزدلفة وقت العشاء بينها وبين فريضة المغرب ويسمى جمع تأخير ، وهذا مايتفق عليه كل المسلمون شيعة وسنة ، بل كل الفرق الإسلامية بدون استثناء.

١. النساء : ١٠٣.

والخلاف بين الشيعة وأهل السنة هو في جواز الجمع بين الفريضتين الظهر والعصر ،
والمغرب والعشاء في كل أيام السنة بدون عذر السفر .
أمّا الحنفيّة فيقولون بعدم الجواز حتى في السفر ، وذلك مع وجود النصوص الصريحة
بجوازه لا سيما في السفر ، وخالفوا بذلك إجماع الأئمّة سنة وشيعة .
وأمّا المالكية والشافعية والحنبلية فيقولون بجواز الجمع بين الفريضتين في السفر ،
ويختلفون بينهم في جوازه لعذر الخوف والمرض والمطر والطين .
وأمّا الشيعة الإمامية فمتمفقون على جوازه مطلقاً في غير سفر ولا مطر ولا مرض ولا
خوف ، وذلك اقتداء بما رووه عن أئمة أهل البيت من العترة الطاهرة عليهم السلام .
وهنا يجب علينا أن نقف منهم موقف الاتهام والتشكيالأنّهم كلّما احتجّ أهل السنة
والجماعة عليهم بحجّة ، إلّا ويردونها بأنّ الأئمة من أهل البيت عليهم السلام لموهوم وبيّنوا
لهم كلّ ما أشكل عليهم ، ويفتخرون بأنّهم يقتلون بأئمة معصومين يعلمون القرآن والسنة!
وأنا أتذكّر بأنّ أوّل صلاة جمعت فيها بين الظهر والعصر كانت بإمامة الشهيد محمد
باقر الصدر عليه رضوان الله ، إذ كنت وأنا في

النجف أفرق بين الظهر والعصر حتى كان ذلك اليوم السعيد الذي خرجت فيه مع السيد محمد باقر صلدر من بيته إلى المسجد الذي يؤم فيه مقلديه الذين احتراموني وتركوا لي مكاناً خلفه بالضبط.

ولما انتهت صلاة الظهر وأقيمت صلاة العصر حدثتني نفسي بالانسحاب ، ولكن بقيت لسببين أو لهمنيبة السيد الصدر وخشوعه في الصلاة حتى تمت أن تطول ، وثانيهما ويحي في ذلك المكان وأنا أقرب المصلين إليه ، وأحسست بقوة قاهرة تشدني إليه ، ولما فرغنا من أداء فريضة العصر وانحال عليه الناس يسألونه ، بقيت خلفه أسمع الأسئلة والجابة عليها إلا ما كان خفياً ، ثم أخذني معه إلى بيته للغداء ، وهناك وجدت نفسي ضيف الشرف ، واغتنتم فرصة ذلك المجلس وسألته عن الجمع بين الصلاتين :

سيددي! أيمكن للمسلم أن يجمع بين الفريضتين في حالة الضرورة؟

قال : يمكن له أن يجمع بين الفريضتين في جميع الحالات وبدون ضرورة.

قلت وما هي حججكم؟

قال لأين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جمع بين الفريضتين في المدينة في غير

سفر ولا خوف ولا مطر ولا ضرورة ، وإنما فقط لدفع الحرج عنّا ،

وهذا بحمد الله ّ ثابت عندنا من طريق الأئمة الأطهار ، وثابت أيضاً عندكم .
استغربت كيف يكون ثابتاً عندنا ، ولم أسمع به قبل ذلك اليوم ، ولا رأيت أحداً من
أهل السنّة والجماعة يعمل به ، بل بالعكس يقولون ببطلان الصلاة إذا وقعت حتى دقيقة
قبل الأذان ، فكيف بمن يصلّيها قبل ساعات مع الظهر ، أو يصلّي صلاة العشاء مع
المغرب ، فهذا يبدو عندنا منكراً وباطلاً .
وفهم السيّد محمد ّ مد باقر الصدر حيرتي واستغرابي ، وهمس إلى بعض الحاضرين ، فقام
ومعلدّ وجاءه بكتابين عرفت بأنهما صحيح البخاري وصحيح مسلم ، وكلّف السيّد ذلك
الطالب بأن يطلعني على الأحاديث التي تتعلّق بالجمع بين الفريضتين .
وقرأت بنفسني في صحيح البخاري كيف جمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فريضة
الظهر والعصر ، وكذلك فريضة المغرب والعشاء ، كما قرأت في صحيح مسلم باباً كاملاً في
الجمع بين الصلاتين في الحضر في غير خوف ولا مطر ولا سفر .
ولم أخف تعجّبني ودهشتي وإن كان الشكّ ّ داخلي بأن البخاري ومسلم اللذين عندهم
قد يكونان محرّفين ، وأخفيت في نفسي أن أراجع هذين الكتابين في تونس .

وسألني السيد محمد باقر الصدر عن رأيي بعد هذا الدليل.
قلت أنتم على حق ، وأنتم صادقون فيما تقولون ، وبودي أن أسألكم سؤالاً آخر.
قال : تفضل.

قلت هل يجوز الجمع بين الصلوات الأربع ، كما يفعل كثير من الناس عندنا لما
يرجعوا في الليل يصلون الظهر والعصر والمغرب والعشاء قضاء.
قال : هذا لا يجوز.

قلت إنك قلت لي فيما سبق بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ق وجمع ،
وبذلك فهمنا مواقيت الصلاة التي ارتضاها الله سبحانه .

قال : إن لفريضة الظهر والعصر وقت مشترك ، ويتدئ من زوال الشمس إلى
الغروب ، ولفريضة المغرب والعشاء أيضاً وقت مشترك ويتدئ من غروب الشمس إلى
منتصف الليل ، ولفريضة الصبح وقت واحد يتدئ من طلوع الفجر إلى شروق الشمس ،
فمن خالف هذه المواقيت يكون خالف **إِلَّا يُلْطَلِكُمْ كَمَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ كِتَابٍ**
مَوْقُوتًا ^(١) ، فلا يمكن لنا مثلاً أن نصلي الصبح قبل الفجر ولا بعد شروق الشمس ، كما
لا يمكن لنا أن نصلي فريضة

١ . النساء : ١٠٣ .

الظهر والعصر قبل الزوال أو بعد الغروب ، كما لا يجوز لنا أن نصلّي فريضتي المغرب والعشاء قبل الغروب ولا بعد منتصف الليل .
وشكرت السيّد محمد مد باقر المصّ وإذ كنت اقتنعت بكلّ أقواله ، غير أنّي لم أجمع بين الفريضتين بعد مغادرته إلّا عندما رجعت إلى تونس ، وأتممكت بالبحث واستبصرت .
هذه قصتي مع الشهيد الصدر رحمة الله عليه في خصوص الجمع بين الفريضتين ، أرويها ليتبين إخواني من أهل السنّة والجماعة أو لا كيف تكون أخلاق العلماء اللذين تواضعوا حتى كانوا بحقّ ورثة الأنبياء في العلم والأخلاق .
وثانياً : كيف نجهد ما في صحاحنا ، ونشجع على غيرنا بأمر نعتقد نحن بصحتها ، وقد وردت في صحاحنا .

فقد أخرج الإمام أحمد بن حنبل في مسنده^(١) عن ابن عباس قال صلّى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم في المدينة مقيماً غير مسافر سبعاً وثمانياً .
وأخرج الإمام مالك في الموطأ^(٢) عن ابن عباس قال : صلّى

١ . مسند الإمام أحمد بن حنبل ١ : ١٠١ وصححه أحمد محمد شاكر محقق الكتاب .

٢ . موطأ الإمام مالك ١ : ٩٣ كتاب قصر الصلاة ، باب الجمع بين الصلاتين .

رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم الظهر والعصر جميعاً ، والمغرب والعشاء جميعاً في غير خوف ولا سفر.

وأخرج الإمام مسلم في صحيحه في باب الجمع بين الصلاتين في الحضر قال : عن ابن عباس قال ضلّى رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم الظهر والعصر جميعاً ، والمغرب والعشاء جميعاً في غير خوف ولا سفر^(١).

كما أخرج عن ابن عباس أيضاً قال جمع رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم بين الظهر والعصر ، والمغرب والعشاء بالمدينة في غير خوف ولا مطر ، قال قلت لابن عباس : لم فعل ذلك؟ قال : لا يخرج أمّته^(٢).

ومما يدلّك أخي القارئ أنّ هذه السنّة النبويّة كانت مشهورة لدى الصحابة ويعملون بها مارواه مسلم أيضاً في صحيحه في نفس الباب قال : خطبنا ابن عباس يوماً بعد العصر حتى غرّبت الشمسُ وبدت النجوم ، وجعل الناس يقولون : الصلاة الصلاة ، قال : فجاءه رجل من بني تميم لا يفتر ولا ينتهي الصلاة الصلاة ، فقال ابن عباس أتعلمني بالسنّة لا أمّ لك ، ثمّ قال رأيت رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم جمع الظهر والعصر والمغرب والعشاء.

١. صحيح مسلم ٢ : ١٥١ ، كتاب صلاة المسافرين ، باب الجمع بين الصلاتين في الحضر.

٢. المصدر نفسه.

وفي رواية أخرى قال ابن عباس للرجل أمّ لك أتعلّمنا بالصلاة وكذا نجمع بين الصلاتين على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم^(١).

وأخرج الإمام البخاري في صحيحه في باب وقت المغرب قال: حدثنا آدم قال: حدثنا شعبة، قال حدثنا عمرو بن دينار، قال سمعت جابر بن يزيد عن ابن عباس قال: صلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم جميعاً، وثمانية جميعاً^(٢).

كما أخرج البخاري في صحيحه^(٣) في باب وقت العصر قال سمعت أبا أمامة يقول: صلينا مع عمر بن عبد العزيز، ثم خرجنا حتى دخلنا على أنس بن مالك فوجدناه يصلي العصر، فقلت يا عمّ ماهذه الصلاة التي صليت؟ قال العصر، وهذه صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التي كنا نصلي معه^(٤).

١. المصدر نفسه.

٢. صحيح البخاري ١ : ١٤٠، كتاب مواقيت الصلاة، باب وقت المغرب.

٣. صحيح البخاري ١ : ١٣٨، كتاب مواقيت الصلاة، باب وقت العصر.

٤. ولأجل هذه الروايات المصرّحة بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم جمع بين الصلوات من دون سفر أو مرض أو عذر وقع أهل السنّة في الاضطراب لتوجيه ذلك، مع ما يوصّحون به من بطلان الجمع بين الصلاتين من دون عذر أو سفر أو مرض، ولذلك جاءوا بتأويلات باردة لم يقتنعوا أنفسهم بها :

قال النووي في شرحه لمسلم ٥ : ٢٢٤ بعد نقله للروايات المتقدّمة : « هذه

الروايات الثابتة في مسلم كما تراها ، وللعلماء فيها تأويلات ومذاهب ، وقد قال الترمذي في آخر كتابه : ليس في كتابي حديث أجمعت الأئمة على ترك العمل به إلا حديث ابن عباس في الجمع بالمدينة من غير خوف ولا مطر . وهذا الذي قاله الترمذي في حديث شارب الخمر هو كما قاله ...

وأما حديث ابن عباس فلم يجمعوا على ترك العمل به ، بل لهم أقوال :

هنيئاً تأوله على أنه جمع بعذر المطر ، وهذا مشهور عن جماعة من الكبار المتقدمين ، وهو ضعيف بالرواية الأخرى : من غير خوف ولا مطر .

ومنهم من تأوله على أنه كان في غيم فصلّى الظهر ثم انكشف الغيم وبان أن وقت العصر دخل فصلاًها ، وهذا أيضاً باطل؛ لأنه وإن كان فيه أدنى احتمال في الظهر والعصر لا احتمال فيه في المغرب والعشاء . ومنهم من تأوله على أنه تأخير الأولى إلى آخر وقتها فصلاًها فيه فلمّا فرغ منها دخلت الثانية فصلاًها فصارت صلاته صورة جمع ، وهذا أيضاً ضعيف أو باطل؛ لأنه مخالف للظاهر مخالفة لا تختمل ، وفعل ابن عباس الذي ذكرناه حين خطب واستدلّاه بالحديث لتصويب فعله ، وتصديق أبي هريرة له ، وعدم إنكاره بصريح في ردّ هذا التأويل .

ومنهم من قال بهو محمول على الجمع بعذر المطر أو نحوه ثمّ ما هو في معناه من الأعذار ، وهذا قول أحمد بن حنبل والقاضي حسين من أصحابنا ، واختاره الخطابي والمتولي والروبايني من أصحابنا ... وذهب جماعة من الأئمة إلى جواز الجمع بين الحضر للحاجة لمن لا يتخذ عادة ، وهو قول ابن سيرين وأشهب من أصحاب مالك وحكاها الخطابي عن القفال والشاشي الكبير من أصحاب الشافعي عن ابن إسحاق المروري عن

ومع وضوح هذه الأحاديث بخلافك لا تزال تجد من يشنّ عليك على الشيعة ، وقد حدث ذلك مرّة في تونس فقام الإمام عندنا في مدينة قفصة ليشنّ علينا ويُشهر بنا وسط المصلّين قائلاً : رأيتم هذا الدين الذي جاؤوا به ، إنهم بعد صلاة الظهر يقومون ويصلّون العظيمة ، دين جديد ليس هو دين محمد رسول الله ، هؤلاء يخالفون القرآن الذي **إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ مِنْ أَمْرِ الْأَوَّلِينَ كَمَا بَدَأَهَا رَبُّكُمْ إِذْ عَلَّمَكُمْهَا وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا شُرَكَاءُ فِيهَا وَمَا تَكْفُرُونَ** (١) وما ترك شيئاً إلاّ وشتم به المستبصرين.

وجاءني أحد المستبصرين وهو شاب على درجة كبيرة من الثقافة ، وحكى لي مقاله الإمام بألم ومرارة ، فأعطيته صحيح البخاري وصحيح مسلم ، وطلبت منه أن يطلعه على صحّة الجمع وهو من سنّة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، لأنّني لا أريد الجدل معه ، فقد سبق لي أن

جماعة من أصحاب الحديث ، واختاره ابن المنذر ، ويؤيّد مظاهر قول ابن عباس أن لا يخرج أمّته ، فلم يعلّمه بمرض ولا غيره ، والله أعلم .»

وتعليقاً على قول النووي نقول : إنّ تقيد جواز الجمع « للحاجة لمن لا يتخذ عادة » تأويل باطل لا دليل عليه ، بعد تصريح الروايات بأنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم جمع من دون عذر ولا سفر ولا مرض .

ومن المحتمل قوياً أنّ سبب ذلك هو مخالفة شيعة أهل البيت عليهم السلام ، كما تقدّم التصريح بذلك من بعض علماء السنّة في بعض المسائل ، إذ ارتكبوا خلاف سنّة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، لأنّ الشيعة تفعله كما فعله النبي وآل بيته عليهم السلام .

١ . النساء : ١٠٣ .

جادلته بالتي هي أحسن ، فقابلني بالشتيم والسب والتهم الباطلة.

لوطم أن صديقي لم ينقطع من الصلاة خلفه ، فبعد انتهاء الصلاة جلس الإمام كعادته للدرس ، فتقدم إليه صديقي بالسؤال عن الجمع بين الفريضتين ، فقال : إنهما من بدع الشيعة ، فقال له صديقي : ولكنها ثابتة في صحيح البخاري ومسلم ، فقال له : غير صحيح ، فأخرج له صحيح البخاري وصحيح مسلم وأعطاه ، فقرأ باب الجمع بين الصلاتين ، يقول صديقي فثم ما صدمته الحقيقة أمام المصلين الذين يستمعون لدروسه ، أغلق الكتب وأرجعها إلي قائلاً : هطه تخا برسول الله ، وحتى تصبح أنت رسول الله فبإمكانك أن تصليها ، يقول هذا الصديق فعزفت أذنه جاهل متعصب ، وأقسمت من يومها أن لا أصلي خلفه^(١).

بعد ذلك طلبت من صديقي بأن يرجع إليه ليطلعه على أن ابن عباس كان يصلي تلك الصلاة ، وكذلك أنس بن مالك وكثير من الصحابة ، فلماذا يريد هو تخصيصها برسول الله ، أو لم يكن لنا في

. يهلكي أن رجلين خرجا للصيد ولقيا سواداً بعيداً ، فقال الأول لـ إنه غراب ، وعانده الثاني بأذنه عنزة ، وتعاندا ، وأصر كل منهما على رأيه ، ولكنهما عندما اقتربا من اللوف إذا به غراب انزعج وطار هارياً ، فقال الأول : ألم أقل لك بأذنه غراب هل اقتنعت الآن ، ولكن صديقه أصر على رأيه وقال سبحان الله عنزة تطير؟ (المؤلف).

رسول الله ﷺ أسوة حسنة؟ ولكن صديقي اعتذر لي قائلاً : لا داعي لذلك وإنّه لا يقتنع ولو جاءه رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم.

ولله الحمد لله ﷻ وبعد أن عرف كثير من الشباب هذه الحقيقة ، وهي الجمع بين الصلاتين ، رجع أغلبهم إلى الصلاة بعد تركها ، لأنهم كانوا يعانون من فوات الصلاة في وقتها ، ويجمعون الأوقات الأربعة في الليل فتمل قلوبهم ، وأدركوا الحكمة في الجمع بين الفريضتين لأن كل الموظفين والطلبة وعامة الناس يقدرون على أداء الصلوات في أوقاتها وهم مطمئنون ، وفهموا قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : «كي لا أخرج أمّتي» .

السجود على التربة

أجمع علماء الشيعة على القول بأفضلية السجود على الأرض؛ لما يروونه عن أئمة أهل البيت عليهم السلام قول جدهم رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم: «أفضل السجود على الأرض»^(١).

وفي رواية أخرى: «لا يجوز السجود إلا على الأرض أو ما أنبتت الأرض غير مأكول ولا ملبوس»^(٢).

وقد روى صاحب وسائل الشيعة عن محمد بن علي بن الحسين بإسناده عن هشام بن الحكم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «السجود على الأرض أفضل لأنّه أبلغ في التواضع لله عزّ وجلّ»^(٣).

وفي رواية أخرى عن محمد بن الحسن بإسناده عن إسحاق بن

١. الوسائل ٥ : ٣٦٧ ، ولفظه : « السجود على الأرض أفضل ... ».

٢. المصدر نفسه ٥ : ٣٤٣ .

٣. المصدر نفسه ٥ : ٣٦٧ .

الفضل أنه سأل أبا عبد الله عليه السلام عن السجود على الحصر والبواري المنسوجة من القصب ، فقال لا بأس ، وأن يسجد على الأرض أحب إلي ، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحب ذلك ، أن يمكن جبهته من الأرض ، فأنا أحب لك ما كان يحبّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ^(١) .

أمّا علماء أهل السنّة والجماعة ، فلا يرون بأساً في السجود على الزرابي والفرش ، وإن كان عندهم أفضلية في الحصر .

وهناك بعض الروايات التي يخرجها البخاري ومسلم صحيحهما تؤكد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانت له خُمرة مصنوعة من سعف يسجد عليها ، فقد أخرج مسلم في صحيحه في كتاب الحيض عن يحيى بن يحيى وأبي بكر بن أبي شيبة ، عن أبي معاوية ، عن الأعمش ، عن ثابت بن عبيد ، عن القاسم بن محمد ، عن عائشة قالت : قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «ناوليني الخُمرة من المسجد» ، قالت : فقلت أئني حائض ، فقال : «إن حيضتك ليست في يدك» ^(٢) (يقول مسلم : والخُمرة هي السجادة الصغيرة مقدار ما يسجد عليها) .

ومما يدلنا على أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحبّ السجود على

١ . المصدر نفسه ٥ : ٣٦٨ .

٢ . صحيح مسلم ١ : ١٦٨ ، كتاب الحيض ، باب جواز غسل الحائض رأس زوجها ، سنن أبي داود ١ : ١٠٩ ح ٢٦١ باب الحائض تناول من المسجد .

الأرض ما أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم كان يعتكف في العشر الأوسط من رمضان ، فاعتكف عاماً حتى إذا كان ليلة إحدى وعشرين ، وهي الليلة التي يخرج صبيحتها من اعتكافه ، قال : « من كان اعتكف معي فليعتكف العشر الأواخر ، وقد رأيت هذه الليلة ثم أنسيتها ، وقد رأيتني أمجد في ماء وطين من صبيحتها ، فالتمسوها في العشر الأواخر ، والتمسوها بكل وتر » ، فمطرت السماء في تلك الليلة وكان المسجد على عريش فوكف المسجد ، فبصرت عينا رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم على جبهته أثر الماء والطين من صبح إحدى وعشرين (١) .

وممَّا لِيَا أَيضاً عَلَى أَنَّ الصَّحَابَةَ كَانُوا يَفْضَلُونَ السُّجُودَ عَلَى الْأَرْضِ ، وَذَلِكَ بِحَضْرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، مَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ النَّسَائِيُّ فِي سَنَنِهِ فِي بَابِ تَبْرِيدِ الْحَصَى لِلْسُّجُودِ عَلَيْهِ ، قَالَ : أَخْبَرْنَا قَتِيبَةَ ، قَالَ حَدَّثَنَا عَبَادٌ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْحَرِثِ ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ كَتَبْنَا نَصَلِّيَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الظَّهْرَ ،

١- صحيح البخاري ٢ : ٢٥٦ ، كتاب الاعتكاف ، باب الاعتكاف في العشر الأواخر .

فأخذ قبضة من حصى في كفي أبرّده ثم أحوّ له في كفي الآخر ، فإذا سجدت وضعتة لجبهي
(١).

ضفاً إلى كل ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « جعلت لي
الأرض مسجداً وطهوراً » (٢).

وقال أيضاً : « جعلت لنا الأرض كلها مسجداً وجعلت تربتها لنا طهوراً » (٣).
فكيف يتعصّب المسلمون ضد الشيعة لأنهم يسجدون على الأرض بدلاً من السجود
على الزرابي؟!
فوكيصل بهم الأمر إلى تكفيرهم والتشنيع عليهم وقذفهم زوراً وبهتاناً بأنهم عبّاد
الأصنام؟!
وكيف يضربونهم في السعودية لمجرد وجود التربة في جيوبهم أو في حقائبهم؟!

-
- ١ - سنن النسائي ٢ : ٤٠٤ باب تبريد الحصى للسجود عليه وصرّح الشيخ الألباني بصحته ، وأيضاً في صحيح
سنن أبي داود : ح ٤٢٧ ، وفي مشكاة المصابيح : ١١٠ وصرّح الشيخ الألباني بصحته ، مسند أحمد ٣ :
٢٧٧ وظهر أنّ محقق الكتاب حمزة أحمد الزين بصحته.
 - ٢ - صحيح البخاري ١ : ٨٦ ، كتاب التيمم ، باب التيمم.
 - ٣ - صحيح مسلم ٢ : ٦٤ ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، الحديث الرابع.

أهذا هو الإسلام الذي يأمرنا باحترام بعضنا ، وعدم إهانة المسلم الموحد الذي يشهد
به إلاّ لآلئله وأنّ محمداً رسول الله ، ويقبم الصلاة ، ويؤتي الزكاة ، ويصوم رمضان ،
ويحج البيت ، وهل يعقل عاقل بأنّ الشيوعي يتكبّر تلك الأتعاب ، ويخسر تلك الخسائر ،
ويأتي لحج بيت الله الحرام وزيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهو يعبد الحجارة
كما يحلو للبعض أن يصوره؟!!

أفلا يعتقد أهل السنّة والجماعة بقول الشهيد محمداً باقر الصدر الذي نقلته في كتابي
الأوّل «ثمّ اهتديت» عندما سألته عن التربة فقال نحن نسجد لله على الأرض ، فهناك
فرق بين السجود على التراب ، والسجود للتراب!
وإذا كان الشيوعي يمتاط ليكون سجوده طاهراً ومقبولاً عند الله فيمتثل أوامر رسول الله
والأئمة الأطهار من أهل البيت ، وخصوصاً في زماننا هذا الذي أصبحت فيه كلّ المساجد
مفروشة بالزرابي الوثيرة ، وفي البعض بما يسمى (Moquette) وهي مادة مجهولة الصنع
لدى عامة المسلمين ولم تصنع في بلاد إسلامية ، ولعلّ البعض منها فيها ما لا يجوز السجود
عليه ، أفيحق لنا أن ننبذ هذا الشيوعي الذي يهتم بصحة صلاته ، ونتهمه بالكفر والشرك
بمجرد شبهة زائفة؟!

والشيعة الذي يهتمُّ بأُمور دينه وخصوصاً بصلاته التي هي عمود الدين ، فتراه ينزع حزامه وينزع ساعته لأنَّ فيها حزاماً من الجلد الذي لا يعلم منشأه ، وفي بعض الأوقات ينزع سرواله الا في نجليصلي في سروال فضفاض ، كلُّ ذلك احتياطاً واهتماماً بتلك الوقفة مقلِّبٍ يدي الله لكى لا يقابل ربّه بشي يكرهه ، أيستحقُّ هذا منّا الاستهزاء والنفور ، أم يستحقُّ الاحترام والاكملانوته عِظَمَ ظَنِّهِمُ اللهُ بِهِ (رَبِّ اللهُ فَإِنَّهَا مِمَّنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ) (١)؟

ياعباد الله اتقوا الله وقولوا قولا سديداً .

كُمُ وَرَحْمَتُهُ لَأَفْضَلُ إِلَهُكُمْ وَالْآخِرَةُ لَكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢) (٣) .

١. الحج : ٣٢ .

٢. النور : ١٤-١٥ .

٣. هناك بعض الأراجيف ذكرها صاحب كتاب منهج أهل البيت في مفهوم المذاهب الإسلامية : ١٦٥ ، يذكر فيها أنَّ الشيعة تستخدم السجود على التربة لقضية طائفية وليست دينية ، وأنَّ السجود على التربة في متناول الزمن يؤدِّي إلى تقديسها .

وهذا الكلام غريب من صاحبه لأنَّ الشيعة تؤمن بأنَّ السجود على التربة

مما أمر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكان يعملهُ هو وأصحابه ، وقد نقل المؤلف روايات متعدّدة في هذا المعنى، مروية في صحاحهم ، فبعد هذا لا معنى للقول بأن الشيعة تستخدم السجود على التربة لغرض طائفي ، اللهم إلا أن يكون فعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه فعل طائفي لا يمتّ إلى الإسلام بصلة ، ولا يجرأ مسلم أن يتفوّه بهذا الكلام على صاحب الرسالة المقدّسة.

وأما مسألة أن السجود على التربة يؤدّي في متناول الزمن إلى تقدّسها ، فهذا أمر لم يحصل ولن يحصل ، إذ إن الشيعة على مدى أربعة عشر قرناً تسجد على التربة واعتقادهم فيها واحد؛ فأهل القرن الرابع عشر يعتقدون نفس اعتقاد أهل القرن الأول والثاني من أن التربة يسجد عليها ولا يسجد إليها ، وأنّها لا تقدّس بحيث يؤدّي تقدّسها إلى الإخلال بالتوحيد ، والشيعة من مبدأهم إلى اليوم يرون التربة شيئاً أمروا بالسجود عليه لفضالة لا السجود إليه ، هذا اعتقادهم قديماً وحديثاً ولم ولن يتغيّر إلى أن تقوم الساعة.

والعجب منه أنّه ذكر في النقطة (٤٤) كتابه أن التربة بدأت منذ عهد الصفويين ، وهذا غريب جداً ،

إذ إن الروايات التي نقلها المؤلف من سجود النبي صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة على التربة مروية في البخاري ومسلم والترمذي ، وهؤلاء قبل الدولة الصفوية بقرون متطاولة ، فكيف تجرأ وتكلّم بهذا الكلام؟! والحقيقة أن التعصّب الأعمى يؤدّي بصاحبه في بعض الأحيان إلى التهجّم على خصمه بأشياء كاذبة ، أو مصطنعة يصطنعها من عنديات نفسه ولجراهُوى والتعصّب الطائفي ، والواقع أنّه أحقّ بالطائفيّة من الشيعة الذين رامهم بهذا التهمة الشيعة ، والله في خلقه شؤون.

الرجعة (العودة إلى الحياة)

هذه المسألة مما اختصت الشيعة بالقول بها ، وأنا بحثت في كتب السنّة فلم أجد لها أثر يذكر .

وهم يعتلمون في ذلك على أخبار وروايات رووها عن الأئمة الأطهار . سلام الله عليهم . في أنّ الله سبحانه وتعالى سيُحيي بعض المؤمنين وبعض المجرمين المفسدين لينتقم المؤمنون من أعدائهم أعداء الله في الدنيا قبل الآخرة .

ولو صحّت هذه الروايات ، وهي صحيحة ومتواترة عند الشيعة ، فلا تلزم أهل السنّة والجماعة إذا لم يثقوا بصحتها ، ومن ثمّ فإنهم غير ملزمين بوجوب الاعتقاد بها؛ لأنّ أئمة أهل البيت حدّثوا بها عن جدّهم صلى الله عليه وآله وسلم! كلا لأننا ألزمتنا أنفسنا بالإنصاف في البحث وعدم التعصّب ، فلا نكلّفهم إلاّ ما ألزموا به أنفسهم وأخرجوه في صحاحهم ، ولأنّ روايات الرجعة لم ترد عندهم ، فهم أحراراً في عدم الأخذ بها ورفضها ، هذا في صورة ما إذا أراد أحد الشيعة أن يفرض عليهم تلك الروايات .

أمّا وأنّ الشيعة لم يفرضوا على أحد أن يقول بالرجعة؛ ولا أنّهم يقولون بكفر من يكذبها ، فلا دكّليّ لهذا التشنيع والتهويل على الشيعة ، سيما وأنّهم يفسّرون بعض الآيات بنحو يوافق ذلك ، وذلك وكلمة في تحوّلهم تعالى: **مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجٌ مِّمَّنْ يُكَذِّبُ بَيِّنَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ** (١).

فقد جاء في تفسير القمّي عن ابن أبي عمير ، عن حماد ، عن أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام قال : « ما يقول للنّاس في هذه الآيّة (مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجٌ مِّمَّنْ يُكَذِّبُ بَيِّنَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ) : قال : «ليس كما يقولون ، إنّها في الرجعة ، أيحشر الله في القيامة من كلّ أمة فوجاً ويدع الباقيين؟ إنّما آيو العياشة: (نَاهُمْ فَلَمَّ نُبْغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا) » (٢).

كما جاء في كتاب عقائد الإمامية للشيخ محمد رضا المظفر قوله : « إنّ الذي تذهب إليه الإمامية أخذاً بما جاء عن آل البيت عليهم السلام؛ الله تعالى يعيد قوماً من الأموات إلى الدنيا في صورهم التي كانوا عليها فريقتاً وفريقتاً آخر هو يديل المحقّين من المبطلين والمظلومين منهم من الظالمين وذلك عند قيام مهدي آل محمد عليه

١. النمل : ٨٣.

٢. الكهف : ٤٧ ، والنص في تفسير القمي ٢ : ١٠٦.

وعليهم أفضل الصلاة والسلام.

ولا يرجع إلاّ من علت درجته في الإيمان أو من بلغ الغاية من الفساد ثمّ يصيرون من بعد ذلك إلى الموت، ومن بعده إلى النشور وما يستحقّونه من الثواب أو العقاب، كما حكى الله تعالى في قرآنه الكريم تمخّياً هؤلاء المرتجعين الذين لم يصلحوا بالارتجاع فنالوا مقت الله، أن **يَلْوِدُوا أَنَّمَا أَلَمَّتْهُمْ إِثْمَانُهُمْ إِذْ صَالِحِينَ: (قَدْ أَحْرَبَ بِرَبِّهِمْ نَارًا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَهَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِن سَبِيلٍ) (١) « (٢).**

أقول: إذا كان أهل السنّة والجماعة لا يؤمنون بالرجعفلهم كامل الحقّ، ولكن ليس من حقّهم أن يشنّعوا على من يقول بها لثبوت النصوص عنده، فليس لمن لا يعلم حجّة على من يعلم، ولا حجّة للجاهل على العالم، وليس عدم الإيمان بالشيء دليل على بطلانه، فكم من حجّة دامغة عند المسلمين لا يؤمن بها أهل الكتاب من يهود ونصارى. وكم من اعتقادات وروايات عند أهل السنّة والجماعة بخصوص الأولياء والصالحين وأصحاب الطرق الصوفية تبدوا مستحيلة

١. المؤمن : ١١ .

٢. كتاب عقائد الإمامية للمظفر : ٩٤ (العقيدة الثانية والثلاثون).

ومنكرة ، ولكن لا تستدعي التشنيع والتحويل على عقيدة أهل السنة والجماعة.
وإذا كانت الرجعة لها سند في القرآن والسنة النبوية ، وهي ليست مستحيلة على الله
الذي ضرب لنا أمثلة منها في القرآن الكريم كقوله تعالى :

أَوْ كَمَا الَّذِي مَرَّ عَلَيَّ قَدْرِي نَا (وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَيَّ عُرُوشِهِ لِي قَلْبًا ذَائِقًا يَلْهَى بِهِ عَدَمَ مَوْجِهِ مَا
فَأَمَّا آتَاهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ) (١).

أو كقوله سبحانه وتعالى :

وَأَلَمْ تَقْرَأْ لِلَّيْلِ (هَلْ لَمْ يَرَوْا هَٰؤُلَاءِ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ
أَحْيَاهُمْ) (٢).

وقالت أم الله قوماً من بني إسرائيل ثم أحياهم ، قال تعالى :

وَعَزَّاهُمْ قُلُوبَهُمْ (لَمَّا كَانَتْ أُمَّةٌ لَّيْسَ لَكَ بِهَا حُكْمٌ عَلَىٰ لَيْسَ لِلَّهِ جَهْرَةٌ فَأَخَذَتْكُمْ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ
ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ فَأَنْظَرُوا وَعَدِمُوا وَتَكْرُمًا لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (٣).

وقال في أصحاب الكهف الذين لبثوا في كهفهم موتى أكثر من

١. البقرة : ٢٥٩ .

٢. البقرة : ٢٤٣ .

٣. البقرة : ٥٦ . ٥٥ .

ثُمَّ بَعَثْنَاَهُمْ ثَلَاثَةَ عُلَمَاءَ : (أَيُّ الْحَزْبِ بَيْنَ أَحْصَى لِهَيْمَةَ مَا لَبِثُوا أُمَّدًا) (١).

فهذا كتاب الله ﷻ يحكي أن الرجعة وقعت في الأمم السابقة ، فلا يستحيل وقوعها في أمة محمد ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم وخصوصاً إذا روى ذلك أئمة أهل البيت سلام الله عليهم ، فهم الصادقون العالمون.

أما قول بعض المتطفلين بأن القول بالرجعة هو القول بالتناسخ الذي يقول به بعض الملحدين؛ فهو قول ظاهر الفساد والبطلان ، ويقصدون من ورائه التشنيع والتهويل على الشيعة؛ إذ إن القائلين بالتناسخ لا يقولون بأن الإنسان يرجع إلى الدنيا بجسمه وروحه وصورته وكنهه ، إنما يقولون بأن الروح تنتقل من إنسان مات إلى جسد إنسان آخر يولد من جديد أو حتى إلى حيوان.

وكذلك نعلم بعيد كل البعد عن عقيدة المسلمين القائلين بأن الله ﷻ يبعث من في القبور بأجسامهم وأرواحهم.

فليست الرجعة من التناسخ في شيء ، وهو قول الجهلة الذين لا يفقهون أو المغرضين غير الورعين.

١. الكهف : ١٢ .

الغلوّ في حبّ الأئمة

لا نقصد بالغلوّ هنا هو الخروج عن الحقّ واتّباع الهوى حتّى يصبح المحبوب هو الإله المعبود ، فهذا كفكر لإشيقول به أيّ مسلم يعتقد برسالة الإسلام ونبوّة محمد صلي الله عليه وآله وسلم.

وقد وضع الرسول صلي الله عليه وآله وسلم حدوداً لهذا الحبّ عندما قال للإمام علي عليه السلام :

« هلك فيك اثنان محبّ غال ومبغض » قال ^(١).

وقوله صلي الله عليه وآله وسلم : «يا علي إنّ فيك مثلاً من عيسى بن مريم أبغضته اليهود حتّى بهتوا أمّة ، وأحبّه النصارى حتّى أنزلوه بالمنزلة التي ليس بها » ^(٢).

١ . عوالي اللئالي لابن أبي جمهور ٤ : ٨٦ ح ١٠٥ .

٢ . مسند أحمد ١ : وحتماً نه المحقّق أحمد محمد شاكر ، السنن الكبرى للنسائي ٥ : ١٣٧ ح ٨٤٨٨ ، مسند أبي يعلي ١ : ٤٠٦ ح ٥٣٤ ، أنساب الأشراف للبلاذري : ١٢١ ، تاريخ دمشق ٤٢ : ٢٩٣ ، المستدرک للحاكم : باب مناقب أمير المؤمنين عليه السلام صحّحه ، الدر المنثور ٢ : ٢٣٨ عن البخاري في تاريخه والحاكم ، البداية والنهاية ٧ : ٣٩٢ .

وهو المعنى المرفوض للغلو^١ أن يطغى الحب حتى يؤلّه المحبوب ، وينزله منزلة ليس فيها ،
أو أن يطغى البغض حتى يصل إلى درجة البهت والاتهام الباطل.
والشيعية في حبّ عليّ والأئمة من ولده لم يغالوا بل أنزلوهم المنزلة المعقولة التي بوّأهم
فيها رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم، وهي أنّهم أوصياء النبي وخلفاؤه ، ولم يقل أحد
بنفضائهم عن ألوهيّتهم ، ودع عنك قول المشاغبين الذين يدعون بأنّ الشيعة أهوا عليه^٢اً
وقالوا بربوبيته ، فهؤلاء إن صح الخبر لم يكونوا فرقة ولا مذهباً ولا شيعة ولا خوارج.
فما هو ذنب الشيعة إذا كان ربّ العزّة والجلال يقول (أَلَكُمُ عَمَلِيَهُ أَجْرًا إِلَّا
الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) (١) ، والمودّة كما هو معلوم أكبر من الحب ، وإذا كان الرسول
صلى الله عليه وآله وسلم يقول لا يؤمن أحدكم حتى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه «
(٢).

فإنّ المودة تفرض عليك أن تحرم نفسك من شيء لتود به غيرك.
وما هو ذنب الشيعة إذا كان رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « يا علي
أنت سيّد في الدنيا وسيّد في الآخرة ، من أحبّك فقد أحبّني ومن أبغضك

١ . الشورى : ٢٣ .

٢ . صحيح ابن حبان ١ : ٤٧٠ ، الجامع الصغير للسيوطي ٢ : ٧٥٣ ح ٩٩٤٠ ، مسند أحمد ٣ : ١٧٦ ،
سنن الترمذي ٤ : ٧٦ ح ٢٦٣٤ ، سنن النسائي ٨ : ١١٥ .

فقد أبغضني ، وحببك حبيب الله ، وبغضك بغض الله ، والويل لمن أبغضك »^(١) .
ويقول أيضاً بحب علي عليه السلام وإيمانه وبغضه نفاق »^(٢) .

ويقولون: مات علي حب آل محمد مات شهيداً ، ألا ومن مات علي حب آل محمد مات مغفوراً له ، ألا ومن مات علي حب آل محمد مات تائباً ، ألا ومن مات علي حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الإيمان ومن مات علي حب آل محمد بشهـره ملك الموت بالجنة ... »^(٣) .

١ . المستدرک للحاکم ٣ : ٢٨ اوضحه ، نظم درر السمطين : ١٠١ ، تاريخ دمشق ٤٢ : ٢٩٢ ، المناقب للخوازمي : ٣٢٧ ح ٣٣٧ .

٢ . بهذا اللفظ في بشارة المصطفى : ٢٧١ ، وفي صحيح مسلم ١ : ٦١ ، كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي من الإيمان عن علي بلفظ والفلدي فلق الحببة وبرأ النسمة إنّه لعهد النبي الأمي إلي أن لا يجبي إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق .»

وأخرجه الألباني في صحيحته ٤ : ٢٩٨ تحت رقم ١٧٢٠ «لانه لا يجبيك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق» ، وقال : « أخرجه مسلم ١ : ٦١ ، والنسائي ٢ : ٢٧١ ، والترمذي ٢ : ٣٠١ ، وابن ماجه : ١١٤ ، وأحمد ١ : ٨٤ و ٩٥ و ١٢٨ ، والخطيب في التاريخ ١٤ : ٤٢٦ ... » .

٣ . تفسير القرطبي ١٦ : ٢٣ ، تفسير الفخر الرازي ٩ : ٥٩٥ سورة الشورى ، تفسير آية ٢٣ عن الكشاف للزمخشري .

وما هو ذنب الشيعة إذا كُلبون رجلاً قال فيه رسول الله ﷺ
صلى الله عليه وآله وسلم عطين رايتي إلى رجل يحب الله ﷻ ورسوله ويحبّه ﷻ الله ﷻ
ورسوله ﷻ» (١).

فحبیب عليّ ﷻ هو حبیب الله ﷻ ورسوله وهو مؤمن ، وبغیض عليّ هو بغیض الله ﷻ ورسوله
وهو منافق.

وقد قال الإمام الشافعي في حبّهم :
يَهْلُ بَيْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷻ حَبِّكُمْ فَرَضَ مِنَ اللَّهِ ﷻ فِي الْقُرْآنِ أَنْزَلَهُ
كَفَاكُمْ مِنْ عَظِيمِ الْفَضْلِ أَنْكُمْ مَنْ لَمْ يَصِلْ ﷻ عَلَيْكُمْ لَا صَلَاةَ لَهُ (٢)
وقد قال فيهم وفي حبّهم الفرزدق في ميمته المشهورة :

-
- ١ . حديث الراية حديث صحيح متفق عليه ، رواه البخاري في صحيحه ٥ : ٧٦ ، كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب علي بن أبي طالب ، وصحيح مسلم ٥ : ١٩٥ ، في نفس الموضوع ، كتاب السنة لابن أبي عاصم : ٥٩٤ ح ١٣٧٩ ، صحيح ابن حبان ١٥ : ٣٧٧ ، المعجم الكبير للطبراني ٧ : ١٣ ، تاريخ دمشق ٤٢ : ١٦ ، المناقب للخوارزمي : ١٠٨ .
 - ٢ . أوردها ابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة ٢ : ٤٣٥ الآية الثانية من الآيات الواردة فيهم نقلاً عن الشافعي .

من معشر حبّهم دين وبغضهم كفر وقرّبهم منجى ومعتصم
لجُدّ أهل التقى كانوا أئمتهم أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم^(١)
فالشويعلة أحب رسول الله ، وحبّهم الله ، ورسوله هو الذي فرض حبّ أهل البيت
فاطمة وعلي والحسن والحسين عليهم السلام ، والأحاديث في هذه المعنى كثيرة لا تحصى ،
وقد أخرجها علماء أهل السنّة والجماعة في صحاحهم ، وقد ذكرنا البعض منها دوماً
للاختصار .

وإذا كان حبّ عليّ وأهل بيته بصفة عامة هو حبّ لرسول الله
صلّى الله عليه وآله وسلم ، فعليّنا أن نعرف مدى هذا الحب المطلوب من المسلمين حتى
نعرف إن كان هناك غلو كما يزعمون .

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم : لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه
من ولده ووالده والناس أجمعين^(٢) .

١ . انظر : تاريخ دمشق ٤١ : ٤٠٢ ، تهذيب الكمال للمزي ٢٠ : ٤٠١ ، البداية والنهاية ٩ : ١٢٧ .
٢ . صحيح البخاري ١ : ٩ ، كتاب الإيمان ، باب حب الرسول من الإيمان ، صحيح مسلم ١ : ٤٩ ، كتاب
الإيمان ، باب وجوب محبة رسوله صلّى الله عليه وآله وسلم أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين .

سى هظلا الأساس فلا بدّ أن يحبّ المسلم عليّاً وأولاده الأئمة الطاهرين أكثر من الناس أجمعين بما في ذلك الأهل والأولاد ، ولا يتمّ الإيمان إلاّ بذلك لأنّ رسول الله قال : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه ... » الحديث.

فالشيعة أذاً لا يغالون وإتما يعطون كلّ ذي حقّ حقّه ، وقد أمرهم رسول الله أن ينزلوا عليّاً بمنزلة الرأس من الجسد ، وبمنزلة العينين من الرأس ، فهل هناك من الناس من يتنازل عن عينيه أو عن رأسه؟

ولكن في المقابل هناك مقاليد أهل السنّة والجماعة في حبّ الصحابة وتقديسهم في غير محلّه ، وإتما يبدو أنّهم ردّ فعل على الشيعة الذين لم يقولوا بعدالة الصحابة أجمعين ، فكان الأمويون يرفعون من شأن الصحابة ويحطّون من قيمة وشأن أهل البيت النبوي حتى إذا صلّوا على محمد وآله أضافوا إليهم : وعلى أصحابه أجمعين؛ لأنّ في الصلاة على أهل البيت فضل لم يسبقه سابق ولا يلحقه لاحق ، فأرادوا أن يرفعوا الصحابة إلى تلك الدرجة العلية ، وغفلوا عن أنّ الله سبحانه أمر المسلمين وعلى رأسهم الصحابة أجمعين أن يصلّوا على محمد وآله وعلي وفاطمة والحسين ، وهنئلم يرّ عليهم فصلاته مردودة لا يقبلها الله إذا اقتصر على محمد وآله

وحده ، كما هو ثابت في صحيح البخاري ومسلم^(١) .
ولذا بَقَلَّه غَلَوٌ في الصحابة ذلك لأنَّ أهل السنَّة يتعدَّون حدود المنطق عندما يقولون بعد التهم أجمعين ، وقد شهد الله َّ ورسوله بأنَّ فيهم الفاسقين والمارقين والقاسطين والمنافقين .
والغلوُّ ظاهر عندما يقولون بأنَّ رسول الله َّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ويصوِّب به صحابي ، أو أنَّ الشيطان يلعب ويمرح بحضرة النبي ولكنه يهرب من عمر!!
والغلوُّ واضح في قوْلم أصاب الله َّ المسلمين بمصيبة بما فيهم رسول الله َّ ، لم يكون ينج منها إلاَّ ابن الخطاب!
والغلوُّ أوضح في إغائهم لسنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، واتباع سنة الصحابة وبالخصوص الخلفاء الراشدين! وقد أوقفناك على البعض من ذلك ، وإذا أردت المزيد فعليك بالبحث والتأمُّر لِّل للوقوف على مزيد من هذه المفارقات.

١ . صحيح مسلم ٢ : ١٦ ، كتاب الصلاة ، باب الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، صحيح البخاري ٦ : ٢٧ ، كتاب التفسير ، سورة الأحزاب آية ٥٦ .

المهدي المنتظر

وهو عُنيًا من المواضيع التي يشنع بها أهل السنّة والجماعة على الشيعة ، وذهب البعض منهم إلى حد السخرية والاستهزاء ، إذ أنّهم يستبعدون أو قل يعتقدون استحالة أن يبقى بشر هُيَلثني عشر قرناً حياً ومخفياً عن أنظار الناس ، حتى قال بعض الكتّاب المعاصرين : «بأنّ الشيعة اختلقوا فكرة الإمام الغائب الذي سينقذهم ، وذلك لكثرة ما لاقوه من ظلم الحكام وجورهم على مر الأزمان ، فسلبوا أنفسهم بأمنية المهدي المنتظر الذي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً ، وينتقم لهم من أعدائهم».

وقد كثر الحديث في السنوات الأخيرة ، وبعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران عن المهدي المنتظر ، فأصبح المسلمون وبالخصوص الشباب المثقف في كلِّ مكان يتساءلون عن حقيقة المهدي ، وهل هي حقيقة ولها وجود في العقائد الإسلامية أم هو من مخترقات الشيعة؟

ورغم ما كتبه علماء الشيعة قديماً وحديثاً^(١) بخصوص المهدي من موسوعات وأبحاث ، ورغم اتصال كثير من السنّيين بإخوانهم من الشيعة في مؤتمرات عديدة ، ومحادثات في شتى المواضيع العقائديّة في هذا الموضوع من الألباز عند الكثير منهم ، لأنهم ما تعرّوا دوا سماع أمثال هذه الروايات .

فما هي حقيقة المهدي المنتظر في العقائد الإسلاميّة؟

والبحث في هذا الموضوع ينقسم إلى قسمين :

القسم الأول : يتعلّق بالبحث عن المهدي من خلال الكتاب والسنة .

والقسم الثاني : يتعلّق بالبحث عن حياته وغيبته وظهوره .

أمّا في البحث الأول : فالقول بالسنة متفقون على أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم به ، وأعلم أصحابه بأزّه سيظهره الله سبحانه وتعالى في آخر الزمان ، وقد أخرج أحاديث المهدي عليه السلام من الشيعة والسنة وفي صحاحهم ومسانيدهم .

وأنا بدوري وكالعادة حسبما تعهدت به في كلّ أبحاث الكتاب لا أستدلّ إلاّ بما هو ثابت وصحيح عن أهل السنة والجماعة .

١ كالشهيد محمد باقر الصدر في كتابه « بحث حول المهدي » (المؤلّف) .

فقد جاء في سنن أبي داود ^(١) قال رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم : « لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلاً من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي ، واسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً » .

وجاء في سنن ابن ماجة ^(٢) :

قال رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم : إنَّ أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا ، وإنَّ أهل بيتي سيلقون بعدي بلاءً شديداً ، وتطريداً ، حتى يأتي قوم من قبل المشرق معهم رايات سود فيسألون الخير فلا يعطونه فيقاتلون فينتصرون ، فيعطون ماسألوا : فلا يقبلوه ، حتى يدفعونها إلى رجل من أهل بيتي فيملؤها قسطاً كما ملئت جوراً » .

وقال ابن ماجة في سننه قال رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم : «المهدي منّا

أهل البيت ، المهدي من ولد فاطمة » ^(٣) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : «يكون في أمّ تي المهدي ، إن قصر فسبع ، وإلاّ

فتسع ، تنعم فيها أمّ تي نعمة لن تنعم مثلها قط ؛ تأتي أكلها ولا تدّخر منه

١ . سنن أبي داود ٤ : ٨٧ ح ٤٢٨٢ كتاب المهدي ، المعجم الأوسط ٢ : ٥٥ ، والكبير ١٠ : ١٣٥ ، الجامع

الصغير ٢ : ٤٣٨ ح ٧٤٩٠ ، الدر المنثور ٦ : ٥٨٠ .

٢ . سنن ابن ماجة ٢ : ٥٢٩ ح ٤٠٨٢ ، ونحوه في المستدرک للحاكم ٤ : ٤٦٤ ، والمعجم الأوسط ٦ : ٢٩٠ .

٣ . المصدر نفسه ٢ : ٥٣١ ح ٤٠٨٥ و ٤٠٨٦ .

شيئاً ، والمال يومئذ كدوس ، فيقوم الرجل فيقول : يامهدي أعطيني ، فيقول : خذ ^(١) .
وجاء في صحيح الترمذي قال رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم : « يلي رجل
من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي ، ولم لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى
يلي » ^(٢) .

وقال رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم : « لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب
رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي » ^(٣) .

وأخرج الإمام البخاري في صحيحه ^(٤) : قال خدثنا بن بكير ، حدّ ثنا الليث ، عن
يونس ، عن ابن شهاب ، عن نافع مولى أبي قتادة الأنصاري ، أن أبا هريرة (رضي الله عنه) قال :
قال رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم : « كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم
منكم » .

وقال صاحب غاية المأمول : «شتهر بين العلماء سلفاً وخلفاً أئمه

١ . المصدر نفسه ٢ : ٥٣٠ ح ٤٠٨٣ ، المستدرک للحاکم ٤ : ٥٥٨ ، مجمع الزوائد ٧ : ٣١٧ وقال : «
رجاله ثقات » .

٢ . سنن للترمذي ٣ : ٣٤٣ ح ٢٣٣٢ ، وعنه في كنز العمال ١٤ : ٢٦٤ ح ٣٨٦٦١ .

٣ . المصدر نفسه ٣ : ٣٤٣ ح ٢٣١٣ ، مسند أحمد ١ : ٣٧٧ .

٤ . صحيح البخاري ٤ : ١٤٣ ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب نزول عيسى بن مريم .

لابدّ من ظهور رجل من أهل البيت في آخر الزمان يسمّى المهدي ، وقد روى أحاديث المهدي جماعة من خيار الصحابة وخير أئمة المحدثين : كأبي داود ، والترمذي ، وابن ماجه ، والطبراني ، وأبي يعلى ، والبزاز ، والإمام أحمد بن حنبل والحاكم رضي الله عنهم أجمعين ولقد أخطأ من ضعّف أحاديث المهدي كلّها .

قال الحافظ في فتح الباري تواترت الأخبار بأنّ المهدي من هذه الأمّة ، وأنّ عيسى بن مريم سينزل ويُصلّي خلفه «^(١) .

وقال ابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة : « والأحاديث التي جاء فيها ذكر ظهور المهدي كثيرة متواترة »^(٢) .

وقال الشوكاني في رسالته المسمّاة « التوضيح في تواتر ما جاء في المنتظر والدجال والمسيح » ، وبعد سرده أحاديث المهدي : « وجميع ما سقناه بالغ حدّ التواتر ، كما لا يخفى على من له فضل اطلاع »^(٣) .

وقال الشيخ عبدالحق في اللمعات : « قد تظافرت الأحاديث

١ . فتح الباري ٦ : ٣٥٨ .

٢ . الصواعق المحرقة ٢ : ٤٨٠ .

٣ . عنه النواب صديق حسن خان القنوجي في كتابه الإذاعة لما كان ويكون بين يدي الساعة : ١١٤ و ١٦٠ ، والكتاني في نظم المتناثرة في الحديث المتواتر : ١٤٦ .

البالغة حدّ التواتر في كون المهدي من أهل البيت من أولاد فاطمة «^(١).
وقال الصبان في كتابه إسعاف الراغبين : « وقد تواترت الأخبار عن النبي
صلى الله عليه وآله وسلم بخروجه ، وأزّه من أهل البيت ، وأنه يملأ الأرض عدلاً »^(٢).
وقال السويدي في كتابه المسمّى « سبائك الذهب » : « الذي اتفق عليه العلماء أنّ
المهدي هو القائم في آخر الوقت وأزّه يملأ الأرض عدلاً ، والأحاديث في ظهوره كثيرة »^(٣).
وقال ابن خلدون في مقدمته :
« اعلم أنّ المشهور بين الكافة أهل الإسلام على ممرّ الأعصار أنّّه لا بدّ في آخر
الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيّد الدين ، ويظهر العدل ويسمّى بالمهدي »^(٤).
كما أخرج أحاديث المهدي من المعاصرين مفتي الإخوان المسلمين السيد سابق في
كتابه « العقائد الإسلامية » ، واعتبر أنّ فكرة المهدي من العقائد الإسلامية التي يجب
التصديق بها.

١ . أشعة اللمعات ٤ : ٣٢١ .

٢ . إسعاف الراغبين : ١٥٢ ، بهامش نور الأبصار .

٣ . سبائك الذهب : ٣٤٦ .

٤ . مقدمة ابن خلدون : ٢٨٧ ، الفصل الثاني والخمسون .

وكتب الشيعة أيضاً أخرجت أحاديث المهدي على كثرتها ، حتى يُقِيله لم يُروَ عن رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم أكثر مما روي عنه في أحاديث المهدي .
وقد استخرج الباحث لطف الله الصافي في موسوعته « منتخب الأثر » أحاديث المهدي عليه السلام أكثر من ستين مصدراً من كتب أهل السنة والجماعة من ضمنها الصحاح الستة ، وأكثر من تسعين مصدراً من كتب الشيعة من ضمنها الكتب الأربعة^(١) .

.وتمن صرح بتواتر أخبار الإمام المهدي عليه السلام . كما ذكره الدكتور عبد العليم البستوي في كتابه : « المهدي المنتظر » الحافظ أبو الحسن محمد بن الحسين الآبري السجزي ، قال في كتابه مناقب الشافعي : « وقد تواترت الأخبار واستفاضت عن رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم ذكر المهدي ، وأنه من أهل بيته ، وأنه يملك سبع سنين ، وأنه يملأ الأرض عدلاً ، وأن عيسى عليه السلام يخرج فيساعده على قتل الدجال ، وأنه يوم هذه الأمة ويصلي عيسى خلفه ... » .

وقد نقل كلامه هذا عدد من الحفاظ والأئمة ، منهم : القرطبي في كتابه « التذكرة بأحوال الموتى وأحوال الآخرة » ٢ : ٧٢٣ ، والمزي في « تهذيب الكمال » ٦ : ٥٩٦ وابن قيس الجوزية في « المنار المنيف » : ١٤٢ ، والسخاوي في « فتح المغيب » ٣ : ٤١ ، وابن حجر في « فتح الباري » ٦ : ٤٩٤ و « تهذيب التهذيب » ٩ : ١٤٤ ، والسيوطي في « العرف الوردی في أخبار المهدي » . وانظر « الحاوي في الفتاوي » ٢ : ١٦٥ . ، وابن حجر الهيثمي في « القول المختصر » : ١١٨ وفي « الصواعق » أيضاً ، والملا علي القاري في « رسالة

أما بخصوص البحث الثاني ، والذي يتعلّق بولادة المهدي وحياته وغيبته وعدم وفاته عليه السلام فهذا القسم أيضاً لم ينكره بعض علماء أهل السنّة الذين لا يستهان بهم ، والذين يعتقدون بأنّ المهدي هو محمّد ابن الحسن العسكري الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت ، وأنه لا يزال حيّاً ، وسيظهر في آخر الزمان ، فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً وينصر الله به دينه ، وهم بذلك يوافقون أقوال الشيعة الإمامية ، ومن هؤلاء :

المهدي من آل الرسول » : ٢٥ ، ومرعي بن يوسف الخنبلي في « فوائد الفكر في ظهور المهدي المنتظر » ، ومحمّد البرزنجي في « الاشاعة في أشراف الساعة » : ٨٧ ، والزركاني في « شرح المواهب » .
ومن العلماء الذي نصّوا على تواتر أحاديث المهدي : الشيخ مجّد السفاريني في « لوائح الأنوار البهية » : ٢ : ٨٠ ، والنواب صديق حسن خان القنوجي في « الإذاعة لما كان ويكون بين يدي الساعة » : ١٤٥ ، والشيخ محمّد بن جعفر الكتاني في « نظم المتناثر من الحديث المتواتر » : ٢٢٩ .
ثمّ ذكر الدكتور عبد العليم البستوي أسماء الأئمة والعلماء الذين احتجوا بأحاديث المهدي والّذين صحّحوا الأحاديث الواردة فيه ، منهم : الحافظ العقيلي ، وأبو الحسين ابن المنادي ، وأبو حاتم ابن حبان البستي ، وأبو سليمان الخطابي ، والبيهقي ، وأبو القاسم السهيلي ، والقرطبي ، وابن تيمية ، وابن كثير ، وأبو الحسن السموهدي ، والمتقي الهندي ، وعبد الرؤوف المناوي ، وعبد الرحمن المباركفوري ، وعبد العزيز بن باز ، ومجّد ناصر الدين الألباني .

- ١ . محيي الدين بن العربي في «فتوحاته المكيّة» .
- ٢ . سبط ابن الجوزي في كتابه « تذكّرة الخواص » .
- ٣ . عبدالوهاب الشعراي في كتابه « عقائد الأكابر » .
- ٤ . ابن الخشّاب في كتابه « تواريخ مواليد الأئمة ووفياتهم » .
- ٥ . محمّد البخاري الحنفي في كتابه « فصل الخطاب » .
- ٦ . أحمد بن إبراهيم البلاذري في كتابه « الحديث المتسلسل » .
- ٧ . ابن الصباغ المالكي في كتابه « الفصول المهمة » .
- ٨ . العارف عبدالرحمن في كتابه « مرآة الأسرار » .
- ٩ . كمال الدين بن طلحة في كتابه « مطالب السؤل في مناقب آل الرسول » .
- ١٠ . القندوزي الحنفي في كتابه « ينايع المودة » ^(١) .

-
- ١ . وهناك العشرات معلما أهل السنّة القائلين بولادة الإمام المهدي ، محمّد بن الحسن العسكري ، وهم علماء مشهورون في الأوساط السنيّة ومن أعمدة المذهب ، ونذكر منهم :
 - ١ . أحمد بن حجر الهيتمي ضرّح في كتابه « الصواعق المحرقة : ٣١٣ » بولادة الإمام المهدي .
 - ٢ . الشيخ ملاّ علي القاري ضرّح بذلك في كتابه « مرقاة المفاتيح ١٠ : ٣٣٦ » .
 - ٣ . صلاح الدين خليل بن ابيك الصفدي ضرّح بالولادة في كتابه « الوافي

بالموفيات ١٢ : ١١٣ .»

٤ . شمس الدين محمد بن طولون الدمشقي الحنفي ضرَّح بالولادة في كتابه « الأئمة الاثني عشر : ١١٧ » .

٥ . الإمام شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد الحنبلي : قال بالولادة في كتابه « شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٢ : ٢٩٠ » .

٦ . ابن الأثير الجزري ، في كتابه الكامل في التاريخ ٧ : ٢٧٤ » .

٧ . شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي ، في كتابه « معجم البلدان ٥ : ٣٢٨ » .

٨ . أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم المعروف بابن خلكان ، في كتابه « وفيات الأعيان ٤ : ٣١ » .

٩ . العلامة الشهرير شمس الدين الذهبي ، ضرَّح بالولادة في كتابه « تاريخ الإسلام » ، وكتاب « العبر في خير من غير ١ : ٣٨١ » .

١٠ . حسين بن محمد بن الديار بكري ضرَّح بذلك في كتابه « تاريخ الخميس » ٢ : ٣٤٣ .

وقد ذكر الميرزا حسين النووي (رحمه الله) في كتابه « كشف الاستار ، » أسماء أربعين عالماً سنيّاً

يعترفون بأن الإمام محمد بن الحسن العسكري هو الإمام المهدي المنتظر .

وهؤلاء الذين ذكرهم المؤلف من العلماء المشهورين والمعروفين في العالم السني ، وقد ذكروا لهم تراجم وأثنوا

عليهم ، وأطروهم بالعلم والفضل والتقديم ، ونشير إلى ترجمة بعضهم ، وعليك بمراجعة الباقي :

١ . محي الدين بن عربي : قال في طبقات الشافعية ١ : ٢٦٠ : « الشيخ العارف

الكامل المدقّق ، أحد أكابر العارفين باللّجج المحقّقون من أهل الله عزّ وجلّ على جلالته في سائر العلوم ..

وقد ترجمه صفي الدين بن أبي منصور .. فقال هو الشيخ الإمام المحقّق رأس أجّلاء العارفين .. «.

٢ . سبط بن الجوزي : قال عنه الذهبي في تاريخ الإسلام في (حوادث ٦٥١ . ٦٦٠) : « للإمام الواعظ المؤرّخ شمس الدين أبو المظفر الزكي ثمّ البغدادي كان إماماً فقيهاً واعظاً وحيداً في الوعظ ، علامة في التاريخ والسيره ، وافر الحرمة محبباً إلى الناس ».

٣ كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي : قال عنه تاج الدين السبكي في طبقات الشافعية ٨ : ٦٣ : « نفقّه ويرع في المذهب ، وسمع الحديث بنيسابور من المؤيد الطوسي .. وكان من صدور الناس ، ولي الوزارة بدمشق يومين وتركها ».

٤ . ابن الصباغ المالكي : ترجمه الزركلي في الأعلام ٥ : ٨ فقال : « فقيه مالكي من أهل مكة ... قال السخاوي : أجاز لي ».

وراجع ترجمته في الضوء اللامع ٥ : ٢٨٣ .

ويامكان القارئ مراجعة ترجمة بقية الأسماء التي ذكرها المؤلّف ، في : كتاب شذرات الذهب ، والعبر في

أخبار من غير ، والبداية والنهاية ، وطبقات الشافعية ، وغيرها من الكتب المترجمة للعلماء ، ليرى بعينه تصرّيحهم بأنّهم علماء مبرزين في مذهبهم وعلمهم.

وبهذا يكون ما ذكره صاحب كتاب (منهج أهل البيت في مفهوم المذاهب الإسلامية : ١٥٢) ، بعيداً

عن الصواب والموازن العلمية الصحيحة ، إذ طعن بمؤلّاء العلمائيدون مبرر أو شيء يعوّّل عليه ، غافلاً عن ترجمتهم ومنزلتهم

ولو تتبَّع الباحث لوجد في علماء السنَّة والجماعة أضعاف من ذكرنا يقولون بولادة المهدي وبقائه حيًّا حتَّى يظهره الله تعالى.

وبعد هذا لم يبق معنا من أهل السنَّة والجماعة إلا المنكرون بولادته وبقائه حيًّا ، بعد اعترافهم بصحة الأحاديث وهؤلاء ليسوا حجَّة على غيرهم من القائلين بما.

والقرآن الكريم لا ينفي مثل هذا الافتراض وكم ضرب الله من مثل على ذلك لأهل العقول الجاملكتي، يتحرَّروا ويطلقوا العنان لأفكارهم وعقولهم حتى تستيقن وتسلم بأن الله سبحانه قادر على كل شيء.

لذا فإنَّ المسلم الذي ملأ الإيمان قلبه لا يستغرب أن يميت الله عزيراً مائة عام ثمَّ يعثه فينظر إلى طعامه وشرابه لم يتسنو إلى حماره كيف ينشر الله عظامه ويكسوها لحماً ، فيرجع كما كان بعد أن كانت عظامه رميغلم ، ما تبين له قال **أَشْهَدُ بِاللَّهِ عَمِّي كُلِّ**

شَيْءٍ قَدِيرٍ (١).

سبحان الله ما أسرع نحو له ، بينما قبل الحادثة استغرب واستبعد

العلمية التي يتمتَّعها في الوسط السني ، لكنَّ التعصب المقيت يؤدِّي بأصحابه إلى إنكار الشمس في رابعة النهار!!

١ . البقرة : ٢٥٩ .

عند مروره على قرية خاوية على أهدرومجهلي قطننا (الله بَعْدَ مَوْتِهِ نَا)!
والمسلم الذي يصدّق القرآن الكريم لا يستغرب أن يقطع سيدنا إبراهيم الطير ويبعث
أجزاءه وأشلاءه على الجبال ثمّ يدعوهم فيأتيه سعيّاً .
والمسلم لا يستغرب أن تصبح النار باردة فلا تحرق ولا تؤذي سيّدنا إبراهيم عندما
أُلقي فيها فَيَقَالَ هَلَّا لِلَّهِ كُوْنِي (بَرْدًا وَسَلَامًا) (١).
والمسلم لا يستغرب بأنّ سيّدنا عيسى ولد من غير نطفة الذكر ، أي من غير أب ،
وأزّه حيّ لم يموت وسيعود إلى الأرض .
والمسلم لا يستغرب بأنّ سيّدنا عيسى كان يجي الموتى ، ويبرئ الأكمه والأبرص
والأعمى .
ولا يستغرب أن ينفلق البحر لسيّدنا موسى ولبنى إسرائيل ، فيمشوا فيه بدون بلل ،
وتنقلب عصاه ثعباناً ويحوّل ماء النيل إلى دم .
كذلك فإنّ المسلم لا يستغرب أنّ سيّدنا سليمان كان يتكلّم مع الطير ، ومع الجن ،
ومع النمل ، ويحمل عرشه على بساط الريح ،

١ . الأنبياء : ٦٩ .

ويستقيم عرش بلقيس في لحظات .
ولا يستغرب بأنَّ اللهَ أمات أصحاب الكهف ثلاثة قرون وازدادوا تسعاً ، ثمَّ بعثهم ،
فكان حفيد الحفيد أكبر سنّاً من جد الجد .

ولا يستغرب بأنَّ سيّدنا الخضر عليه السلام حي لم يمّت وقد التقى مع سيّدنا
موسى عليه السلام .

ولا يستغرب بأنَّ إبليس لعنه الله حي لم يمّت وهو مخلوق قبل آدم عليه السلام ، وما
زال يواكب مسيرة البشر من أوّل خلقته إلى يوم فناءه ، ومع ذلك فهو مخفي لم ولن يراه أحد
رغم أعماله الشنيعة وأفعاله الذميمة وهو يرى كلَّ الناس .
إنَّ المسلم يؤمن بكلِّ هذا ولا يستغرب وقوعه أفيستغرب وجود المهدي مخفياً لفترة
من الزمان لحكمة يريدّها الله سبحانه؟!!

فكلّ ما ذكره القرآن وهو أضعاف ما ذكرنا في هذه العجالة ليس هو ممّا جرت به
العادة ، ولا هو معهود إلى الناس ، ولا يقدرّون عليه ولو اجتمعوا له .
وإنّما هو من صنع الله الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ، ويصدّق به
المسلمون بأنّهم آمنوا بكلِّ ما جاء في القرآن الكريم وبدون استثناء وبدون تحفّظ .
على أنّ الشيعة هم أدرى بأمر المهدي عليه السلام لأنّه إمامهم ، وقد

عاصروه وعاشوا معه ومع آبائه ، وأهل مكة أدرى بشعابها .
والشيعه يحترمون أئمتهم ويعظمونهم ، وقد اتخذوا لأئمة أهل البيت قبوراً شيدوها ،
والتزموا بزيارتها والتبرك بها ، فلو كان الإمام الثاني عشر . وهو المهدي سلام الله عليه . قد
توفيَّ لكان له قبر معروف ، ولأمكنهم أن يقولوا بجواز بعثه بعد الموت ما دام هذا الأمر ممكناً
كما ذكره القرآن الكريم ومخاصمة إنهم يقولون « بالرجعة » .
بل تراهم يصرّون على أن المهدي سلام الله عليه حيٌّ يرزق ، وهو مخفي لحكمة أرادها
الله سبحانه وتعالى قد يعرفها الراسخون في العلم وأولياؤهم .
وهم يلوفوا في صلواتهم أن يعجل الله فرجه الشريف لأن في ظهوره عزّ المسلمين
وسعادتهم وانتصارهم لأن به يتم الله نوره ولو كره الكافرون .
على أن الخلاف بين السنة والشيعه في أمر المهدي عليه السلام ليس هو خلاف
جوهرى ماداموا يعتقدون بظهوره في آخر الزمان ، وأن عيسى عليه السلام يصلّي خلفه ،
وأنه سيملا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ، ويملك المسلمون الأرض كلّها في
زمانه ويعمّ الرخاء حتى لا يبقى فقير .
ويبقى الخلاف فقط في قول الشيعه بولادته وفي قول السنة بأنه

سيولد ، ويجتمع قول الفريقين على ظهوره في آخر الزمان ^(١).

١- ولا بأس بالإشارة هنا إلى ما ذكره كمال الدين بن طلحة الشافعي في مطالب السؤل ، قال :
« فإن قال معترض هذه الأحاديث النبوية الكثيرة بتعدادها المصرحة بجملتها وأفرادها ، متفق على صحة إسنادها ، ومجمع على نقلها عن رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم ، وهي صحيحة صريحة في إثبات كون المهدي من ولد فاطمة عليها السلام أنزه من رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم ، وأزه من أهل بيته ، وأن اسمه يواطئ اسمي ، وأزه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، وأزه من ولد عبدالمطلب ، وأزه من سادات الجنة ، وذلك مما لا نزاع فيه.
غير أن ذلك لا يدل على أن المهدي الموصوف بما ذكره صلى الله عليه وآله وسلم من الصفات والعلامات هو هذا أبو القاسم محمد بن الحسن الحجّة الخلف الصالح عليه السلام ، فإن ولد فاطمة عليها السلام كثيرون بل وكم من يولد من ذريتها إلى يوم القيامة يصدق عليه أنه من ولد فاطمة ، وأزه من العترة الطاهرة ، وأزه من أهل البيت عليهم السلام ، فيحتاجون مع هذه الأحاديث المذكورة إلى زيادة دليل على أن المهدي المراد هو الحجّة المذكورة ليتم مرامكم.
فجواب إن رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم وصف المهدي عليه السلام بصفات متعدّدة من ذكر اسمه ونسبه ومرجعه إلى فاطمة عليها السلام إلى عبدالمطلب ، وأزه أجلى الجبهة أقى الأنف ، وعدد الأوصاف الكثيرة التي جمعتها الأحاديث الصحيحة المذكورة آنفاً ، وجعلها علامة ودلالة على أن الشخص الذي يسمى بالمهدي ، وثبت له الأحكام المذكورة ، وهو الشخص الذي اجتمعت تلك الصفات فيه ، ثم وجدنا تلك الصفات المزعومة علامة ودلالة مجتمعة في أبي القاسم محمد بن الخلف الصالح دون غيره ، فيلزم القول بثبوت تلك الأحكام له وأزه

صاحبها ، وإلا فلو جاز وجود ما هو علامة ودليل ولا يثبت ما هو مدلوله قدح ذلك في نصبها علامة ودلالة من رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم ، وذلك ممتنع.

فإن قال المعترض لا يتم العمل به بالعلامة والدلالة إلا بعد العلم باختصاص من وجدت فيه بما دون غيره وتعيينه فلها ما إذا لم يعلم تخصيصه وانفراده بما فلا يحكم له بالدلالة ، ونحن نسلّم أنه من زمن رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم ولادة الخلف الصالح الحجّة محمد ﷺ عليه السلام ما وجد من ولد فاطمة عليها السلام شخص جمع تلك الصفات التي هي العلامة والدلالة غيره ، لكن وقت بعثة المهدي وظهوره وولايته هو في آخر أوقات الدنيا عند ظهور الدجال ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام ، وذلك سيأتي بعد مدّة مديدة ، ومن الآن إلى ذلك الوقت المتراخي الممتدّ أزمان متجدّدة ، وفي العترة الطاهرة من سلالة فاطمة عليها السلام كثرة يتعاقبون ويتوالدون إلى ذلك الإيان ، فيجوز أن يولد من السلالة الطاهرة والعترة النبوية من يجمع تلك الصفات فيكون هو المهدي المشار إليه في الأحاديث المذكورة ، ومع هذا الاحتمال والإمكان كيف يبقى دليلكم مختصاً بالحجّة محمد ﷺ المذكور عليه السلام؟

فالجواب :أنكم إذا عرفتم أنه إلى وقت ولادة الخلف الصالح وإلى زماننا هذا لم يوجد من جمع تلك الصفات والعلامات بأسرها سواه ، فيكفي ذلك في ثبوت تلك الأحكام له ، عملاً بالدلالة الموجودة في حقّه ، وما ذكرتموه من احتلاله أن يتجدّد مستقبلاً في العترة الطاهرة من يكون بتلك الصفات ، لا يكون قادحاً في أعمال الدلالة ، ولا مانعاً من ترتيب حكمها عليها ، فإنّ دلالة الدليل راجحة لظهورها واحتمال تجدّد ما يعارضها مرجوح ، ولا يجوز ترك الراجح بالمرجوح ، فإنّه لو جوّزنا ذلك لامتنع العمل بأكثر الأدلة المثبتة

للأحكام (الشرعية) ، إذ ما من جيل إلا واحتمال تجدّد ما يعارضه متطرق إليه ، ولم يمنع ذلك من العمل به وفاقاً .

والذي يوضح ذلك ويؤكدّه :

إنّ رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم فيما أورده الإمام مسلم بن الحجاج في صحيحه يرفعه بسنده . قال لعمر بن الخطاب : « يأتي عليك مع امداد أهل اليمن إوين بن عامر من مراد ثمّ من قرن كان به برص فبرأ منه إلا موضع دله والدة هو بها برّ ، لو أقسم على الله لأبرّه ، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل .»

فالنبى صلى الله عليه وآله وسلم ذكر اسمه ونسبه وصفته ، وجعل ذلك علامة ودلالة على أنّ المسّمّى بذلك الاصمّ لتبتلك الصفات لو أقسم على الله لأبرّه ، وأنّه أهل لطلب الاستغفار منه ، وهذه منزلة عالية ومقام عند الله عظيم .

فلم يزل عمر بعد وفاة رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم وبعد وفاة أبي بكر يسأل إمداد اليمن من الموصوف بذلك ، حتى قدم وفد من اليمن ، فسألهم ، فأخبر بشخص متصف بذلك ، فلم يتوقّف عمر في العمل بتلك العلامة والدلالة التي ذكرها رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم ، بل بادر إلى العمل بما واجتمع به وسأله الاستغفار ، وجزم أنّه المشار إليه في الحديث النبوي ، لما علم تلك الصفات فيه ، مع وجود احتمال أن يتجدّد في وفود اليمن مستقبلاً من يكون بتلك الصفات ، فإنّ قبيلة مراد كثيرة والتوالد فيها كثير ، وعين ما ذكرتموه من الاحتمال موجود .

وكذلك قضية الخوارج لمّا وصفهم رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم بصفات ورّب عليها حكمهم بعد ذلك لمّا وجدها عليّ عليه السلام موجودة في أولئك في واقعة حروراء والنهروان ، جزم بأنهم هم المرادون بالحديث النبويّ وقاتلهم وقتلهم ، فعمل بالدلالة عند وجود الصفة ، مع احتمال أن يكون المرادون غيرهم .

وأمثال هذه الدلالة والعمل بما مع قيام الاحتمال كثيرة ، فعلم أنّ الدلالة الراجحة لا تترك لاحتمال المرجوح .
ونزيده بياناً وتقريراً فنقول لزوم ثبوت الحكم عند وجود العلامة والدلالة لمن وجدت فيه أمر يتعين العمل
فيه والمصير إليه ، فمن تركه وقال بأنّ صاحب الصفات المراد بإثبات الحكم له ليس هو هذا ، بل شخص غيره
سيأتي ، فقد عدل عن النهج القويّ نفسه موقف المليم ، ويدل على ذلك أنّ الله عز وجلّ لما أنزل في
التوراة على موسى أنّه يعث النبي العربي في آخر الزمان خاتم الأنبياء ، وبعثه بأوصافه وجعلها علامة ودلالة على
إثبات حكم النبوة له ، وصار قوم موسى عليه السلام يذكرونه بصفاته ويعلمون أنّه يعث فلمّا قرب زمان
ظهوره وبعثه صاروا يهدّون المشركين به ويقولون سيظهر الآن نبيّ نعتة كذا وصفته كذا ونستعين به على
قتالكم .

فلمّا بعث صلى الله عليه وآله وسلم ووجدوا العلامات والصفات بأسرها التي جعلت دلالة على
نبوته أنكروه وقالوا ليس هذا هو ، بل هو غيره وسيأتي .

فلمّا جنحوا إلى الاحتمال وأعرضوا عن العمل بالدلالة الموجودة في الحال ، أنكر الله تعالى عليهم كونهم
تركوا العمل بالدلالة التي ذكرها لهم في التوراة وجنحوا إلى الاحتمال ، وهذه القصة من أكبر الأدلة ، وأقوى الحجج
على أنّه يتعين العمل بالدلالة عند وجودها ، وإثبات الحكم لمن وجدت تلك الأدلة فيه .
فإذا كانت الضلت التي هي علامة ودلالة لثبوت تلك الأحكام المذكورة موجودة في الحجّة الخلف
الصالح محمد عليه السلام إثبات كون المهدي المشار إليه ، من غير جنوح إلى الاحتمال بتجدّد غيره
في الاستقبال .»

فليتوحّد لسنة الشيعية على كلمة الحقّ على جمع شمل الأمة الممزّقة ولمّ شتاتها ، وليدعوا الله جميعاً مخلصين في دعائهم وفي كل صلواتهم بأن يعجّل ظهوره؛ لأنّ في ظهوره الفرج والنصر لأمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيّدنا ومولانا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

بسم الله التيجاني السماوي

انظر مطالب السؤل ٢ : ١٥٥ . ١٥٨ ، وأورده الإربلي أيضاً في كشف الغمة ٣ : ٢٢٥ . ٢٢٩ .

مصادر الكتاب

- ١ . الاحتجاج ، أحمد بن علي الطبرسي تحقيق السيد محمد باقر الخرساني ، منشورات دار النعمان .
- ٢ . أحكام القرآن ، أحمد بن علي الجصاص ، الطبعة الأولى ١٤١٥ ، دار الكتب العلمية .
- ٣ . إحياء علوم الدين ، أبو حامد الغزالي ، الطبعة الأولى ١٤١٣ ، دار الهادي .
- ٤ . الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد ، الشيخ المفيد ، مؤسسة آل البيت .
- ٥ . أسد الغابة ، ابن الأثير ، انتشارات إسماعيليان .
- ٦ . إسعاف الراغبين محمد بن علي الصبان ، المطبوع بهامش نور الأبصار ، دار الفكر .
- ٧ . أنساب الأشراف ، أحمد بن يحيى البلاذري ، الطبعة الأولى ١٣٩٤ ، مؤسسة الاعلمي .

- ٨ . الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية ، جلال الدين السيوطي ، طبع عام ١٤٠٣ ، دار الكتب العلمية.
- ٩ . الإصابة في تمييز الصحابة ، ابن حجر العسقلاني ، الطبعة الأولى ١٤١٥ ، دار الكتب العلمية.
- ١٠ . أصل الشيعة وأصولها محمد بن الحسين آل كاشف الغطاء ، الطبعة الأولى ١٤١٥ ، مؤسسة الإمام علي عليه السلام.
- ١١ . أضواء على السنة المحمدية ، محمود أبو رية ، الطبعة الخامسة ، مؤسسة إسماعيليان.
- ١٢ . الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد ، البيهقي ، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ .
- ١٩٩٩ م ، دار اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع.
- ١٣ . الإعلام ، الزركلي ، الطبعة الخامسة ، دار العلم للملايين.
- ١٤ . افتراق الأمة محمد بن إسماعيل الصنعاني ، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ ، دار العاصمة ، الرياض.
- ١٥ . الأمالي ، ابن بابويه القمي ، مؤسسة البعثة.
- ١٦ . الأمالي ، الشيخ المفيد ، مؤسسة النشر الاسلامي.
- ١٧ . الأمالي محمد بن الحسن الطوسي ، الطبعة الأولى ١٤١٤ ، دار الثقافة.

- ١٨ . الإمام الصادق حياته وعصره محمدؑ د أبو زهرة ، طبع عام ١٩٩٣ ، دار الفكر العربي .
- ١٩ . الإمامة والسياسة عبد اللهؑ بن مسلم الدينوري ، طبع عام ١٤١٣ ، منشورات الشريف الرضي .
- ٢٠ . الانتقاء . ابن عبد البر .
- ٢١ . أنساب الأشراف ، أحمد بن يحيى البلاذري تحقيق محمدؑ د باقر المحمودي ، مؤسسة الاعلمي .
- ٢٢ . الأئمة الاثني عشر محمدؑ د بن طولون الدمشقي الحنفي ، طبعة سنة ١٣٧٧ هـ ، دار بيروت ، ودار صادر .
- ٢٣ . بحار الأنوار محمدؑ د باقر المجلسي ، طبع عام ١٤٠٥ ، المطبعة الإسلامية .
- ٢٤ . البحر الرائق ، ابن نجم المصري ، الطبعة الأولى سنة ١٤١٨ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- ٢٥ . البداية والنهاية ، إسماعيل بن كثير الدمشقي ، الطبعة الأولى عام ١٤١٧ ، وفي طبعة أخرى ١٤٠٨ ، دار إحياء التراث العربي .
- ٢٦ . البيان والتبين ، الجاحظ ، طبعة سنة ١٩٦٨ ، دار صعب ، بيروت .
- ٢٧ . تاريخ ابن خلدون ، ابن خلدون ، الطبعة الرابعة ، دار إحياء

التراث العربي.

٢٨ . تاريخ الإسلام ، شمس الدين الذهبي ، الطبعة الثانية ١٤١٣ ، دار الكتاب

العربي.

٢٩ . تاريخ الأمم والملوك محمد بن جرير الطبري تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

٣٠ . تاريخ بغداد ، أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، الطبعة الأولى ١٤١٧ ، دار

الكتب العلمية.

٣١ . تاريخ الخلفاء ، السيوطي ، الطبعة الثانية ١٤٢٠ هـ ، دار الكتاب العربي.

٣٢ . تاريخ الخميس ، حسين الديار بكري ، الطبعة الثانية ١٤١٢ هـ ، بيروت.

٣٣ . التاريخ الكبير محمد بن اسماعيل البخاري ، المكتبة الاسلامية.

٣٤ . تاريخ مدينة دمشق ، ابن عساكر ، طبع عام ١٤١٥ ، دار الفكر.

٣٥ . تأويل مختلف الحديث عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، دار الكتب العلمية.

٣٦ تحفة اثنا عشرية ، عبد العزيز الدهلوي ، طبع عام ١٤٠٨ ، مكتبة الحقيقة.

- ٣٧ . تذكرة الخواص ، سبط ابن الجوزي ، طبع عام ١٤١٨ ، منشورات الشريف
الرضي .
- ٣٨ . تذكرة الحفاظ ، شمس الدين الذهبي ، مكتبة الحرم المكي .
- ٣٩ . تذكرة الموضوعات محمد طاهر الفتني تقديم محمد عبد الجليل السامرودي .
- ٤٠ . تفسير البرهان ، الزركشي ؛ الطبعة الأولى سنة ١٣٧٦ هـ . دار إحياء الكتب
العربية ، القاهرة .
- ٤١ . تفسير جزء عم الإمام محمد عبده ، طبعة سنة ١٣٨٧ هـ محمد علي
صبيح .
- ٤٢ . تفسير القرآن ، عبد الرزاق الصنعاني ، الطبعة الأولى ١٤١٠ ، مكتبة الرشد .
- ٤٣ . تفسير القرآن العظيم ، إسماعيل بن كثير الدمشقي ، طبع عام ١٤١٢ ، دار
المعرفة .
- ٤٤ . تفسير القمي ، علي بن إبراهيم القمي ، الطبعة الأولى ١٤١٢ ، مؤسسة
الأعلمي للمطبوعات .
- ٤٥ . التفسير الكبير ، الفخر الرازي ، الطبعة الأولى ١٤١٥ ، دار إحياء التراث
العربي .

٤٦ . تقريب التهذيب ، ابن حجر العسقلاني ، الطبعة الثانية ١٤١٥ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٤٧ . التلخيص الحبير ، ابن حجر العسقلاني ، دار الفكر للطباعة والنشر .

٤٨ . التوحيد ، ابن بابويه القمي ، طبع عام ١٣٨٧ هـ ، مؤسسة النشر الاسلامي .

٤٩ . التوسّل والوسيلة ، ابن تيمية ، الطبعة الأولى عام ١٤٠٥ ، دار الكتاب العربي .

٥٠ . تهذيب التهذيب ، ابن حجر العسقلاني ، الطبعة الأولى ١٣٢٥ ، حيدر آباد

الدكن .

٥١ . تهذيب الكمال ، يوسف المزي ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الرسالة .

٥٢ . الثقات ، لابن حبان البستي ، الطبعة الأولى سنة ١٣٩٣ ، مؤسسة الكتب

الثقافية .

٥٣ . جامع بيان العلم وفضله ابن عبد البرّ ، تحقيق أبي الأشبال الزهيري ، الطبعة

الثانية ١٤١٦ هـ ، دار ابن الجوزي ، السعودية .

٥٤ . جامع البيان عن تأويل آي القرآن محمد بن جرير الطبري ، طبع عام ١٤١٥

دار الفكر .

٥٥. الجامع الصغير ، جلال الدين السيوطي ، الطبعة الأولى ١٤٠١ ، دار الفكر.
٥٦. الجامع لأحكام القرآن محمد بن أحمد القرطبي ، طبع عام ١٤٠٥ ، مؤسسة التاريخ العربي.
٥٧. حلية الأولياء ، أبو نعيم الأصفهاني ، الطبعة الأولى ١٤١٨ ، دار الكتب العلمية.
٥٨. خصائص أمير المؤمنين ، أحمد بن شعيب النسائي تحقيق محمد هادي الأميني ، مكتبة نينوى الحديثة.
٥٩. الدر المنثور ، جلال الدين السيوطي ، الطبعة الأولى ١٣٦٥ ، دار المعرفة.
٦٠. دلائل الإمامة محمد بن جرير الطبري الشيعي ، الطبعة الأولى ١٤١٣ ، مؤسسة البعثة.
٦١. ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى أحمد بن عبد الله الطبري ، طبع عام ١٣٥٦ ، مكتبة القدس.
٦٢. ربيع الأبرار ونصوص الأخبار ، محمود بن عمر الزمخشري ، طبع عام ١٤١٠ ، منشورات الشريف الرضي.
٦٣. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، السيد

- محمود آللوسى ، الطبعة الأولى عام ١٤١٥ دار الكتب العلمية.
- ٦٤ . الرياض النضرة فى مناقب العشرة أحمد بن عبد الله الطبرسى ، الطبعة الأولى ١٤١٨ ، دار المعرفة.
- ٦٥ . زاد المعاد ، ابن قيم الجوزية ، الطبعة الثالثة ١٤٢١ هـ . ٢٠٠٠ م ، مؤسسة الرسالة.
- ٦٦ . سبائك الذهب فى معرفة قبائل العرب محمد د أمين البغدادي السويدي ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ ، دار الكتب العلمية.
- ٦٧ . سلسلة الأحاديث الصحيحة ، محمد ناصر الدين الألباني . الطبعة الجديدة عام ١٤١٥ مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.
- ٦٨ . سنن ابن ماجة محمد د بن يزيد القزويني تحقيق محمد د فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر.
- ٦٩ . سنن ابن ماجه ، وبهامشه كفاية الحاجة للبوصيري ، طبعة سنة ١٤١٥ هـ . ١٩٩٥ م ، دار الفكر للطباعة والنشر.
- ٧٠ . سنن أبي داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني ، الطبعة الثانية ١٤١٨ ، دار الفكر.
- ٧١ . سنن الترمذي محمد د بن عيسى الترمذي ، الطبعة الثانية ، عام ١٤٠٣ دار الفكر.

٧٢. سنن الدارمي عبد الله بن بھرام الدارمي ، مطبعة الاعتدال .
٧٣. السنن الكبرى ، أحمد بن الحسين البيهقي ، دار الكتب .
٧٤. السنن الكبرى ، أحمد بن شعيب النسائي ، الطبعة الأولى ١٤١١ ، دار الكتب العلمية .
٧٥. سير أعلام النبلاء ، شمس الدين الذهبي ، الطبعة التاسعة ١٤١٣ ، مؤسسة الرسالة .
٧٦. سر العالمين وكشف ما في الدارين ، أبو حامد الغزالي ، الطبعة الأولى ١٤٢١ ، دار الآفاق العربية .
٧٧. السيرة الحلبية ، علي بن إبراهيم الحلبي ، الطبعة الأولى ١٤٢٢ ، دار الكتب العلمية .
٧٨. شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، شهاب الدين الحنبلي ، الطبعة الثانية ١٤٠٩ هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
٧٩. شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار النعمان بن محمد المغربي ، مؤسسة النشر الاسلامي .
٨٠. شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العزّ الدمشقي ، الطبعة الثالثة عشر ١٤١٩ هـ . ١٩٩٨ م ، مؤسسة الرسالة .
٨١. شرح المواهب اللدنية ، عبد الباقي الزرقاني ، طبع عام ١٤١٤ ،

- دار المعرفة.
٨٢. شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد المعتزلي ، الطبعة الثانية ١٣٨٧ ، دار إحياء التراث العربي.
٨٣. شرح نهج البلاغة ، مُجَّد عبده ، دار المعرفة.
٨٤. الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، القاضي عياض اليعقوبي ، طبع عام ١٤٠٩ ، دار الفكر.
٨٥. شواهد التنزيل ، الحاكم الحسكاني ، الطبعة الأولى عام ١٤١١ ، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية.
٨٦. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان محمد بن حبان ، الطبعة الثانية ١٤١٤ ، مؤسسة الرسالة.
٨٧. صحيح البخاري محمد بن إسماعيل البخاري ، الطبعة الأولى ١٤١٩ ، دار الكتب العلمية.
٨٨. صحيح الجامع الصغير ، مُجَّد ناصر الدين الألباني ، الطبعة الثالثة ١٤٢١ ، المكتب الإسلامي.
٨٩. صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج القشيري ، الطبعة الأولى ١٤١٦ ، دار ابن حزم.
٩٠. الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم ، علي بن يونس

- البياضي تحقيق محمد باقر البهبودي ، الطبعة الأولى ١٣٨٤ ، المكتبة المرتضوية .
- ٩١ . الصواعق المحرقة أحمد بن محمد الهيثمي ، الطبعة الأولى ١٤١٧ ، مؤسسة الرسالة .
- ٩٢ . الضعفاء الكبير محمد بن عمرو العقيلي ، الطبعة الثانية ١٤١٨ ، دار الكتب العلمية .
- ٩٣ . طبقات الشافعية ، السبكي ، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ . ١٩٩٩ م ، دار الكتاب العلمية ، بيروت .
- ٩٤ . الطبقات الكبرى محمد بن سعد البصري ، الطبعة الثانية ١٤١٨ ، دار الكتب العلمية .
- ٩٥ . عصمة الأنبياء ، الفخر الرازي ، الطبعة الثانية عام ١٤٠٩ ، دار الكتب العلمية .
- ٩٦ . عقائد الإمامية محمد رضا المظفر ، نشر مركز الأبحاث العقائدية .
- ٩٧ . العلل ، أحمد بن حنبل ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ ، المكتب الإسلامي ، بيروت .
- ٩٨ . العمدة ، ابن البطريق الأسدي ، الطبعة الأولى ١٤٠٧ ، مؤسسة

النشر الإسلامي .

- ٩٩ . عوالي اللثالي العزيزية في الأحاديث الدينية ، ابن أبي جمهور الأحسائي ، الطبعة الأولى عام ١٤٠٣ مطبعة سيد الشهداء .
- ١٠٠ . عيون أخبار الرضا عليه السلام ، ابن بابويه القمي ، الطبعة الأولى عام ١٤٠٤ ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات .
- ١٠١ . فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني ، الطبعة الثانية ، دار المعرفة .
- ١٠٢ . فتح القدير محمد بن الشوكاني ، طبعة عالم الكتاب .
- ١٠٣ . فتح المالك بتبويب التمهيد لابن عبد البر ، مصطفى حميدة ، الطبعة الأولى ١٤١٨ ، دار الكتب العلمية .
- ١٠٤ . الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة ، علي بن محمد المعروف بابن الصباغ ، مطبعة العدل في النجف .
- ١٠٥ . الفضائل ، شاذان بن جبرئيل ، طبع عام ١٣٨١ ، المكتبة الحيدرية في النجف .
- ١٠٦ . فيض القدير شرح الجامع الصغير محمد بن عبد الرؤوف المناوي ، الطبعة الأولى ١٤١٥ ، دار الكتب العلمية .
- ١٠٧ . الكافي محمد بن يعقوب الكليني ، الطبعة الثالثة ١٣٨٨ ، دار

الكتب الإسلامية.

١٠٨. الكامل في التاريخ ، عزالدين الشيباني ابن الاثير ، دار صادر.

١٠٩. الكامل في ضعفاء الرجال عبد الله بن عدي ، الطبعة الثالثة ١٤٠٩ ، دار

الفكر.

١١٠. كتاب الدعاء ، سليمان بن أحمد الطبراني ، الطبعة الأولى ١٤١٣ ، دار

الكتب العلمية.

١١١. كتاب السنّة ، عمرو بن أبي عاصم الضحاك ، الطبعة الثالثة ١٤١٣ ،

المكتب الإسلامي.

١١٢. كشف الخفاء ومزيل الالباس إهماعيل بن محمد العجلوني ، الطبعة الأولى

١٤١٨ ، دار الكتب العلمية.

١١٣. كشف الغمة في معرفة الأئمة ، علي بن عيسى الإربلي ، الطبعة الأولى

١٤٢١ ، دار الاضواء.

١١٤. كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد الحسن بن يوسف بن المطهر الحلبي ،

طبع عام ١٤٢٢ ، مؤسسة النشر الإسلامي.

١١٥. كمال الدين وتمام النعمة ، ابن بابويه القمي ، طبع عام ١٤٠٥ ، مؤسسة

النشر الإسلامي.

١١٦. كنز العمال ، المتقي الهندي ، تحقيق بكر حياني ، صفوة السقا ،

مؤسسة الرسالة.

١١٧. الكنى والألقاب ، الشيخ عباس القمي .

١١٨. المبسوط ، شمس الدين السرخسي ، طبع ١٣٩٨ ، دار المعرفة.

١١٩. منير الأحزان ، ابن نما الحلبي ، المطبعة الحيدرية.

١٢٠. مجلة رسالة الإسلام ، نشر مجمع البحوث الإسلامية للاستئانة الرضوية ومجمع

التقريب.

١٢١. مجلة المنار محمدّ د رشيد رضا.

١٢٢. مجمع البيان في تفسير القرآن ، الفضل بن الحسن الطبرسي ، الطبعة الأولى

عام ١٤٠٦ ، دار المعرفة.

١٢٣. مجمع الزوائد ، نور الدين الهيثمي ، طبع ١٤٠٨ ، دار الكتب العلمية.

١٢٤. المجموع شرح المهذب ، محيي الدين النووي ، الطبعة الأولى ١٤١٧ ، دار

الفكر.

١٢٥. مجموع فتاوى ابن ياعقناد عبد اللهّ بن محمدّ د الطيار ، الطبعة الأولى سنة

١٤١٦ هـ ، دار الوطن.

١٢٦. مجموعة مصنفات الشيخ المفيد، د بن محمدّ د بن النعمان ، المؤتمر العالمي

بمناسبة الذكرى الألفية للشيخ المفيد.

- ١٢٧ . محاضرات الأُدباء حسين بن محمد ّ مد الراغب الاصفهاني ، منشورات دار مكتبة الحياة.
- ١٢٨ . المحلّي ، ابن حزم الأندلسي تحقيق أحمد محمد ّ مد شاكر ، دار الفكر ، بيروت.
- ١٢٩ . مختصر التحفة الاثني عشرية للسيد ّ مد محمود الألوسي ، طبع عام ١٣٩٩ ، مكتبة ايشيق.
- ١٣٠ . مرقاة المفاتيح بشرح مشكاة المصابيح ، الملاّ علي القارئ ، تحقيق صدقي محمد ّ مد العطار ، المكتبة التجارية مكة المكرّمة ١٤١٢ هـ.
- ١٣١ . المستدرك على الصحيحين ، ّ مد بن محمد ّ مد الحاكم النيسابوري ، طبع عام ١٤٠٦ ، دار المعرفة.
- ١٣٢ . مسند أبي داود ، أبو داود الطيالسي ، نشر دار الحديث.
- ١٣٣ . مسند أبي يعلى ، أحمد بن علي التميمي ، تحقيق حسين سليم أسد ، دار المأمون للتراث.
- ١٣٤ . مسند أحمد ، بتحقيق أحمد شاكر ، طبعة سنة ١٤١٤ هـ ، مكتبة التراث الإسلامي.
- ١٣٥ . المسند ، أحمد بن حنبل ، طبع في دار صادر.

١٣٦. المسند ، علي بن الجعد الجوهري تحقيق عبد الله البغوي وعامر أحمد حيدر ، دار الكتب العلمية.
١٣٧. مشرق الشمسيين ، بهاء الدين العاملي ، طبع عام ١٣٩٨ ، مكتبة بصيرتي .
١٣٨. المصنّف ، ابن أبي شيبة ، الطبعة الأولى ١٤٠٩ ، دار الفكر.
١٣٩. المصنّف ، عبد الرزاق الصنعاني ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، المجلس العلمي.
١٤٠. مطالب السؤول في مناقب آل الرسول، كمال الدين بن طلحة الشافعي ، الطبعة الأولى ١٤٢٠ مؤسسة أمّ القرى.
١٤١. المعارف بمن قتيبة عبد الله بن مسلم ، الطبعة الأولى ١٤١٥ ، منشورات الشريف الرضي.
١٤٢. معاني الأخطوم ، مد بن علي الصدوق ، طبع عام ١٤١٨ مؤسسة النشر الإسلامي.
١٤٣. المعجم الأوسط ، سليمان بن أحمد الطبراني ، تحقيق إبراهيم الحسيني ، دار الحرمين.
١٤٤. معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، الطبعة الأولى والثانية ١٩٩٣ م . ١٩٩٥ م ، دار صادر للطباعة والنشر.

- ١٤٥ . المعجم الصغير ، سليمان بن أحمد الطبراني ، دار الكتب العلمية .
- ١٤٦ . المعجم الكبير ، سليمان بن أحمد الطبراني ، تحقيق حمدي السلفي ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة .
- ١٤٧ . المغني عبد الله بن قدامة ، تحقيق جماعة من العلماء ، دار الكتاب العربي .
- ١٤٨ . المفهم لما أشكل من صحيح مسلم ، القرطبي ، الطبعة الثانية ١٤٢٠ هـ .
- ١٩٩٩ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- ١٤٩ . مقدمة ابن خلدون ، عبد الرحمن بن خلدون ، الطبعة الثانية ١٤١٦ ، المكتبة العصرية .
- ١٥٠ . الملل والنحل محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، دار المعرفة .
- ١٥١ . مناقب الإمام علي بن أبي طالب ابن المغازلي علي بن محمد ، طبع عام ١٤٠٣ ، دار الأضواء .
- ١٥٢ . المناقب للخوارزمي ، الموفق بن أحمد الخوارزمي ، الطبعة الثانية ١٤١١ ، مؤسسة النشر الإسلامي .
- ١٥٣ . المنتخب من الذيل المذيل ، ابن جرير الطبري ، مؤسسة الأعلمي .
- ١٥٤ . من له رواية في كتب السنّة ، الذهبي ، الطبعة الأولى ١٤١٣ ، دار

القبلة للثقافة الإسلامية.

١٥٥. منهاج السنّة ، ابن تيمية تحقيق محمد رشاد سالم ، دار أحد.

١٥٦. منهج أهل البيت في مفهوم المذاهب الإسلامية ، مطبعة المدينة ١٩٩٤.

١٥٧. الموافقات في أصول الشريعة ، إبراهيم بن موسى الشاطبي ، طبع عام ١٤٢٠ ،
مؤسسة الكتب الثقافية.

١٥٨. المهدي المنتظر ، عبد العليم عبد العظيم البستوي ، الطبعة الأولى ١٤٢٠ ،
دار ابن حزم ، المكتبة المكية.

١٥٩. ميزان الاعتدال ، الذهبي ، الطبعة الأولى ١٣٨٢ هـ ، دار المعرفة ، بيروت.

١٦٠. الميزان في تفسير القرآن محمد حسين الطباطبائي ، طبع عام ١٣٩٠ ،
مؤسسة إسماعيليان.

١٦١. نظم درر السمطين محمد بن يوسف الزرندي ، الطبعة الأولى عام ١٣٧٧ ،
مكتبة الامام أمير المؤمنين عليه السلام.

١٦٢. نور الأبصار ، الشيخ مؤمن الشبلنجي ، الطبعة الأولى ١٤١٨ ، دار الكتب
العلمية.

١٦٣. النهاية في غريب الحديث ، ابن الأثير ، الطبعة الرابعة ١٣٦٤ هـ ش ،
مؤسسة إسماعيليان.

١٦٤. نيل الأوطار في أحاديث سيّد الأخبار محمدّ الشوكاني ، طبع عام ١٤٢٠ ،
دار الكتب العلمية.
- ١٦٥ . هدي الساري إلى صحيح البخاري ، القسطلاني ، طبعة سنة ١٤٢١ هـ .
٢٠٠٠ م ، دار الفكر ، بيروت.
- ١٦٦ . الوافي بالوفيات ، صلاح الدين الصفدي ، الطبعة الثانية ١٤١١ هـ ، دار
الكتب العلمية ، بيروت.
- ١٦٧ . وسائل الشيعة المخرّج العاملي ، طبعة مؤسسة آل البيت عليهم السلام.
- ١٦٨ . وفيات الأعيان ، ابن خلّكان ، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ . ١٩٩٨ م ، دار
الكتاب العلمية ، بيروت.
- ١٦٩ . ينابيع المودّة لذي القربى ، سليمان بن إبراهيم القندوزي ، الطبعة الأولى
١٤١٦ ، دار أسوة.